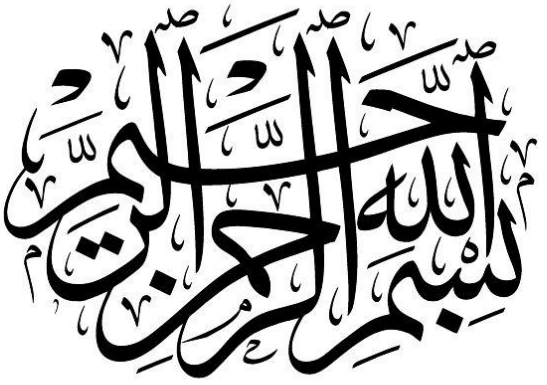
بسم الله الرحمن الرحيم

**الطّبعة الأولى**

**عمان ـ الأردن**

**١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م**

**المملكة الأردنية الهاشمية**

**رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية**

**(٢٠١٦/١/٢٢٥)**

**يتحمّل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنّفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**

**ISBN 978-9957-8736-0-8**

**حقوق الطّبع محفوظة لمجمع اللُّغة العربيّة الأردنيّ**

**ويمنع تصوير هذا الكتاب أو إعادة طبعه من دون إذن المجمع**

# الموسم الثقافي السادس والثلاثون

## لمجمع اللغة العربية الأردني

# اللغة العربية والنهوض بالأمة

١٣ ربيع الأول - ١٠ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ

٢١تشرين الثاني – ١٨ كانون الأول ٢٠١٨م

من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني

١٤٤٠هـ– ٢٠١٩م

# لجنة الندوات والمحاضرات والإعلام

# الموسم الثقافي السادس والثلاثون

**الأستاذ الدكتور عبداللطيف عربيات، مقرراً** **الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة**

**الدكتـــــور جعفـــر عبـــابـــنـــة** **الأستاذ الدكتور محمد عصفور**

**الإشراف العام:**

**الأستاذ الدكتــور مـحمـد السعـــودي، الأمين العـام للمجمـــع**

فريق التحرير والإشراف:

نادر رزق

عذراء ياصجين

عبدالله حافظ

نبيل احريز

إعداد الملخصات:

أسيل الحنيطي

## الفهرس


- كلمة الافتتاح
الأستاذ الدكتور خالد الكركي، رئيس المجمع ..... ٧

- القدس والأمة
الأستاذ الدكتور علي محافظة ..... ١٥

- القدس والأمة
الدكتور محمد الخلايلة ..... ٥٩

- تحقيق التراث ما له وما عليه
الأستاذ الدكتور صلاح جرار ..... ٧٥

- تحقيق التراث ما له وما عليه
الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم ..... ١٠٣

- اللغة العربية والفكر السياسي المعاصر: إشكالية المفاهيم السياسية المعاصرة
الأستاذ الدكتور وليد عبدالحي ..... ١١٩

- الترجمة الآلية في خدمة اللغة العربية
الأستاذ الدكتور محمد زكي خضر ..... ١٥٥

- الترجمة الآلية
الأستاذ الدكتور عبدالمجيد نصير ..... ١٧٩

- اللغة العربية لغة عالمية
الأستاذ الدكتور محمد عصفور ..... ٢٢٥

- اللغة العربية لغة عالمية
الأستاذ الدكتور همام غصيب ..... ٢٤٣

- البيان الختامي والتوصيات ..... ٢٥٩

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الزملاء العلماء أعضاء مجلس المجمع**

**الضيوف الكرام**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وسلام للوطن الأردني الذي صار "جابرَ عثرات الكرام، وحمل عن الأمة، وصبر من أجل الأمَّة، ومن أبنائه من يقرأ في الناس:

فـــإن تكـــن الأيـــامُ فيـــنا تَبـــدَّلَتْ بحُســـنى ونُعْمـــى والحـــوادثُ تَفعـــلُ

فـــما ليَّـــنَت منَّـــا قنـــاةً صليـــبةً ولا ذلَّلتْـــنا للتـــي ليـــس تجْمُـــلُ

ولكـــن رحلنـــاها نفـــوساً كريـــمةً تُحمَّـــلُ مـــا لا يُستـــطاعُ فتحمـــلُ

وأهلاً بكم في المجمع وبين أهله ورحابه، في الموسم الثقافي (السادس والثلاثين) للمجمع الذي يواصل رسالته في حماية العربيّة والنهوض بها، ثقافة وكتابة ومعرفة وقاعدةً للتقدم والحياة...

وأهلاً بكم في صباح من صباحات المولد النبوي الشريف

وُلِـــدَ الـهُـــدى فَـــالكائِناتُ ضِـــياءُ وَفَـــمُ الـزَمـــانِ تَـبَسُّـــمٌ وَثَنَـــاءُ

الـــروحُ وَالـمَـــلَأُ الـــمَلائِكُ حَولَـــهُ لِلـديـــنِ وَالـدُنيـــا بِـــهِ بُشَـــراءُ

وَالـعَـرشُ يَزهو وَالحَظيـرَةُ تَزدَهـي وَالـمُـنـتَـــهى وَالسِـــدرَةُ العَصـــماءُ

وَالـوَحيُ يَقطُـرُ سَلسَـلاً مِـن سَلسَـلٍ وَاللَّـــوحُ وَالـقَـلَـــمُ البَـــديعُ رُواءُ

يَــومٌ يَـتــيهُ عَلــى الزَمــانِ صَـباحُهُ وَمَســـــاؤُهُ بِـمُـحَـمَّـــــدٍ وَضـّـــاءُ

فَرَسَــمتَ بَعــدَكَ لِلعِبــادِ حُكومَــةً لا ســـــوقَةٌ فيهـــــا وَلا أُمَـــــراءُ

اللـــهُ فَــوقَ الخَلــقِ فيهــا وَحــدَهُ وَالنـــاسُ تَحـــتَ لِوائِهـــا أَكفـــاءُ

وَالـــدينُ يُســـرٌ وَالخِلافَـــةُ بَيعَـــةٌ وَالأَمــرُ شــورى وَالحُقــوقُ قَضــاءُ

أهلاً بكم، وعليكم سلام الله في صباحٍ خصَّ المجمع القدس به.

وذات صباح في أوائل تموز سنة ١١٨٧م أشرقت فيه الشمس على يوم "حطّين"، والأعداء قد دُفعوا إلى حدود الموت عطشاً، بينما تقول الروايات التاريخية إنّه عندما رددت التلال صدى صوت المؤذن لصلاة الفجر كان صلاح الدين ينتظر مع الخيوط الأولى للفجر المعركة المحتومة، وخشيته من أن يفتح الصليبيون ثغرة إلى نبع الماء...

"وفي الوقت نفسه كانت هناك قافلة متواصلة من جمال تحمل الآلاف من قِرَبِ الماء المصنوعة من جلد الماعز، والمليئة بالمياه، تشق طريقها من بحيرة طبريا إلى معسكر المسلمين" لأن الماء وعطش الصليبيين سيلعب من المؤكد دوراً هائلاً عندما تشرق الشمس".

... وكان أن أشرقت الشمس وتقي الدين في الميمنة، وكوكبوري على الميسرة، وهو "الذئب الأزرق" بالتركية، وحسم الجيش الإسلامي مصير المملكة الصليبية في بيت المقدس، وأتيح لمحيي الدين بن الزكي أن يلقي خطبة الفتح في بيت المقدس من

منبر نور الدين...!! بعد أن دخل الجيش المنتصر المدينة في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ الموافق ١١٨٧/١٠/٢م، ذكرى الإسراء والمعراج.

أعرف أنّني أنأى عن موضوع الموسم كله على غير ما كنت أفعل في السنوات الماضية، لكنّ برنامج المؤتمر حاضر، والقدس درّته، لذلك أعود إلى العربيّة التي تتجمل إن كان الحديث عن القدس، وبينهما ما كان في سورة الإسراء "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله...".

أعود إلى العربية التي ينفضّ كثير من أهلها عنها، ولا يحلو لهم الغشّ إلا في امتحانات دروسها، ويتشدقون بعامياتهم الرديئة، وهم لا يبصرون في العربية الصّبح، والضّحى والليل إذا سجى، والشمس وضحاها، والفجر ولياليٍ عشر، ... بل ضيعوا ثقافتهم بين الأميّة والعامية، واللغات الأجنبية، والجامدين والجاحدين، وحروب القبائل والفصائل، وسقوط الهمم، وغياب المروءة التي هي مجمع الصفات الطيّبة في الإنسان.

كربلائيون نحن، دم الحسين، وأحزان زينب، وفلسطينيون نحن، دم القدس وأوجاع الخليل، وأردنيون نحن، ظلم ذوي القربى وحسرات أطفالنا الجائعين... نحن هنا: أحفاد فرسان باب الواد والكرامة ننادي بين الضنك والضيق "يا وحدنا" حين يصمت القريب ويغيب الصديق.

إننا نسعى إلى إصلاح حال العربيّة، لكن الرأسمالية الطفيلية تغرّبت، والبورجوازية التابعة غيرت جلدها ولسانها، والمستبد أخفى الكثير عن الناس لأنها حرّية وعدل ومساواة، والمنافق اخترع للمستبد لغة تناسبه، وصار الطرف الذي خرّب العربيّة يقودنا وهو أعمى، ويخطب فينا وهو أعجمي، ويرسم لنا ملامح المستقبل وهو غافل.

كنت في مستهل أحاديثي في مناسبات المجمع أسرد مشروعات المجمع واللجنة الوطنية للغة العربية، ولا أريد إعادة الحديث عنها، غير أنني أشير إلى أن عملاً دؤوباً يستمر، وأن منشورات المجمع وإذاعته، ولجانه، ومؤتمراته تتوالى، والأمر نفسه في مشروعات اللجنة الوطنية خاصة حوسبة اللغة، وتعليم العربية للناطقين بغيرها، وكتاب الروائع، وواقع العربيّة في جامعاتنا، وامتحان الكفاية الذي صار واقعاً في مسيرة المجمع، والمسابقات الثقافية والفنية للكشف عن النبيل والجميل في حياتنا العامة والثقافية، وتجسير الفجوة بين الأجيال الجديدة والتعلّم، عبر مناهج جديدة نسأل الله أن لا تضلّ قوافلها الدروب عن الأمة التي لا بدّ من ترسيخ رؤيتها بأن ما نفعل هو في الأساس "تعليم الحرية للمضطهدين" عملاً بقوله تعالى:

"ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين".

لهذا نقرأ، ولهذا أمرنا في الكتاب الكريم أن "سنقرئك فلا تنسى"، ومن يصيبه النسيان تضيع من وجدانه العربية والقدس، وقد نتحول آنذاك في المجمع إلى "تعليم العربيّة للناطقين بها" في زمان عاجز –لا سمح الله–.

"قفا نبك"،

صدقوني أن صاحب امرئ القيس بكى عندما سمع هذه الجملة...، فالعربيّة ذات أسرار وعلامات ألم يقل امرؤ القيس:

"بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه"

ألم نجدها مكتوبة بالوشم عند طرفة"

..."تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد"!!!

ألم تكن هي التي صاغت معالم الحب العذري والوجد الصوفي وكلّ الذي علت قيمه في تاريخنا... من الصبابة والنوى والشهادة وموت الذين شغفتهم الحياة حبّاً وهم عن رحيلها غافلون...

بين البرق والبراق تجدها، وعند سدرة المنتهى (أو قاب قوسين أو أدنى) تفرد بلاغتها وسحرها، وتقسم لكم بالنجم إذا هوى أن صاحبكم ما ضلّ ولا غوى، وتقرأ عليكم أن نبيّنا قال لصاحبه وهما في الغار "لا تحزن إن الله معنا"؛ وأنّه ما من مبدع/ شاعر في تراثنا إلّا نادى على صاحبه أو أصحابه أو صحبه أو صاحبيه... دعوة للوقوف أو البكاء...

ولو قال: "خليليّ هذا ركب عزّة" لكان عند حدود البلاغة نفسها وفي أعلى تجلياتها.

أمس "تلفت القلب" كما قال الشريف الرّضي، بحثت عنهم بيننا فلم أجدهم، قلت لصاحبي الغائب:

يعــزّ علــيّ حــين أديــر طرفــي  أفــتش فــي مكانــك لا أراكــا

كنت أبحث عن الوجوه الطيّبة للزملاء الذين رحلوا، لأساتذتي وشيوخي، محمود إبراهيم، وناصر الدين الأسد، وإبراهيم زيد الكيلاني، وعبدالكريم غرايبة، وإسماعيل عمايرة، وإسحق فرحان، ومحمود السمرّة... لهم الرحمة وعليهم السلام.

فيا أيها الأهل من عشّاق العربية،

النداء ممتد لكل واحد منكم:

اســـق العطـــاش تكرّمـــا  فالعقـــل طـــاش مـــن الظمـــا

فماذا نفعل للعطاش من اليمن إلى غزّة!!

**أيّها الأعزاء،**

أقف عند أزمات اللغة العربيّة، والطواغيت التي تلاحقها: الأمية، والعامية، والتلوث، اللغوي، وانهيارها في الإعلام، وفي صفوف الجامعات، بل وغياب الاحترام للّغة المقدسّة كما نقول جميعاً، ثم نهجرها هجراً غير جميل...

اللغة العربية، كما يرى علماء الغرب قبل العرب، لغة تعبّر عن ثقافة عالمية وآداب عريقة، وهي ناقلة للمعارف والمناظرات على مدى التاريخ، وهي أداة تواصل حيّة مستخدمة في كلّ أرجاء العالم ووسائل التواصل، وهي إحدى اللغات الحيّة الأوسع انتشاراً في العالم، وتحتفل اليونسكو باليوم العالمي لها في ١٢/١٨ من كل عام.

العربية لغة اشتقاق ونحت وتوليد وابتكار، وهي لغة شاعرة، ولغة شجاعة –كما يقول ابن جني فيما نقله معجب الزهراني المدير العام لمعهد العالم العربي في باريس.

أختم بنصٍّ طريف ومهم من محاضرة لحبيب سروري (روائي وأستاذ المعلوماتية في جامعة روان الفرنسية)، سؤاله الكبير هو:

"ماذا لو استيقظ الخوارزمي".

واحد من أعظم علماء بيت الحكمة، مؤلف "المختصر في الجبر والمقابلة"، وغيره/ عبقري الرياضيات، المتوفى سنة ٨٥٠م.

يقول: ستعصف به مفاجئتان:

أما الأولى: أنه العالم الوحيد من كل علماء الماضي والحاضر، الذي لا يمرّ يوم واحد دون أن يذكر اسمه ضمناً في أهم صحف ومجلات العالم وإذا كان علماء آخرون قد ارتبطت أسماؤهم بشهرة فقد ظلت عند ما اخترعوه، مثل (جيمس واط و (داروين).

أمّا هو: اسمه "يوميّ الإشراق" يقضي كل الباحثين في كل فروع العلوم من البيولوجيا إلى الجغرافيا، مروراً بعلوم الكمبيوتر والرياضيات، والفيزياء، نصف حياتهم في البحث عن خوارزميات.

ويوغل الكاتب في وصف أثر الخوارزميات حتى في الحديث عن الفيسبوك وغوغل وغير ذلك، ثم يوغل في تفاصيل إنجاز الخوارزمي، وينتقل إلى الأمر الثاني الذي سيصدم عالمنا لو بُعث من جديد فهو ما آلت إليه لغته العربية في المجال العلمي خصوصاً هي التي كانت لغة العلم الدولية في عصره. فهي لم تعد تستخدم لكتابة العلوم.

ويدرس العلم في عقر جامعات بلدانها باللغات الأجنبية وافتقار لغة الضاد إلى صيغ تعبيرية مرادفة لبعض الصيغ المستخدمة في السياقات العلمية ثم يقدم الباحث اقتراحاته حول بناء بوابات على الإنترنت مفتوحة للعالم... لإيقاظ عملاق اللغة العربية النائم...

وسلام على الخوازمي.

أما بعد،

أكرّر الترحيب، وأدعو لهذا الموسم بالتوفيق في الحوار والبحث، ويسعد المجمع بحضوركم، كما يسعد الوطن بمقدار ما نقدم للعربية على الرغم من الصدّ الذي نجده من قوى كثيرة أدمنت الضعف والسخرية من الفصيحة/ السليمة.

وسلام للأردن الوطن والأهل والقيادة والعسكر والصابرين على شظف العيش وصحراء التيه في الواقع العربيّ كله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

# القدس والأمة

**الأستاذ الدكتور علي محافظة**

**الجامعة الأردنية**

**الأربعاء ١٣ ربيع الأول ١٤٤٠هـ – الموافق ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٨م**

## المُلَخَّص

حظيت مدينة القدس بمكانة مرموقة في التاريخ الإنساني لم تساوها في ذلك أي مدينة، تميزت بخصوصية نالتها من تفردها بالبعد الروحي المرتبط بالزمان والمكان؛ فهي في الزمان ضاربة جذورها منذ الأزل بوجهها الحضاري المشرق، وتمتعت بالموقع والموضع، فكانت ملتقى الاتصال والتواصل بين قارات العالم القديم، كما تعاقبت عليها الحضارات، وأقامت فيها المجموعات البشرية المختلفة، مخلفة وراءها أثارها ومخطوطاتها القيمة، التي جسدت الملاحم التاريخية الدالة على قداسة المكان وعظمته.

**المقدمة:**

للقدس في نفوس العرب والمسلمين منزلة سامية وفي قلوبهم مكانة رفيعة، فهي جزء من العقيدة الإسلامية، ومعلم لا ينسى من معالم الحضارة العربية الإسلامية، وشاهد على اعتزاز العرب بالدفاع عنها عبر تاريخهم المجيد.

لقد ربط القرآن الكريم بينها وبين الحرم المكي في ذكر معجزة الإسراء والمعراج **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** (سورة الإسراء، آية١). وهي أولى القبلتين لدى المسلمين وفيها ثالث الحرمين المسجد الأقصى الذي يعد من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال للصلاة فيها.

وهي، بعد ذلك كله، عاصمة فلسطين ومركز قدسيتها وبركتها، وبوابة الأرض إلى السماء، ومسرى الرسول العربي الكريم محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم، ومنها كان معراجه إلى السماء. وهي في أيامنا هذه عنوان الصمود والثبات والمقاومة، ومواجهة العدوان والبطش والتهويد. وهي مدرسة في الصبر والتضحية والفداء، والمحفز لاستنهاض الأمة وتوحيدها، وهي جوهر الصراع العربي- الإسرائيلي. وكانت على مر التاريخ بؤرة الصراع بين الغرب الصليبي والشرق الإسلامي، وبوابة الانتصارات العظيمة.

سماها اليبوسيون الذين أنشأوها (يورو سالم: مدينة سالم) الإله الذي كانوا يعبدونه. وهم فرع من الكنعانيين الذين استقروا في بلاد الشام منذ الألف الرابع قبل الميلاد. وحملت اسم إيليا كابيتولينا (Aelia Capitolina)، بعد أن هدمها الإمبراطور

الروماني هدريان (Aderianus)، وأعاد بناءها سنة ١٣٥م، حتى الفتح العربي الإسلامي لها سنة ٦٣٦م. وسماها العرب القدس أو بيت المقدس منذئذ[١].

تعرضت القدس قبل الفتح العربي الإسلامي للهدم والدمار، منذ أن استقرت فيها أقلية من العبرانيين في القرن العاشر قبل الميلاد. فقد غزاها الملك الآشوري سرجون الثاني سنة ٧٢١ ق.م وهدمها وسبى أهلها، كما غزاها الملك البابلي نبوخذ نصر سنة ٥٩٧ ق.م وسبى أهلها وعاد إليها بعد عشر سنوات فسبى سكانها ثانية. ولما تغلب الملك الفارسي كورش على البابليين سنة ٥٣٩ ق.م احتل القدس في السنة التالية وأعاد سكانها الأسرى إليها. وخضعت القدس لحكم الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق.م ولخلفائه من بعده السلوقيين والبطالمة. واستولى الرومان عليها سنة ٦٣ ق.م وبقيت تحت حكمهم حتى الفتح العربي الإسلامي. ولعل أهم حدث في العهد الروماني ظهور السيد المسيح واعتناق معظم سكان بلاد الشام المسيحية التي اعترفت بها الإمبراطورية الرومانية ديانة رسمية سنة ٣٢٥م.

سعى الرسول العربي الكريم إلى نشر الإسلام خارج جزيرة العرب فأرسل أول قوة إلى بلاد الشام بقيادة زيد بن حارثة فكانت معركة مؤتة سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. وفي عهد الخليفة الراشدي الثاني انتصر العرب على الروم في معركة اليرموك سنة ٦٣٦م. وتوجه القائد أبو عبيدة عامر بن الجراح نحو مدينة القدس لحصارها وفتحها، فاستمر الحصار أربعة أشهر، ثم عرض سكانها المصالحة وتسليم المدينة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. كتب أبو عبيدة إلى عمر: "بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدالله عمر

---

(١) عبلة المهتدي الزبدة، القدس: تاريخ وحضارة، ٣٠٠٠ ق.م- ١٩١٧م، ب.ن، عمان، ٢٠٠٠، ص١٧-٢٤.

أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد،

فإنا أقمنا على أهل إيلياء، فظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجاً، فلم يزدهم الله بهذا إلا ضيقاً ونقصاً وهزالاً وذلاً، فلما رأوا ذلك سألوا أن يقدم عليهم أمير المؤمنين فيغدر القوم ويرجعوا فيكون مسيرك –أصلحك الله– عناءً وفضلاً، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم ليقبلن وليؤدن الجزية، وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة، ففعلوا. فإن رأيت أن تقدم فافعل، فإن في سيرك أجراً وصلاحاً، أتاك الله رشدك، ويسر أمرك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته"(٢).

دعا عمر كبار الصحابة إليه، وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة، فقال عثمان بن عفان: "إن الله قد أذل الروم، وأخرجهم من الشام، ونصر المسلمين عليهم. وقد حاصر أصحابنا مدينة إيلياء، وضيقوا عليهم... فإن أنت أقمت ولم تسر إليهم، رأوا أنك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستحقر، فلا يلبثون إلا اليسير حتى ينزلوا على الصغار ويعطون الجزية".

وقال علي بن أبي طالب: "عندي غير هذا الرأي، وأنا أبديه لك". فقال عمر: "وما هو يا أبا الحسن؟" فرد علي قائلاً: "إن القوم قد سألوك، وفي سؤالهم ذلك فتح للمسلمين، وقد أصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام، وإني أرى إن سرت إليهم فتح الله هذه المدينة على يديك". فخرج عمر من المدينة قاصداً بيت المقدس، بعد أن استخلف على المدينة علي بن أبي طالب(٣).

---

(٢) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الأول، ص١٦٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، ص١٥٩–١٦٠.

عند وصول عمر إلى القدس، أعطى أهلها العهد التاريخي المعروف بالعهدة العمرية. وهذا نصه كما جاء في كتاب الطبري:

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم. ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

كتب وحضر سنة ١٥ هجرية، وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعبدالرحمن ابن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان"(٤).

زار الخليفة عمر كنيسة القيامة، وأثناء الزيارة حان وقت الصلاة، فأشار عليه البطريرك صفرونيوس أن يصلي في داخل الكنيسة، لكن عمر أبى وخرج من الكنيسة وصلى في مكان قريب منها. ولما أتم صلاته قال عمر للبطريرك: "آذن لي أيها

---

(٤) المصدر نفسه، ص١٦٠-١٦١.

الشيخ، إني لو أقمت الصلاة في كنيسة القيامة لوضع المسلمون عليها الأيدي من بعدي في حجة إقامة الصلاة فيها، وإني لآبى أن أمهد السبل لحرمانكم منها وأنتم لها أحق وأولى". وأقام عمر في بيت المقدس عشرة أيام(٥).

واصل العرب معاملتهم للقدس وأهلها بروح التسامح والمودة التي عاملهم بها الخليفة الراشدي الثاني. وبويع معاوية بن أبي سفيان بالخلافة في بيت المقدس، مع أنه جعل دمشق عاصمة الخلافة الأموية لنحو قرن من الزمان.

واعتنى بنو أمية بالقدس فبنى عبدالملك بن مروان قبة الصخرة ومسجدها، وشرع ببناء المسجد الأقصى الذي أكمله ابنه الوليد من بعده بين سنتي ٦٨٨ و٧١٤م. وتقبل الوليد بن عبدالملك البيعة في مسجد قبة الصخرة، وكذلك فعل أخوه سليمان سنة ٧١٥م.

ومع إهمال العباسيين لبلاد الشام التي ظل ولاؤها أموياً فقد كان للقدس أهمية خاصة، فزارها أبو جعفر المنصور مرتين سنة ٧٥٧م وسنة ٧٧١م. وأعاد ترميم المسجد الأقصى الذي أصابته هزة أرضية سنة ٧٤٧م، ثم أصابه زلزال في عهد الخليفة المهدي بن المنصور فرممه سنة ٧٨٠م، وزاره بعد الترميم. كما زار القدس الخليفة المأمون بن هارون الرشيد سنة ٨٣٠م، وأصلح الخليفة العباسي المقتدر بالله قبة الصخرة سنة ٩١٣م. وهكذا ظل المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة موضع عناية الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين حينما دخلت القدس تحت حكمهم بين سنتي ٩٧٥ و١٠٩٩م، أي نحو قرن من الزمن ونيف(٦).

---

(٥) عبلة المهتدي الزبدة، القدس، ص٨٢-٨٣.

(٦) المرجع نفسه، ص٨٤-١٠٩.

ومن الجدير بالذكر أن القرن الخامس الهجري الموافق الحادي عشر الميلادي قد شهد حالة من الفوضى والتمزق والتفكك في المشرق العربي. وسادت المنازعات المذهبية والأطماع السياسية بين الخلافة العباسية السنية في بغداد والخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة. وهيمن الأتراك السلاجقة على الخلافة العباسية منذ سنة ١٠٥٥م (٤٤٧هـ). وقامت حركات انفصالية ودويلات ضعيفة وهزيلة أطلق عليها الأتابكيات وعلى ولاتها الأتابكة يتقاسمها ورثة كل منهم عند موتهم. وكثيراً ما دارت الحروب بينهم طمعاً بالحكم والغنائم. وفي خضم هذه النزاعات، استطاع القائد السلجوقي ألب أرسلان هزيمة الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينوس (Romanus Diogenus) في معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١م. وبعدها تدفق الأتراك السلاجقة وغيرهم نحو آسيا الصغرى، وسيطروا على هضبة الأناضول، وانحصرت الإمبراطورية البيزنطية في مدينة القسطنطينية وما حولها. فشعر الغرب الأوروبي بخطورة المد الإسلامي القادم من الشرق، بعد أن حاصرهم في الغرب في الأندلس وصقلية. ولذا لم يتردد في غزو المشرق العربي للقضاء على هذا الخطر في منبعه. وبدأت الحروب الصليبية تحت شعار تحرير قبر المسيح والأراضي المقدسة من الهيمنة الإسلامية.

في مجمع كليرمون بفرنسا، وجه البابا أوربان الثاني (Urban II) –في ٢٧ تشرين الثاني ١٠٩٥م، بحضور أمراء ورجال دين يمثلون أوروبا ومندوبين عن الإمبراطور البيزنطي– خطاباً حماسياً، دعا فيه إلى قتال المسلمين وتحرير قبر المسيح. فاستجابت شعوب أوروبا وأمراؤها وملوكها، طمعاً في ثروات الشرق، وهرباً من الفقر والجوع والعبودية في نظامها الإقطاعي. واستعملوا الدين ستاراً لهذه الحركة العدوانية الاستعمارية الاستيطانية[٧].

---

(٧) المرجع نفسه، ص١١٠–١٢٣.

حاصر الصليبيون القدس في ٧ حزيران ١٠٩٩م بقيادة غودفري دوبويون (Gaudefroy de Bouillon) وريمون دوتولوز (Raymond de Toulouse)، ودخلوها في ١٥ تموز من السنة نفسها، وأعملوا في أهلها القتل والذبح. وذكر المؤرخ الفرنسي فولشيه الشارتري (Fulcher de Chartres) المرافق للقوات الغازية: "كانت القدم تغوص حتى الكاحل بدماء المسلمين"[٨].

ولما كان الشعراء ضمير الأمة الحي ولسانها المعبر عن أوجاعها وأحزانها وأفراحها وأمجادها، فقد قال الشاعر أبو المظفر الأبيوردي، بعد احتلال الفرنجة للقدس، واستقبال الخليفة الفاطمي لنبأ سقوط القدس ببرود شديد، بينما لم يحرك الخليفة العباسي ساكناً:

مزجنا دماء بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراحم

وشر سلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم

فإيهاً بني الإسلام إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذرا بالمناسم

فإيهاً بني الإسلام إن وراءكم ... ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم[٩]

---

(٨) المرجع نفسه، ص١٣٢-١٣٤، وفوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥-١١٢٧م)، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠، ص٧٣-٧٥.

(٩) عزت جرادات، تاريخ القدس وحاضرها: منهج للتعليم العام والعالي، المؤتمر الإسلامي لبيت المقدس، عمان، دار النفائس، ٢٠٠٥، ص١٥٨.

توالى ملوك الفرنجة على مملكة القدس بين سنتي ١٠٩٩ و١١٨٧م، أي ثمان وثمانين سنة[١٠].

انبعثت حركة الجهاد الإسلامية في شمال العراق على يد آل زنكي في الموصل، وسعت إلى توحيد القوى الإسلامية المبعثرة في الإمارات المتناحرة في بلاد الشام. وتولى المهمة عماد الدين زنكي حاكم الموصل سنة ١١٢٧م، فنظم أمور إمارته وضم إليها حلب، واستولى على إمارة الرها الصليبية سنة ١١٤٤م وضمها إلى إمارته، فكان أول نصر يحققه المسلمون على الفرنجة، فزالت عقدة التفوق الفرنجي على المسلمين. خلف نور الدين محمود أباه عماد الدين سنة ١١٤٦م وواصل رسالة والده. ورأى بحسه الاستراتيجي أن وحدة مصر والشام هي منطلق التحرير والخلاص من الاحتلال الأجنبي. فأرسل جيشاً بقيادة شيركوه لتخليص مصر من الحكم الفاطمي الضعيف وضمها إلى إمارته. فاستولى عليها وتولى منصب الوزارة فيها، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ١١٧١م[١١].

ثبت صلاح الدين مركزه في مصر بكسب ولاء الجيش له وميل شعب مصر إليه. فقضى على الخلافة الفاطمية دون أي ردود فعل عنيفة ودون ضحايا. ودعا بالولاء للخليفة العباسي المستضيء بنور الله في أول جمعة من محرم سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م. ولما توفي نور الدين زنكي بويع بالملك ابنه الصغير الملك الصالح

---

(١٠) انظر: مصطفى الحياري، القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، ١٩٩٥.

(١١) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية (الأيديولوجية- الدوافع- النتائج)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٣، ص١٣٥-١٤٣.

إسماعيل في دمشق، وأيده صلاح الدين في مصر. ثم قدم إلى دمشق وتولى الحكم بنفسه بعد أن عينه الخليفة العباسي سلطاناً على مصر وبلاد الشام سنة ١١٧٤م[١٢].

وأخذ يعد العدة لقتال الفرنجة واستعادة القدس منهم. واغتنم فرصة نقض أرناط (Renaud de Chatillon) صاحب الكرك معاهدة الهدنة المبرمة بين صلاح الدين وملك القدس الصليبي، واستولى على قافلة تجارية قادمة من القاهرة إلى دمشق، وأسر من في القافلة من مدنيين وعسكريين رجالاً ونساء في مطلع سنة ١١٨٧م. وعجز ملك القدس غي دو لويزينيان (Guy de Louisignan) عن استرداد ما نهبه أرناط. عندها نذر صلاح الدين دمه، ودعا إلى إعلان الجهاد العام والتعبئة العامة لجميع القوى الإسلامية.

انطلق صلاح الدين بقواته من دمشق إلى حوران فالكرك فحاصرها دون أن يتمكن من الاستيلاء عليها، وعاد إلى حوران واتجه إلى شرق الأردن، ومنها نزل بقواته إلى بحيرة طبرية. وجمع قواته غربي البحيرة عند قرية حطين، بينما تجمع الصليبيون في قرية صفورية شمال فلسطين، وقرروا الزحف نحو قوات صلاح الدين. دارت معركة حطين في الرابع من تموز ١١٨٧م. وهزم فيها الفرنجة هزيمة ساحقة واستسلم ملك القدس وأرناط. وأعطى صلاح الدين الملك الصليبي وقادة جيشه العفو والأمان ما عدا أرناط الذي أمر بقتله. وبعد أن حرر صلاح الدين مدن الساحل الفلسطيني زحف على القدس وبدأ حصارها في ٢٦ أيلول ١١٨٧. عرض الفرنجة في القدس على صلاح الدين تسليم المدينة بشرطي العفو والأمان اللذين منحهما لجميع

---

(١٢) المرجع نفسه، ص١٤٣-١٤٦.

المواقع الصليبية التي استسلمت له. قبل صلاح الدين ذلك بتردد، على أن يرحل عنها الفرنجة اللاتين غير العرب خلال أربعين يوماً، وأن يحملوا معهم جميع نفائسهم وأموالهم مقابل فدية قدرها عشرة دنانير للرجل وخمسة دنانير للمرأة ودينارن للطفل، ويعفى الفقراء والشيوخ من الرجال والنساء.

وفي يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ الموافق ٢ تشرين الأول ١١٨٧م، وقع قادة الصليبيين على اتفاقية تسليم القدس لصلاح الدين الأيوبي، ورحل عنها اللاتين من الفرنجة. وكان أول أعمال صلاح الدين في المدينة المقدسة إزالة آثار الاحتلال الصليبي من نقوش وصلبان. ومكث صلاح الدين فيها (٢٨) يوماً ثم عهد إلى أخيه العادل بإدارتها. ولما علم الإمبراطور البيزنطي إسحاق أنجيلوس بعودة القدس إلى المسلمين، طلب من صلاح الدين إعادة الأماكن المسيحية المقدسة إلى الكنيسة الأرثوذكسية فاستجاب صلاح الدين لطلبه[١٣].

وابتهج الشعراء لسان الأمة، بتحرير القدس على يد صلاح الدين فقال أبو علي الجويني:

أضحى ملوك الفرنج الصيد في يده صيـــداً وما ضعفوا يوماً ومـا هانوا
تسعون عامـاً بلاد الله تصـرخ والإ ســـلام أنصـــاره صـــم وعميـــان
فالآن لبى صـــلاح الدين دعوتهـــم بأمـــر من هو للمعـــوان معـوان[١٤]

(١٣) المرجع نفسه، ص١٤٧-١٤٨، وعبلة المهتدي الزبدة، القدس تاريخ وحضارة، ص١٨٨-١٩٦.

(١٤) عزت جرادات، تاريخ القدس وحاضرها، ص١٦٠.

بعد ثمان وثمانين سنة من الاحتلال الصليبي للقدس، فقدت المدينة طابعها العربي الإسلامي؛ فقد حول المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة إلى كنائس ومنازل لفرسان الاسبتارية والداوية وإسطبلات لخيولهم. ولذلك سعى صلاح الدين إلى إعادة الطابع العربي الإسلامي إلى المدينة المقدسة. وأعاد سكانها العرب إليها، وأسكن عدداً من القبائل العربية فيها مثل: بني حارث وبني مرة وبني سعد وبني زيد. وحصّن المدينة حتى لا تتعرض لغزو صليبي جديد. ورمم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكساها بالفسيفساء، وكسا المحراب بالرخام، وأتى بالمنبر الخشبي المرصع بالعاج والأبانوس الذي أمر نور الدين زنكي بصنعه في حلب سنة ١١٦٨م، ووضعه في المسجد الأقصى رمزاً للنصر. وأنشأ الخانقاة الصلاحية لمشايخ الصوفية، وأوقف لها، وأنشأ المدرسة الصلاحية. وبنى البيمارستان الصلاحي ودار الكتّاب مقابل المسجد الأقصى لتعليم القرآن الكريم. وأنشأ الزاويتين الختنية والجراحية[١٥].

وأنشأ خلفاء صلاح الدين من السلاطين الأيوبيين العديد من معالم القدس الإسلامية، ولكن الملك الكامل الأيوبي سلم القدس للإمبراطور الألماني فريدريك الثاني دون قتال سنة ١٢٢٨م واستمرت تحت حكم الفرنجة حتى استعادها حاكم الكرك الملك داود بن الملك المعظم الأيوبي سنة ١٢٣٩م. وخضعت مرة ثالثة للحكم الصليبي لمدة سنة واحدة ١٢٤٣– ١٢٤٤م. وتم تحريرها على يد قوات الخوارزمية في عهد الملك الصالح نجم الدين الأيوبي[١٦].

---

(١٥) شفيق جاسر أحمد محمود، القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها (١٠٩٩– ١٢٤٤)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٩، ص٧٣–٧٥.

(١٦) عصام عقلة ويوسف بني ياسين وفوزي الطواهية، القدس في العهد الأيوبي (١١٨٧–١٢٥٣)، في تاريخ مدينة القدس عبر العصور، منذ الألف الرابع قبل الميلاد إلى الوقت الحاضر، محمد عدنان البخيت وحسين محمد قهواتي (محرران)، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٧، ص١٩٣–٢٠١.

انتهت سلطنة الأيوبيين سنة ١٢٥٣م وبدأ عهد المماليك الأتراك البحرية والمماليك الشراكسة البرجية الذي استمر حتى الفتح العثماني لبلاد الشام سنة ١٥١٦م. اتخذ المماليك الجهاد سبيلاً لإثبات جدارتهم في الحكم وحماية المقدسات الإسلامية. وأحيوا الخلافة العباسية في مصر، بعد أن قضى عليها التتار في بغداد سنة ١٢٥٨م، وأنشأوا المؤسسات الدينية والثقافية في المدن الشامية والمصرية، وفي مدينة القدس بخاصة.

وكان من أبرز سلاطين المماليك الأتراك البحرية قطز المعزّي ١٢٥٩- ١٢٦٠، الذي تصدى لجيش هولاكو التتري وهزمه في معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠م. ومنهم خليفة قطز الظاهر بيبرس البندقداري (١٢٦٠-١٢٧٧م) الذي كان له دور مهم في تحرير بلاد الشام من الصليبيين، ومنهم أيضاً قلاوون بن عبدالله الصالحي الألفي الذي اعتنى بمدينة القدس، وأنشأ فيها الرباط المنصوري والمسجد القلندري، وبنى ابنه محمد من بعده رباط الكرد والمدرسة السلامية (الموصلية) وزاوية المغاربة والمدرسة الدوادارية والمدرسة التنكزية.

أما السلاطين الشراكسة فكانوا أربعة وعشرين سلطاناً أولهم برقوق وآخرهم طومان باي. أنشأ برقوق خان السلطان بالقدس، وبنى السلطان برسباي المدرسة الباسطية والمدرسة الغادرية والمدرسة الحسنية فيها. وأنشأ السلطان قايتباي الظاهري الرباط الزمني والمدرسة الأشرفية في بيت المقدس[١٧].

---

(١٧) محمد عدنان البخيت ونوفان السوارية، القدس في العهد المملوكي (١٢٥٣-١٥١٦)، تاريخ مدينة القدس عبر العصور، محمد عدنان البخيت وحسين محمد القهواتي (محرران)، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٧، ص٢٠٩-٢٤٨. وحول الملك الظاهر بيبرس انظر: عز الدين محمد بن شداد، تاريخ الملك الظاهر، باعتناء أحمد حطيط، دار النشر ( Franz Steiner Verlag, Wiesbaden)، النشرات الإسلامية (٣١)، ١٩٨٣.

دخل السلطان العثماني سليم الأول القدس في ٣٠ كانون الأول ١٥١٦م، بعد انتصاره على المماليك في معركة مرج دابق في ٢٣ آب من السنة نفسها، وخرج العلماء والأتقياء لملاقاة السلطان العثماني، وسلموه مفاتيح المسجد الأقصى وقبة الصخرة، فما كان من السلطان إلا أن قدم لأعيان المدينة الهدايا، وأعفاهم من الضرائب، وثبتهم في وظائفهم ومناصبهم. وأقام السلطان يومين في المدينة. وغادرها في اليوم الأول من عام ١٥١٧ إلى مصر. وفي عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) رمم قبة الصخرة، وأعاد بناء سور القدس بين سنتي ١٥٣٦ و١٥٤٠ بطول ميلين تقريباً وارتفاع معدله أربعون قدماً. وأنشأ فيه أربعة وثلاثين برجاً وسبعة أبواب. وبنى ستة أسبلة جميلة.

شهدت القدس وفلسطين تحولاً عميقاً في القرن التاسع عشر الميلادي ساهم في تعميقه ضعف الدولة العثمانية وهزائمها العسكرية في الساحات الأوروبية والآسيوية والإفريقية. وتسابقت الدول الاستعمارية الأوروبية (بريطانيا وفرنسا والنمسا وألمانيا وروسيا) على فرض نفوذها في القدس. فقد أنشئت القنصلية البريطانية سنة ١٨٣٨، وكانت أول قنصلية غربية فيها. وتولت رعاية المصالح البريطانية والأمريكية واليهودية. وتوالى فتح القنصليات الأوروبية، ففي سنة ١٨٥٦ افتتحت القنصلية الفرنسية، وفي السنة التالية افتتحت قنصلية الولايات المتحدة الأمريكية، وافتتحت القنصليتان الروسية واليونانية سنة ١٨٦٥. وبلغ عدد القنصليات الغربية في القدس ثماني قنصليات[١٨].

(١٨) عبلة المهتدي الزبدة، القدس، ص٣٧٠ و٣٧٨، وعلي محافظة، العلاقات الألمانية- الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٣٧-٩١.

ولم يقتصر التنافس على إنشاء القنصليات وإنما امتد إلى الطوائف الدينية المسيحية؛ فقد أنشئت أول أسقفية إنكليزية- بروسية في القدس سنة ١٨٤١، وبنيت كتدرائية بروتستانتية هي كنيسة المسيح (Christ Church) سنة ١٨٤٩. واعترفت الدولة العثمانية لأول مرة بالبروتستانت طائفةً دينية رسمية سنة ١٨٥٠، أي بعد إنشاء الأسقفية بعشر سنوات. وعين البابا بيوس التاسع (Pius XI) أول بطريرك لاتيني في القدس سنة ١٨٤٧.

والواقع أن اهتمام المسيحيين الأوروبيين والأمريكيين بالقدس وبفلسطين يعود إلى اعتبارات دينية تعود إلى بداية العصور الحديثة؛ ففي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي أمر ملك إنكلترا ريتشارد الثاني بتوحيد العهد القديم والعهد الجديد (الأناجيل الأربعة) في كتاب واحد لأول مرة. وجاء في الأمر الملكي هذا: "أردنا كتاباً واحداً مقدساً في حجم كبير ليوضع في كل كنيسة في إنكلترا" ووجه كلامه لرجال الدين: "يجب أن لا تعرقلوا قراءته، بل على العكس حضوا رواد الكنائس وأغروهم بدراسة الكتاب الموحد". وهكذا أصبح المتدين البريطاني يقرأ الأناجيل مع العهد القديم وتزداد قناعته بالنبوءات المزعومة فيه التي تبشر بعودة اليهود إلى فلسطين. وغدا الدينان اليهودي والمسيحي في كتاب واحد. وأصبح المسيحيون الأوروبيون يعتقدون أن عودة المسيح الثانية لا تأتي إلا بعودة اليهود إلى فلسطين[١٩].

ولا بد من القول إن المسيحيين العرب قد أعلنوا رفضهم القاطع لرضوخ الكنائس الغربية للضغوط اليهودية، وتصدت الكنائس العربية لتيار الأغلبية الغربية في المجمع المسكوني الذي عقد سنة ١٩٦٤[٢٠].

(١٩) كامل الشريف، كلمات وأبحاث في قضية القدس، ص٩-١٠.
(٢٠) المرجع نفسه، ص٣٦.

والواقع أن فكرة تهجير اليهود من أوروبا إلى فلسطين، في جذورها، فكرة مسيحية أوروبية، الغاية منها التخلص من الأقليات اليهودية في المجتمعات الأوروبية التي كانت تنافس الأوروبيين في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية، وتعيش في أحياء مستقلة خاصة بها تسمى الغيتو (Ghetto) منعزلة لا تختلط ببقية فئات وطبقات المجتمعات الأوروبية. وكان لهذه الفكرة دافع ديني مرتبط بالمعتقدات المسيحية بعودة المسيح إلى الأرض في آخر الزمان، فعودة اليهود إلى فلسطين من علامات نهاية العالم، إذ إنهم، حسب العقيدة المسيحية، سوف يتحولون إلى المسيحية تمهيداً لنزول المسيح إلى أرض فلسطين.

وقد ربطت حركة الإصلاح الديني في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي بقيادة مارتن لوثر (Martin Luther) وجان كالفن (Jean Calvin) وأولريش زفنغله (Ulrich Zwingle) بوضوح بين فكرة نهاية العالم وتحول اليهود إلى المسيحية وعودتهم إلى فلسطين. وقد عبّر عن هذا المعتقد رجل الدين الإنكليزي توماس برايتمان (Thomas Brightman) حينما كتب "هل سيعودون ثانية إلى القدس؟ هذا أمر مؤكد، فالأنبياء يؤكدون ذلك في كل مكان ويحومون حولها". وتمنى برايتمان أن يتحول اليهود إلى المسيحية أو يغادروا أوروبا إلى الأبد.

وبعد مئة سنة كتب اللاهوتي الألماني هنري أولدنبورغ(Henry Oldenburg): "إذا توفرت الفرصة في ظل التغيرات المعروضة لها الشؤون البشرية، فقد ينشئ اليهود إمبراطوريتهم من جديد. وقد يختارهم الله مرة أخرى"[٢١].

(٢١) Ilan Pappé, Ten Myths About Israel, Verso, London, 2017, pp. 11–

ولا شك أن كراهية المسيحيين الأوروبيين لليهود المعروفة بالعداء للسامية (anti–Semitism) كانت وراء هذه الأقوال التي تحولت في القرن السابع عشر إلى حركة اجتماعية؛ فقد نظم العديد من المطهرين (Puritans) الإنكليز حركة لمساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين، وقدموا عريضة إلى حكومة أوليفر كرمويل (Oliver Cromwell) سنة ١٦٤٩ جاء فيها:

"إن الأمة الإنكليزية مع سكان الأراضي المنخفضة (هولندا) سيكونون أول الناس وأكثرهم استعداداً لنقل أبناء إسرائيل وبناتها على سفنهم نحو الأرض الموعودة لأجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كما يصبح إرثاً دائماً لهم"(٢٢).

وتطورت هذه الدعوة إلى أهداف استراتيجية استعمارية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر؛ فقد عرضت حكومة الإدارة في فرنسا سنة ١٧٩٨ إنشاء كومنولث يهودي في فلسطين في حال نجاح الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت (Napoleon Bonaparte) في احتلال مصر والمشرق العربي، مقابل تمويل اليهود للحملة، إذ كانت الحكومة الفرنسية في ضائقة مالية، ومقابل قيامهم ببث الفوضى والاضطراب في المناطق التي سيرتادها الجيش الفرنسي. ولما وصل نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨ أصدر بياناً حث فيه يهود آسيا وأفريقيا على الالتفاف حول رايته من أجل إعادة مجدهم الغابر، وإعادة بناء مملكة القدس القديمة(٢٣).

---

(٢٢) أمين عبدالله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الكويت، عالم المعرفة، العدد (٧٤) فبراير/ شباط ١٩٨٤، ص١٣.

(٢٣) المرجع نفسه، ص١٤–١٥.

وغدت هذه الفكرة تتردد على ألسنة السياسيين والكتاب في بريطانيا منذ بداية القرن التاسع عشر، أمثال الزعيم الاسكتلندي والقائد العسكري جون ليندسي (John Lindsay) والفيلسوف الإنكليزي ديفيد هارتلي (David Hartley). وتمنى الرئيس الأمريكي جون آدمز (John Adams) (١٧٣٥-١٨٢٦) أن يعود اليهود إلى جبال اليهودية كأمة مستقلة.

وبدأ الإعداد لبسط النفوذ الثقافي والديني والسياسي البريطاني في فلسطين منذ بداية القرن التاسع عشر؛ ففي سنة ١٨٠٤ تأسست في لندن "جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود The London Society for Promoting Christianity Amongst the Jews" والتي عرفت فيما بعد باسم "جمعية اليهود اللندنية The London Jews Society"[٢٤].

وفي بريطانيا نفسها قام لورد شافتسبري (لورد آشلي سابقاً) (١٨٠١-١٨٨٥) بحملة واسعة من أجل إقامة وطن لليهود في فلسطين. وقد تأثر بما جاء في كتاب جيمس بتشينو (James Bicheno) "إعادة اليهود The Restoration of Jews" الذي دعا فيه إلى تجميع اليهود من أنحاء العالم في فلسطين. وأقنع شافتسبري رئيس وزراء بريطانيا بالمرستون (Palmerston) بهذه الفكرة. ولما عقد مؤتمر لندن للنظر في مستقبل محمد علي باشا حاكم مصر سنة ١٨٤٠، عرض بالمرستون مشروع توطين اليهود في فلسطين بعنوان "مشروع أرض بغير شعب لشعب بلا أرض". وحذر

(٢٤) علي محافظة، الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص٢٠.

شافتسبري الحكومة البريطانية من أن تقاعسها قد يدفع روسيا إلى القيام بهذا المشروع[٢٥].

وأقنع شافتسبري بالمرستون بتعيين رفيقه المؤمن بعودة اليهود إلى فلسطين وليم يونغ (William Young) نائب قنصل في القدس سنة ١٨٣٨. وكتب شافتسبري مقالاً من ثلاثين صفحة في مجلة (The London Quarterly Review) بعنوان "الدولة وإحياء اليهود State and Restoration of Jews" جاء فيه: "يجب تشجيع اليهود للعودة بأعداد كبيرة، ليصبحوا مرة أخرى مزارعين في اليهودية والجليل. ومع أنهم باعتراف الجميع، شعب عنيد وذوو قلوب سوداء، وغارقون في الانحطاط الأخلاقي والإثم والجهل بالإنجيل، فهم ليسوا أهلاً للخلاص، ولكنهم ضرورة لأمل المسيحية في الخلاص"[٢٦].

ومن أبرز الشخصيات البريطانية التي دعت وروجت لفكرة الاستعمار اليهودي لفلسطين هنري تشرشل (Henry Churchill) (١٨١٤-١٨٧٧)، ولورنس أوليفانت (Lawrence Oliphant) (١٨٢٩-١٨٨٨)، عضو مجلس العموم البريطاني، الذي دعا إلى استيطان اليهود في منطقة البلقاء في شرق الأردن، وألف كتاب "أرض جلعاد The Land of Gilead" وكتاب "حيفا أو الحياة في فلسطين الحديثة Haifa or Life in Modern Palestine"، ورجل الدين وليم هشلر (William Hischler) (١٨٤٥-١٩٣١) صديق تيودور هرتسل (Theodore Herzl)، ومؤلف كتاب

---

(٢٥) المرجع السابق، ص٢٠.

(٢٦) Ilan Pappé, op. cit., p. 14

"إرجاع اليهود إلى فلسطين حسبما ورد في أسفار الأنبياء The Restoration of Palestine According to the Prophets Jews to" سنة ١٨٨٤[٢٧].

وأنشئ "صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund" سنة ١٨٦٥، برعاية الملكة فيكتوريا ورئيس أساقفة كنتربري لدراسة آثار وتاريخ وجغرافية وجيولوجيا ومناخ فلسطين، وقام سلاح الهندسة الملكي بذلك، وأصدر الصندوق سنة ١٨٩٢ كتاب "المدينة والأرض The City and the Land".

وسعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى منافسة بريطانيا في هذا الميدان، فأنشأت "الجمعية الأمريكية لاستكشاف فلسطين" سنة ١٨٧٠، على غرار صندوق استكشاف فلسطين البريطاني[٢٨].

وهكذا نرى أن بريطانيا بدأت تهيئ نفسها، منذ خروج قوات محمد علي باشا من فلسطين سنة ١٨٤٠، لتصبح الحامية الوحيدة لليهود فيها وفي بقية ولايات الدولة العثمانية، وتسعى إلى تشجيع اليهود للهجرة إلى فلسطين، تمهيداً لقيام كيان سياسي لهم فيها.

وتزامن هذا المسعى البريطاني، مع بداية اهتمام اليهود أنفسهم بفكرة استعمار فلسطين في عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. وكان من أوائل أثرياء اليهود الذين ساهموا في استعمار فلسطين مويس مونتفيوري (Moys Montefiori) (١٧٨٤-١٨٨٥) الذي قابل محمد علي باشا سنة ١٨٣٩، ووعده الأخير بتأجيره

(٢٧) أمين محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين، ص٣٣-٣٦.
(٢٨) المرجع نفسه، ص٤٤.

حوالي مئتي قرية في منطقة الجليل شمال فلسطين لمدة خمسين سنة معفاة من الضرائب، والسماح بإرسال خبراء لتدريب اليهود على أعمال الزراعة والصناعة[٢٩].

وظهر في أوروبا عدد من المفكرين اليهود يدعون إلى تهجير اليهود إلى فلسطين كحل لعداء الحكومات والشعوب الأوروبية للأقليات اليهودية التي تعيش بينهم، ومن أبرز هؤلاء المفكرين يهودا القلعي (Yehuda AlKalai) (١٧٩٨-١٨٧٨) مؤلف كتاب "اسمعي يا إسرائيل" سنة ١٨٣٤، وتسفي كاليشر (Zvi Kalischer) (١٧٩٥-١٨٧٤) مؤلف كتاب "البحث عن صهيون Derishat Zion"، وموزس هيس ( Moses Hess) (١٨١٢-١٨٧٥) مؤلف كتاب "بعث إسرائيل The Revival of Israel" سنة ١٨٦٢، والمعروف بعنوان "روما والقدس Rom and Jerusalem"، وليو بنسكر (Leo Pinsker) (١٨٢١-١٨٩١)، وبيرتس سمولنسكين (Peretz Smolenskin) (١٨٤٢-١٨٨٥) الذي أصدر مجلة ها شاحار (Ha- Shahar) بالعبرية ومعناها "الفجر"، وموشيه ليلينبلوم (Moshe Lilienblaum) (١٨٤٣-١٩١٠) الذي جمع مقالاته التي نشرها بالروسية وترجمها إلى العبرية تحت عنوان "حول بحث اليهود عن أرض أجدادهم"، وإليعيز بن يهودا (Eliezer Ben Yehuda) (١٨٥٨-١٩٢٢) الذي عمل أربعين سنة على إصدار قاموس للعبرية من (١٧) مجلداً. وكان آخرهم تيودور هرتسل (Theodor Herzl) (١٨٦٠-١٩٠٤) مؤسس الحركة الصهيونية، ومؤلف كتاب "دولة اليهود Der Juden Staat" بالألمانية الصادر سنة ١٨٩٦، ورئيس المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بازل (Basel) السويسرية سنة ١٨٩٧[٣٠].

---

(٢٩) المرجع نفسه، ص٦٠.

(٣٠) المرجع نفسه، ص٦٤-١٥٣.

أدرك قادة الحركة الصهيونية أن ليس بإمكانهم تحقيق مشروعهم الاستعماري إلا بتبنيه من قبل دولة كبرى قوية تحميه وتسهل عملية تحقيقه. ولذا اتجهت أنظار هرتسل إلى ألمانيا وحاول إقناع مستشارها بيرنهارد فون بيلوف (Bernhard von Buelow) والقيصر الألماني فيلهلم الثاني (Wilhelm II). ولكن جهوده باءت بالفشل[٣١]. فاتجه نحو بريطانيا، وعقد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن سنة ١٩٠٠.

وبعد موت هرتسل سنة ١٩٠٤ انتقلت قيادة المنظمة الصهيونية العالمية إلى برلين وبقيت فيها طوال الحرب العالمية الأولى وحتى سنة ١٩٢٠، من أجل الضغط على الدولة العثمانية لتبني المشروع الصهيوني، باعتبار ألمانيا الحليف المؤثر على القيادة العثمانية، أنشأت المنظمة الصهيونية لها مكتباً في العاصمة العثمانية تولى رئاسته ديفيد جاكبسون (David Jacobson)[٣٢]. ولم ينجح جاكبسون في الحصول على تصريح من الحكومة العثمانية بتأييد المشروع الصهيوني في فلسطين، على الرغم من الضغوط التي مارستها الحكومة الألمانية عليها.

وفي بريطانيا تولى رئاسة الحركة الصهيونية حاييم وايزمن (Chaim Weizman)، أستاذ الكيمياء الصناعية في جامعة مانشستر (Manchester)، الذي استطاع الحصول على تصريح بلفور في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ الذي تضمن عطف الحكومة البريطانية على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين[٣٣].

---

(٣١) علي محافظة، العلاقات الألمانية- الفلسطينية ١٨٤١- ١٩٤٥، ص١٤٤، ١٤٨.

(٣٢) المرجع نفسه، ص١٦٠-١٦١.

(٣٣) Leonard Stein, The Balfour Declaration, The Magnes Press, The Hebrew University, The Jewish Chronicle Publications, 1961, pp. 113, 116, 462, 465, 470

على الرغم من رفض الدولة العثمانية للمشروع الصهيوني، إلا أن الآلاف من اليهود تدفقوا على فلسطين والقدس بخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحت حماية قناصل الدول الأوروبية في القدس، وانتشار الرشوة بين موظفي الدولة المسؤولين عن الهجرة، واستطاع اليهودي البريطاني السير مويس مونتفيوري الحصول على فرمان من السلطان العثماني عبدالمجيد سنة ١٨٥٤ بالسماح له بشراء أراضٍ في مدينتي القدس ويافا. بلغ عدد سكان القدس، حسب التعداد السكاني العثماني للمدينة سنة ١٨٤٩ (١١٦٨٢) نسمة منهم (٦١٤٨) مسلماً و(٣٧٤٤) مسيحياً و(١٧٩٠) يهودياً[٣٤].

وبسبب تدخل قناصل الدول الغربية في القدس وسفرائها في إسطنبول لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين قررت الحكومة العثمانية إنشاء أول مجلس بلدي في القدس سنة ١٨٦٣، وجعلت سنجق القدس مستقلاً عن ولاية سورية، وأتبعته مباشرة لوزارة الداخلية في العاصمة العثمانية سنة ١٨٧٤. ونمت مدينة القدس، وزاد عدد سكانها من (١٤٣٥٨) نسمة سنة ١٨٧١-١٨٧٢ منهم (٦١٥٠) مسلماً و(٤٤٢٨) مسيحياً و(٣٧٨٠) يهودياً، إلى (١٢٠٩٢١) نسمة سنة ١٩١٤، منهم (٧٠٢٧٠) مسلماً و(٣٢٤٦١) مسيحياً و(١٨١٩٠) يهودياً، حسب الإحصاءات العثمانية[٣٥].

أسفرت الحرب العالمية الأولى عن انتصار الحلفاء وهزيمة دولتي الوسط ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية. وتقدمت القوات البريطانية المرابطة في مصر نحو فلسطين بقيادة الجنرال اللنبي (Allenby)، وفي مساء الثامن من كانون الأول ١٩١٧، استدعى

(٣٤) عبلة المهتدي الزبدة، القدس تاريخ وحضارة، ص٣٧٦ و٣٨١.
(٣٥) المرجع نفسه، ص٣٨٤ و٣٩٣.

متصرف القدس العثماني عزت بك مفتي القدس كامل الحسيني ورئيس بلديتها حسين سليم الحسيني للاجتماع بهما في منزله. وقال لهما: ها قد أحاط الجنود الإنكليز بالقدس، ولا بد أن تسقط عما قريب بأيديهم، ولقد اعتزمت مغادرة المدينة بعد نصف ساعة، وأود أن ألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم ألا وهو تسليم المدينة. ثم ناول رئيس البلدية وثيقة التسليم ليسلمها للإنكليز. وهذا نصها المترجم إلى العربية:

منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس المقدسة لدى كل ملة، فالحكومة العثمانية رغبة منها في المحافظة على الأماكن الدينية من الخراب، فقد سحبت القوة العسكرية من المدينة، وأقامت موظفين للمحافظة على الأماكن الدينية كالقيامة والمسجد الأقصى. وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم على هذا الوجه، فإني أبعث بهذه الورقة مع وكيلي رئيس بلدية القدس حسين بك الحسيني.

١٣٣٣هـ -١٩١٧/١٢/٨

متصرف القدس المستقل/ عزت"

وفي صباح يوم الأحد ١٩١٧/١٢/٩ تم تسليم وثيقة التسليم من قبل رئيس البلدية إلى قائد الفرقة الستين من الجيش البريطاني الجنرال شي (General Shea). ودخلت القوات البريطانية إلى المدينة في الساعة العاشرة والنصف من صباح ذلك اليوم[٣٦].

(٣٦) المرجع نفسه، ص٣٨٤ و٣٩٣، وعلي محافظة، العلاقات الألمانية- الفلسطينية، ص١٧٠-١٧٣.

كان احتلال القوات البريطانية للقدس مادة دعائية كبرى لرئيس وزراء بريطانيا لويد جورج (Lloyd George)، فقد أعلن ذلك في مجلس العموم البريطاني في العاشر من كانون الأول. ونشرت الصحف البريطانية النبأ في اليوم التالي بحماسة واضحة. وجاء في افتتاحية صحيفة (The Glasgow Herald): "إن أخذ القدس مؤشر على نهاية حقبة من الظلام والانحطاط وفقدان الأمل، وبداية عهد من النور والأمل، كما كان يحلم به الأنبياء من زمن بعيد". وتوقعت صحيفة (The Times) اللندنية "نظاماً جديداً في الأراضي المقدسة يقوم على مبادئ الاستقامة والعدالة". وقرعت أجراس الكنائس في الجزر البريطانية احتفالاً بالنصر(٣٧).

في أعقاب احتلال القدس، وجه حاييم وايزمن كتاباً إلى بلفور يطالبه بتسليم حائط المبكى (حائط البراق) لليهود بقوله: "إنه المكان المقدس الوحيد المتبقي لنا نحن اليهود، إذ إن معظم نصبنا المقدسة في مدينتنا المقدسة هي في أيدي جالية مغربية متدينة". وأنهى كتابه بطلب ترحيل المغاربة من الحي الذي يقيمون فيه. تقدم حاكم القدس العسكري رونالد ستورز (Ronald Storrs) إلى مفتي القدس باسم وايزمن ونيابة عنه بطلب رصيف المبكى وليس الحائط. وكان جواب المفتي أن تلك الأرض وقف إسلامي، وأنها غير قابلة للبيع تحت أي ظرف حتى للمسلمين أنفسهم. وأرسل وايزمن يهودياً مغربياً يحمل عرضاً مالياً ضخماً إلى ناظر الوقف، وكان جواب الناظر الرفض المطلق. أفزعت هذه الأنباء قادة المسلمين في القدس الذين ألفوا في الحال منظمة لحماية المسجد الأقصى(٣٨).

---

(٣٧) James Barr, Setting the Desert on Fire, T.E. Lawrence and British Secret War in Arabia 1916– 1918, New York, Norton Paperback, 2009, p. 215

(٣٨) عبداللطيف الطيباوي، الأوقاف الإسلامية بجوار المسجد الأقصى بالقدس: أصلها وتاريخها واغتصاب إسرائيل لها، ترجمة عزت جرادات، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، عمان، ١٩٨١، ص٣٦-٣٧.

وفي الأول من تموز سنة ١٩٢٠ عينت الحكومة البريطانية اليهودي الصهيوني هربرت صموئيل (Herbert Samuel) مندوباً سامياً على فلسطين وشرق الأردن، قبل موافقة عصبة الأمم على صك الانتداب البريطاني عليهما بسنتين، فكان بداية مشؤومة للإدارة المدنية للبلاد التي حلت محل الإدارة العسكرية للانتداب البريطانية. وبقي صموئيل خمس سنوات في منصبه هذا، فوضع الأسس لتنفيذ تصريح بلفور الذي تضمنه صك الانتداب على فلسطين(٣٩).

في السنوات العشر الأولى من الحكم البريطاني في فلسطين، قام اليهود بمحاولات عديدة لتثبيت حقهم في حائط المبكى، كموقع ديني يهودي مقدس. وفي سنة ١٩٢٨، دعت الحكومة البريطانية المجلس الإسلامي الأعلى ومجلس الحاخامين الرئيسي في فلسطين لتقديم الأدلة الوثائقية التي يمتلكونها حول هذه المسألة. تمكن المجلس الإسلامي الأعلى من تقديم الوثائق المتعددة التي تثبت أن المكان وقف إسلامي، بينما فشل مجلس الحاخامين في تقديم أية أدلة تثبت حقه في حائط المبكى. وفي ١٥ آب ١٩٢٩، يوم الذكرى السنوية لتدمير الهيكل عند اليهود، جاء مئات من الهاغاناه (منظمة الشبيبة اليهودية شبه العسكرية) من تل أبيب إلى القدس، ولما وصلوا إلى حائط المبكى رفعوا العلم الصهيوني، وأنشدوا النشيد القومي اليهودي، واستمعوا لخطب سياسية، وهتفوا بشعارهم "الحائط لنا". وفي ٢٣ آب حدثت الاضطرابات الدموية في القدس والمدن الفلسطينية الكبرى. وتشكلت لجنة دولية برئاسة وزير خارجية السويد الأسبق إيليل لوفجرين لدراسة الموضوع من قبل عصبة الأمم، واتخذت قراراً في كانون الأول ١٩٣٠ باعتبار حائط المبكى (البراق) وقفاً

(٣٩) المرجع نفسه، ص٣٧-٣٨.

إسلامياً وكذلك الرصيف المجاور لحي المغاربة في القدس. وفي ٤ حزيران ١٩٣١، صدر قرار من حكومة فلسطين بالمصادقة على قرار اللجنة الدولية المذكور. ونشر في الجريدة الرسمية في ١٩٣١/٦/٨، وأصبح قانوناً معترفاً به محلياً ودولياً(٤٠).

فتحت حكومة الانتداب البريطانية أبواب فلسطين للهجرة اليهودية إليها من جميع أنحاء العالم حتى ١٥ أيار ١٩٤٨ نهاية الانتداب. وكانت ردود الفعل الفلسطينية الاحتجاجات والإضرابات والمظاهرات والثورات وخاصة ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩. وقاومت سلطات الانتداب ردود الفعل الوطنية العربية في فلسطين، وقمعت الاحتجاجات والإضرابات والمظاهرات، واستقدمت (٨٠) ألف جندي بريطاني للقضاء على ثورة فلسطين الكبرى. ولما أصبح عدد اليهود في فلسطين حوالي ثلث مجموع سكانها، وتأكدت بريطانيا من توفر الظروف الملائمة لقيام كيان سياسي يهودي في البلاد قررت الانسحاب من فلسطين، وعرض القضية الفلسطينية على هيئة الأمم المتحدة في نيسان ١٩٤٧. وكانت في هذه الأثناء قد حلت الولايات المتحدة الأمريكية محل بريطانيا في دعم المشروع الصهيوني ومساندته مالياً وعسكرياً ودبلوماسياً. ونجحت في اتخاذ قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإقامة دولة إسرائيل. وعلى الرغم من أن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ قد تضمن اعتبار القدس وضواحيها منطقة محايدة ومجردة من السلاح، وتحت إشراف دولي، وبإدارة حاكم تعينه الأمم المتحدة من أجل ضمان وصيانة الأماكن المقدسة والأبنية الدينية ومواقعها، إلا أن الوكالة اليهودية تحدت هذا القرار واحتلت قواتها القدس الغربية التي تضم الأحياء العربية: الطالبية والقطمون

(٤٠) المرجع نفسه، ص٤١-٤٥ و٤٨.

والبقعة، وأحكمت الطوق على المدينة. ولولا تدخل الجيش العربي الأردني في ١٨ أيار ١٩٤٨ الذي حمى المدينة المقدسة، لسقطت في أيدي الصهاينة[٤١].

قامت دولة إسرائيل على العديد من الخرافات والأساطير والأكاذيب. أول هذه الأكاذيب أن فلسطين بلاد خالية من السكان، وثانيها أن اليهود شعب بلا وطن. وقد فند هاتين الكذبتين المؤرخ اليهودي شلومو ساند (Shlomo– Sand) بكتابه "اختلاق الشعب اليهودي The Creation of the Jewish People" الصادر سنة ٢٠١٠ عن دار النشر (Verso) في لندن. وثالث هذه الأساطير هو أن الصهيونية هي اليهودية. والواقع أن الصهيونية مجرد تعبير ثانوي عن الحياة الثقافية اليهودية. ورابع هذه الأساطير أن الصهيونية ليست استعماراً، والحقيقة أن الحركة الصهيونية حركة استعمارية استيطانية اغتصبت أرض شعب آخر وطردته منها. وهي تتبنى منطق الإبادة لإزالة السكان الأصليين والتطهير العرقي. والأسطورة الخامسة أن الفلسطينيين قد غادروا بلادهم بإرادتهم سنة ١٩٤٨. وقد رد على هذه الأسطورة المؤرخ نور مصالحة من فلسطينيي سنة ١٩٤٨ في إسرائيل بكتابه " Explusion of the Palestinians تحرر الفلسطينيين" الصادر سنة ١٩٩٢. والأسطورة السادسة أن الحرب العربية– الإسرائيلية سنة ١٩٤٨ كانت حرباً بين داود وجالوت. والأسطورة السابعة أن إسرائيل مدت يدها للسلام فرفضها الفلسطينيون والدول العربية، وقد بيّن المؤرخ اليهودي البريطاني الجنسية العراقي الأصل آفي شلايم (Avi Shlaim) كذب هذه الأسطورة في كتابه "الجدار الحديدي The Iron Wall" ورفض قادة إسرائيل منذ نشأة الدولة السلام مع العرب. وأكد المؤرخ الإسرائيلي (Ilan Pappé) في كتابه "التطهير العرقي في إسرائيل The Ethnic Cleansing of Palestine" الصادر

---

(٤١) المرجع نفسه، ص٥٠–٥٢.

سنة ٢٠٠٦ أن أعمال إسرائيل الحربية سنة ١٩٤٨ ترقى إلى مستوى جرائم حرب. والأسطورة الثامنة أن حرب حزيران سنة ١٩٦٧ كانت حرب الضرورة، فقد فرضت هذه الحرب على إسرائيل احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة والاحتفاظ بهما رهينة حتى يقبل العالم العربي والفلسطينيون بإقامة السلام مع إسرائيل. وفضح إيلان بابيه هذه الأسطورة أو الكذبة الكبرى مبيناً أن قادة إسرائيل سعوا منذ مطلع الستينيات من القرن العشرين وخططوا لإقامة إسرائيل الكبرى. وبعد حرب ١٩٦٧ ضمت القدس الشرقية إليها وهضبة الجولان، وأنشأت مئات المستعمرات على أرض الضفة الغربية وقطاع غزة. والأسطورة التاسعة هي أن إسرائيل الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط. إسرائيل الدولة التي تدعي الديمقراطية يخضع خمس سكانها –وهم من الفلسطينيين– للحكم العسكري وتطبق عليهم أنظمة وتعليمات الإدارة العرفية في عهد الانتداب البريطاني، ويحرمون من الحقوق المدنية والإنسانية. وتمارس إسرائيل جميع أنواع التمييز العنصري ضد الفلسطينيين. والأسطورة العاشرة هي أسطورة أوسلو القائلة إنها عملية سلام حقيقية، إلا أن ياسر عرفات سعى عن قصد إلى إفشالها بإثارة الانتفاضة الفلسطينية الثانية. والأسطورة الحادية عشرة هي أسطورة غزة، إذ اعتبرت إسرائيل انسحاب قواتها من غزة مبادرة سلام حقيقية أو مصالحة. والواقع أن الانسحاب كان جزءاً من استراتيجية تهدف إلى تقوية قبضة إسرائيل على الضفة الغربية وتحويل قطاع غزة إلى سجن كبير يمكن مراقبته جيداً من الخارج. والأسطورة الثانية عشرة هي: حلُّ الدولتين هو السبيل المتاح في المستقبل. إن ما فعله الاستعمار الإسرائيلي في الضفة الغربية يجعل رؤية حل الدولتين مستحيلة[٤٢].

(٤٢) Ilan Pappé, Ten Myths About Israel, London, Verso, 2017، وعلي محافظة، قرأت لك، إعداد وتحرير عبدالله العساف، عمان، دار دجلة، ٢٠١٨، ص٣٣٦–٣٦٨.

وبعد ضم القدس إلى الأراضي الإسرائيلية في ٢٧ حزيران ١٩٦٧ واستيلاء إسرائيل على معظم الأوقاف الإسلامية فيها، استنكرت منظمة الأمم المتحدة الإجراءات الإسرائيلية، وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارين: الأول في الرابع من تموز ١٩٦٧، والثاني في الرابع عشر منه بعدم قانونية جميع الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة المقدسة وطالبتها بالتراجع عنها. وقرر مجلس الأمن الدولي في ٢١ أيار ١٩٦٨ تأكيد قراري الجمعية العامة السابقين، كما أكد مبدأ عدم إقرار الاستيلاء على أرض الغير بالحرب، وأن جميع الإجراءات القانونية والإدارية التي من شأنها أن تغير الأوضاع الشرعية لمدينة القدس تعتبر باطلة. وطالب المجلس إسرائيل بأن تتوقف عن تلك الإجراءات(٤٣).

عملت إسرائيل أيضاً على تهويد القدس الشرقية، وطمس معالم الحضارة العربية والإسلامية فيها، وتكرار الاعتداءات على المسجد الأقصى. وفي صباح يوم ٢١ آب ١٩٦٩ قام المجرمان الإسرائيليان دنيس مايكل (Denis Michael) ووليم روهان (William Rohan) بحرق المسجد الأقصى. وبلغت مساحة الجزء المحترق من المسجد (١٥٠٠) متر مربع.

لقد عبر الشاعر محمد جواد فضل الله عن مشاعر الأمة تجاه هذا الحادث الأليم بقوله:

إن شـبت النـار فـي أسـتار قبتـــه  فمــن لظاهـــا علــى أكبادنــا نـــار

(٤٣) عبداللطيف الطيباوي، الأوقاف الإسلامية بجوار المسجد الأقصى بالقدس، ص٦٠-٦٤.

تحـــوم أرواحنـــا مـــن حولـــه شـــغفاً ويفتديـــــه بـــذوب الأنفـــس الثـــار

ســور لــه مــن ضــحايانا ســتحكمه إذا تهــاوت لــه بالغــدر أســوار[٤٤]

وصدر على أثر ذلك قرار من مجلس الأمن الدولي في ١٩٦٩/٩/١٥ أكد أن القدس مدينة تحت الاحتلال العسكري الإسرائيلي. وطالب المجلس إسرائيل بمراعاة قرارات مؤتمرات جنيف والقوانين الدولية المتعلقة بالاحتلال العسكري[٤٥].

وبدأ التنقيب عن الآثار تحت المسجد الأقصى منذ سنة ١٨٦٣ وطوال عهد الانتداب البريطاني على فلسطين بحثاً عن آثار تؤكد ما ورد في العهد القديم من قصص وأساطير وعن هيكل سليمان المزعوم، دون التوصل إلى أي نتيجة إيجابية. واستمر الإسرائيليون في التنقيب تحت المسجد منذ سنة ١٩٦٧ وحتى سنة ٢٠٠٨. وقد أثار هذا التنقيب حفيظة الدكتورة كاثلين كينون، مديرة معهد الآثار البريطاني في القدس، وأستاذة علم الآثار في جامعة أكسفورد ببريطانيا، التي قالت: "إن عملية الحفريات الإسرائيلية التي تجريها إسرائيل حول الحرم القدسي لهي أبشع حفريات لتدمير التاريخ القديم، وإن إتلاف البنية الإسلامية التي بنيت في العصور الوسطى جريمة كبرى، ولا يعقل أن يتم تشويه الآثار بمثل هذه الحفريات"[٤٦].

---

(٤٤) عزت جرادات، تاريخ القدس وحاضرها: ص١٦٣-١٦٤.

(٤٥) المرجع نفسه، ص٦٤-٦٥، وأنور محمود زناتي، تهويد القدس، محاولات التهويد والتصدي لها من واقع النصوص والوثائق والإحصاءات، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠، ص٦٣-٧٠.

(٤٦) أنور محمد زناتي، تهويد القدس، ص٦٨.

فقد هدمت السلطات الإسرائيلية حي المغاربة في القدس الشرقية ليتسع للمصلين اليهود أمام حائط المبكى. وقد غيّر الإسرائيليون الأسماء العربية الإسلامية والمسيحية والكنعانية واليبوسية والعمورية للمدن والقرى والجبال والأودية والأنهار والينابيع والمواقع والشوارع والطرق والأبنية والساحات العامة إلى أسماء يهودية، وحتى أبواب مدينة القدس، وهودت التعليم في القدس الشرقية(٤٧).

ويوجد حالياً على الساحة الإسرائيلية ما يربو على ثلاثين منظمة متطرفة وإرهابية تمارس العنف والإرهاب ضد العرب الفلسطينيين وضد العناصر اليهودية المنادية بالسلام من اليساريين وغيرهم، وتشجع على الاستيطان في القدس والأراضي العربية المحتلة، وطرد الفلسطينيين من منازلهم والحلول محلهم، وإقامة الصلوات اليهودية في المسجد الأقصى وساحاته، وإقامة الهيكل اليهودي في الحرم القدسي، والاستيلاء على المسجد الأقصى وقبة الصخرة أو العمل على نسفه وتدميره. ومعظم أعضاء هذه المنظمات من ضباط وأفراد الجيش الإسرائيلي المتقاعدين أو الاحتياط(٤٨).

وردّاً على هذه الإجراءات قرر مجلس الأمن الدولي (قرار رقم ٤٦٥) في ١٩٨٠/٣/١، "أن جميع الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير المعالم الجغرافية والبنيوية والسكانية في الأراضي الفلسطينية والعربية التي احتلتها سنة ١٩٦٧، بما في ذلك القدس أو أي جزء منها لن تكون لها أية قيمة قانونية وأن سياسة إسرائيل وممارستها الهادفة إلى نقل أو إسكان مهاجريها ومواطنيها في تلك الأراضي تعتبر انتهاكاً صارخاً لاتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية السكان المدنيين إبان الحرب".

---

(٤٧) المرجع نفسه، ص٦٩ و٨٩-٩٣ و٩٨-١٠٣.

(٤٨) عزت جرادات، تاريخ القدس وحاضرها، ص٢٢٦-٢٣٨.

وفي ١٩٨٠/٦/٣٠، أكد مجلس الأمن الوضع الخاص لمدينة القدس ووجوب المحافظة على أبعادها الروحية والدينية الفريدة والأماكن المقدسة فيها. وأكد قراراته كافة التي تدعو إلى إنهاء احتلال القدس وباقي الضفة الغربية[٤٩].

وأصبحت قضية القدس لأول مرة كبند مستقل على جدول أعمال مؤتمرات القمة العربية في مؤتمر قمة الجزائر سنة ١٩٧٣، فقد اتخذ مؤتمر الجزائر قراراً نص على تحرير مدينة القدس وعدم القبول بأي وضع من شأنه المساس بسيادة العرب الكاملة على المدينة المقدسة. وأكدت مضمون هذا القرار مؤتمرات قمة الرباط سنة ١٩٧٤ وقمة بغداد سنة ١٩٧٨، وقمة تونس سنة ١٩٧٩، وقمة عمان سنة ١٩٨٠، وقمة فاس سنة ١٩٨٢، وقمة الدار البيضاء سنة ١٩٨٥، وقمة بغداد الطارئة سنة ١٩٩٠، وقمة القاهرة سنة ١٩٩٦، وقمة القاهرة سنة ٢٠٠٠ التي أطلق عليها قمة الأقصى. وقد استحدث هذا المؤتمر إنشاء صندوق القدس برأس مال مقداره (٨٠٠) مليون دولار لتمويل مشاريع تحافظ على الهوية العربية والإسلامية للقدس وللحيلولة دون طمسها. كما أنشأ صندوق انتفاضة القدس برأس مال مقداره (٢٠٠) مليون دولار يخصص للإنفاق على أسر الشهداء الفلسطينيين في الانتفاضة وتهيئة السبل لرعاية أبنائهم وتعليمهم.

وفي قمة عمان سنة ٢٠٠١ أكد القادة العرب تمسكهم بقرارات مجلس الأمن الدولي المتعلقة بالقدس، وتكرر ذلك في قمة بيروت سنة ٢٠٠٢[٥٠].

---

(٤٩) أنور محمد زناتي، تهويد القدس، ص١٩٠-١٩٣.
(٥٠) عزت جرادات، تاريخ القدس وحاضرها، ص١٩٦-٢٠٣.

وأسفر حريق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ عن انعقاد أول مؤتمر قمة إسلامي في الرباط، وصدر عن مؤتمر القمة الإسلامي السادس إنشاء لجنة القدس برئاسة الملك الحسن الثاني، ملك المغرب، وعضوية (١٥) دولة إسلامية على مستوى وزراء الخارجية، يتم انتخابها لثلاث سنوات لدراسة وضع القدس ومتابعة تنفيذ القرارات الخاصة بالقدس المصادق عليها من قبل مؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية[٥١].

لم تكتف إسرائيل بما فعلت في القدس وبقية الأراضي العربية المحتلة، ولتقطيع أوصال الضفة الغربية ووضع العراقيل للاتصال بين مدنها وقراها، أنشأت جدار الضم على طول حدود الهدنة سنة ١٩٤٩، بدءاً من ١٦ حزيران ٢٠٠٢، فالتهم هذا الجدار (٥٨) في المئة من مساحة الضفة الغربية، وأحاط هذا الجدار بالقدس وعزلها عن الضفة الغربية وأحاطها بالمستعمرات الاستيطانية. واستولى الجدار على (١٠٧) كيلومترات مربعة من مساحة الضفة الغربية، وعلى (٣١) بئراً ارتوازياً، وعزل (١٦) قرية يسكنها (١٢) ألف نسمة أصبحوا معزولين بين الجدار والخط الأخضر[٥٢].

كانت مساحة المنطقة الخاضعة لبلدية القدس الغربية نحو (٣٨) ألف دونم، ضمت إسرائيل إليها في ١٩٦٧/٦/٢٨ (٧٣) ألف دونم من الأراضي العربية التي شملت (٢٨) قرية عربية. أما الأحياء الاستيطانية التي بناها الإسرائيليون شمال القدس وجنوبها فقد استوعبت حتى (١٦٨) ألف نسمة حتى سنة ١٩٩٣[٥٣].

---

(٥١) المرجع نفسه، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٥٢) أنور محمود زناتي، تهويد القدس، ص١٠٣-١١٠.

(٥٣) سمير الزبن ونبيل السهلي، القدس معضلة السلام، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد (٧)، أبو ظبي، الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ١٩٩٧، ص٣٣-٣٧.

لم يرد ذكر في اتفاق أوسلو (أيلول ١٩٩٣) لمدينة القدس. ولم يحل الاتفاق دون استمرار إسرائيل في تهويد القدس ومصادرة ممتلكات سكانها العرب والاعتداءات المتواصلة على مقدساتها الإسلامية والمسيحية.

يفخر المقدسيون بمقاومة الاحتلال من خلال "الرباط والمرابطة" والاعتكاف في المسجد الأقصى لمواجهة اقتحامات المستوطنين والمنظمات الصهيونية المتطرفة والإرهابية. ومارسوا بناء خيم الاعتصام، مثل خيمة اعتصام جبل أبو غنيم وخيمة اعتصام بيت حنينا وخيمة حي البستان في سلوان، وخيمة اعتصام النواب المقدسيين بين ٢٠١٠/٧/١ و٢٠١٢/١/٢٣. ومارسوا رفع الأعلام الوطنية الفلسطينية، وكتابة الشعارات على الجدران، والإضرابات العامة والجزئية، وضرب المستوطنين وقوات الاحتلال بالحجارة وقنابل المولوتوف وإحراق المركبات الإسرائيلية، دفاعاً عن أنفسهم. واستعملوا السلاح الأبيض. وبلغ عدد شهداء القدس بين اندلاع الانتفاضة الأولى سنة ١٩٨٧ وتوقيع اتفاق أوسلو في ١٩٩٣/٩/١٣ (١٠٢) مئة وشهيدين، وقدمت القدس بين سنتي ١٩٩٤ و٢٠٠٠ (١٣) شهيداً. وشهدت القدس في الانتفاضة الثانية بين ٢٠٠٠/٩/٢٨ و٢٠٠٤ (٦٩) عملية عسكرية منها (٤١) عملية استشهادية و(١٧) عملية إطلاق نار و(٣) عمليات طعن بالسكاكين. وبلغ عدد شهداء القدس خلالها (٥٥) شهيداً، وسقط في سنة ٢٠٠٧ (١٢) شهيداً. وفي انتفاضة القدس الأخيرة (١٠/١- ٢٠١٥/١٢/٣١) استشهد (٣٧) وجرح (١٥٦٩) من سكانها[٥٤].

(٥٤) خالد إبراهيم أبو عرفة، المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي في بيت المقدس ١٩٨٧-٢٠١٥، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٧، ص٨٤-١٥٩.

والسؤال الذي يطرح دوماً هذه الأيام: هل ستبقى القدس رهينة الاحتلال الإسرائيلي، بعد أن اعترفت الولايات المتحدة بها عاصمة لإسرائيل ونقلت سفارتها من تل أبيب إليها في هذه السنة، وأعلنت عن صفقة القرن حلّاً نهائياً للقضية الفلسطينية، متحدية القانون الدولي وقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة؟

صحيح أن الأمة العربية قد شهدت خلال العقود الزمنية الثلاثة الأخيرة ضعفاً شديداً، وتفككاً مريعاً، وفرقة مذهلة. وظهرت على ساحاتها الداخلية ميليشيات متحاربة باسم الدين والمذهب تارة، وباسم القبيلة والمنطقة تارة أخرى. تتلقى هذه الميليشيات السلاح والمال من دول عربية شقيقة، ومن دول الإقليم المجاورة لنا والدول الكبرى الطامعة في السيطرة على ثرواتنا ومقدراتنا. وارتفعت رايات هذه الميليشيات في مصر وليبيا واليمن وسورية والعراق وأقطار المغرب العربي. وامتد نشاطها إلى القارتين الأفريقية والأوروبية. ولحق الدمار والقتل والإبادة الجماعية بأقطار عربية عديدة. ولم تعش الأمة أياماً أشد سواداً من أيامنا هذه. وتعمقت الأزمة حتى دخلت كل بيت، وشملت الحكام والمحكومين. وتشعبت، فهي أزمة سياسية داخلية وخارجية. وقد فشلت أنظمة الحكم العربية في بناء الدولة الحديثة، دولة القانون والمشاركة الشعبية في الحكم، وفرضت الحكم الفردي المطلق على شعوبها. واستغلت هذه الشعوب نخب حاكمة همها التسلط والتشبث بالحكم والكسب غير المشروع، والثراء الفاحش على حساب الفئات الفقيرة. وقمعت كل دعوة ومحاولة للإصلاح باللجوء إلى العنف والاعتقال والسجن والتعذيب والقتل.

وهي أزمة خارجية تمثلت في عجزِ أنظمة الحكم العربية عن حماية أوطانها والاستعانةِ بالقوى الخارجية لحمايتها، وإقامة القواعد العسكرية الأجنبية على أراضيها، والتبعية العلنية لهذه القوى، وتخاذلت أمام إسرائيل، ولم تستح بإعلان التطبيع معها،

واستقبال رئيس وزرائها وكبار المسؤولين فيها. وانهار التضامن العربي، وغدت جامعة الدول العربية منتدًى خاصاً للدول النفطية.

وهي أزمة اقتصادية تمثلت في عجز أنظمة الحكم العربية عن تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة والمستدامة، واستمرار حالة التخلف، وفشل محاولات تجديد البنى الاجتماعية والإدارية والسياسية للمجتمعات العربية، وظل معيار الانتماء الأسري والعشائري والإثني والطائفي، فضلاً عن الولاءات الشخصية، المعيار المعتمد للحصول على المراكز السياسية والإدارية والمواقع الاجتماعية، وليس معيار الكفاءة والإنجاز. وبقيت المحسوبية والدوافع العاطفية والمصالح الشخصية تسود مجتمعاتنا المتخلفة، بدلاً من سيادة القانون والعقلانية، كموجهات للسلوك الاجتماعي ونمط التفكير. وظلت الأقطار العربية مرتبطة بمراكز الرأسمالية العالمية في الغرب الصناعي، واقتصادها مرتهناً للقوى الاقتصادية الدولية الفاعلة.

واتسمت المجتمعات العربية بتدني نسبة مساهمة القوى العاملة في النشاط الاقتصادي، وانتشار البطالة التي بلغت (١٧,٤) بالمئة من إجمالي القوى العاملة سنة ٢٠١٣، مقارنة بالمتوسط الدولي البالغ (٥,٧) بالمئة، وضآلة نسبة مساهمة المرأة في النشاط الاقتصادي التي لم تتجاوز (٢٩) بالمئة سنة ٢٠١٠. وزاد الطين بلة تفاقم المديونية الخارجية العربية، إذ ارتفعت قيمة الدين الخارجي من (١٤٣,٨) مليار دولار سنة ٢٠٠٠ إلى (١٧٦,٢) مليار دولار سنة ٢٠١١. أما الدين العام فقد ناهز (٥٩٠,٦) مليار دولار سنة ٢٠١٣، وارتفعت نسبته إلى الناتج المحلي لتبلغ (٥٢,٥) بالمئة[٥٥].

وهي أزمة ثقافية تدور حول هوية الفرد وهوية المجتمع وهوية الأمة. هل نحن مسلمون أولاً أو مسيحيون أو صابئة أم عرب؟ وهل نحن مسلمون سنة أولاً أم مسلمون

---

(٥٥) علي محافظة، الانتفاضة الثورية العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٧، ص١٨٨.

شيعة؟ وهل نحن سلفيون أولاً أم مسلمون وهابيون أولاً؟ وهل انتماؤنا للوطن أم للدين أم للمذهب؟ وهل العروبة عرق أم انتماء ثقافي؟ وهل ننتمي أولاً إلى عشائرنا وقبائلنا أم إلى المناطق الجغرافية التي ولدنا فيها أو نعيش فيها؟ هذه الأسئلة طرحناها على بساط البحث والنقاش قبل مئة عام ونيف مع بداية نهضة العرب القومية، وعدنا نطرحها من جديد متجاهلين قرناً من الزمن نمت فيه المشاعر القومية وتجذرت في النفوس والعقول.

بهذه الأسئلة ندرك أن مجتمعاتنا العربية قد تمزقت نسجها، وتقطعت أوصالها، وبترت روابطها التاريخية بفعل الحروب الأهلية، وتمرغت سمعة العرب في الأوحال، وتلوثت صورة الإسلام على يد الإسلام السلفي الجهادي الحالي.

حال الأمة هذه تجعل الإجابة عن مصير القدس أمراً في غاية الصعوبة والتعقيد. وتبعث في النفوس اليأس والإحباط. ولكن من يدرس تاريخ هذه الأمة يعرف أنه من حلكة الظلام انبعث نور الأمل والنصر، ومن حالة اليأس والقنوط انبثق الإيمان بالمستقبل الزاهر، ومن الفرقة والتناحر والفوضى انطلق النداء نحو الوحدة والتضامن والقوة، باعتبارها سبيل النصر ودحر الغزاة والمعتدين. إن أمتنا أمة حية لا تموت ويقظتها ونهوضها قادمان إن شاء الله. لقد تعرضت القدس وفلسطين للغزو الصليبي والتتاري في ظروف مماثلة لظروف أمتنا الحالية، ولكن القوى الحية في هذه الأمة تصدت للغزاة وأخرجتهم من البلاد.

وأعتقد أن نهوض أمتنا قد اقترب، فشعوبها لم تعد تقبل العلاقة الراهنة بين الحكام والمحكومين، ولم تعد ترضى بإثارة الفتن المذهبية، والنزاعات القبلية، والخلافات

الجهوية. ولا بد من العودة إلى التضامن العربي، وإبداء المزيد من التعقل والحكمة لدى القادة السياسيين، والإدراك الواعي للأخطار التي تهددهم وتهدد شعوبهم، وللأطماع الأجنبية في خيرات وثروات بلدانهم. وعليهم أن يعلموا أن الاستعانة بالقوى الأجنبية لحماية عروشهم ومواقعهم قد جلبت لأسلافهم المذلة والخضوع لإرادة الأجنبي، والهيمنة على مقدرات بلدانهم لعقود طويلة من الزمن. وعليهم أن يتعلموا، ولو لمرة واحدة، العبر والدروس من ماضيهم وتاريخهم القريب.

أما الأزمة الاقتصادية فلا تحل إلا بالاقتناع التام بالتكتل الجماعي وتفعيل آليات العمل الاقتصادي العربي المشترك في مجالات التجارة والتمويل والاستثمار، وتوفير الأيدي العاملة الرخيصة والأيدي الماهرة النشيطة، ورجال الأعمال الأذكياء، والطبقة السياسية التي تستجيب لحاجات مجتمعاتها. ولا بد للعرب من بناء اقتصاد يتاح فيه للقطاع الخاص ممارسة نشاطه الذي يتناسب مع حوافز المبادرة الفردية وغاياتها، ويحقق الموازنة بين الأبعاد الدولية والإقليمية والعربية في العلاقات الاقتصادية.

وعلى الصعيد الثقافي ما تزال العروبة، كانتماء ثقافي، الفكرة التأسيسية الكبرى القادرة على التجميع ولمّ الشمل.

أما إسرائيل، هذا الكيان الغريب الذي زرعته القوى الاستعمارية الغربية في جسد الأمة العربية، والذي بات يهدد وجودنا وحياتنا ويشكل خطراً دائماً على مستقبلنا، فعلى الرغم من قوتها العسكرية، وامتلاكها المئات من القنابل النووية، والتقدم العلمي والتكنولوجي الذي حققته، فإن مصيرها إلى زوال. فهي آخر الكيانات الاستعمارية الاستيطانية في العالم، وآخر أنظمة العزل العنصري فيه، وبحكم طبيعتها العدوانية

التوسعية لا بد أن تثير القوى الحية في أمتنا فتتصدى لها. وصراعنا معها، على الرغم من حالة الضعف والتردي التي تسود أمتنا حالياً، هو صراع وجود، ولا يمكن أن تقبل بسلام عادل مع أمتنا، فهي تطالب دوماً بالهيمنة والسيطرة علينا وعلى بلادنا، ولا تقبل إلا إذلالنا وخضوعنا لأطماعها، لأنها لا تعترف بنا كبشر مساوين لها وأنداداً. لقد تنبأ بزوالها المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي في محاضراته وأحاديثه في المؤتمرات والندوات التي تناولت تاريخ الشرق الأوسط ومستقبله.

وهذا يعقوب شاريت، ابن موشيه شاريت، الذي كان وزيراً للخارجية ورئيساً للوزراء في الكيان الصهيوني في النصف الأول من عقد الخمسينيات من القرن العشرين، يؤلف كتاباً بعنوان "إسرائيل إلى زوال Israel is Going to be Vanished" بالإنكليزية، وترجم إلى العربية سنة ١٩٩١، ويعقوب هذا كاتب ومفكر إسرائيلي، توصل من خلال متابعته ما حصل في إسرائيل من قيامها سنة ١٩٤٨ إلى الاقتناع بحتمية زوال دولة إسرائيل. فهو يرى أن دولة إسرائيل مرحلة من مراحل تاريخ اليهود، ولا بد أن تكون لها نهاية، وأيامها معدودة، لأنها تسير بأقصى سرعة إلى نهايتها، وهي ترتدي لباس وحش مخيف.

وهو يرى أن العرب لا يمكن هزيمتهم وإبادتهم لكثرتهم واتساع مساحات أوطانهم، وهذه حقيقة ثابتة ودائمة. ويطرح سؤالاً مهماً: ما الفائدة من إقامة دولة يهودية، وما الغاية من وجودها؟ هل نسعى لإقامة دولة تعيش في حصار مئة عام أخرى؟ دولة، تعيش في نزاع عسكري دائم مع جيرانها؟ يقول يعقوب شاريت: "لم يقم اليهود دولة إسرائيل المنشودة، وإنما أوجدوا مخلوقاً بشعاً مسلحاً من رأسه حتى أخمص قدميه، من

العصا حتى القنبلة النووية، يدعى إسرائيل". ويقول أيضاً: "إن إسرائيل بتوجهها النووي تؤكد للعالم بأن تقديراتها تقول إن السلام لن يسود بينها وبين جيرانها إلى الأبد".

يواصل يعقوب شاريت حديثه: "في كل عقد من الزمن ينشأ في إسرائيل جيل جديد متعطش للمغامرات العسكرية. وينسى هؤلاء أن الوجود اليهودي في فلسطين لم يكن ليصبح دولة لولا الانتداب البريطاني ولولا وعد بلفور. ولم تكن دولة إسرائيل لتقوم وتبقى لولا الضغط الأمريكي في أعقاب الحرب العالمية الثانية. ولم تكن إسرائيل لتبقى على وجه البسيطة لولا المساعدات والمنح والقروض التي تلقتها، ولا زالت تحصل عليها من الولايات المتحدة الأمريكية، ولولا التعويضات المالية التي تحصل عليها من ألمانيا الاتحادية، ولولا الأسلحة التي اشترتها من فرنسا وبريطانيا ودول أخرى. إن حدوث تحول شديد في الرأي العام العالمي الذي قد يحدث نتيجة للتصرفات الإسرائيلية الفاشية والإمبريالية من شأنه جعل إسرائيل تواجه وضعاً نفسياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً أصعب من أن تتحمله، وسيجعل منها فريسة سهلة تغري أعداءها ويجعلها عرضة للخراب والدمار".

يقول يعقوب شاريت: "إن الدعاية الإسرائيلية تردد صباح مساء أن إسرائيل ثروة استراتيجية عظيمة القيمة وحيوية للدول الغربية. فهي تعرض نفسها بمثابة مقاول للأعمال القذرة. وسلكت جميع حكوماتها هذه الطريق الخطرة. وهي تحرك شفقة المتبرعين اليهود لصندوق الجباية اليهودية... كل هذا يشكل في جوهره دليلاً واضحاً على عدم ثقة قادة إسرائيل بقدرتها على البقاء عسكرياً وأمنياً".

يتساءل شاريت: "أليس التوقع الدائم للحرب، وهذا الخوف المستمر منها ينبعان من جذور التوتر والهستيريا التي تتميز بهما الحياة في إسرائيل؟ وأليس اختيارها للسير

في طريق السيف يعني اختيارها للسير في طريق الفناء والانتحار؟ ... وهل إسرائيل الحالية في جيلنا الحالي قابلة للبقاء؟" ويجيب: "كلا، إسرائيل ليست دولة وجدت للبقاء، إنها دولة كلها خوف، وخوف متزايد على مصيرها".

والقدس في نهاية المطاف ستعود إلى أهلها وسيرحل عنها الغزاة إلى غير رجعة. وكما قال الشاعر:

غداً، غداً سيزهر الليمون

وتفرح السنابل الخضراء والزيتون

وتضحك العيون

وترجع الحمائم المهاجرة

إلى السقوف الطاهرة

ويرجع الأطفال يلعبون

ويلتقي الآباء والبنون

على رباك الزاهرة

يا بلدي، يا بلد السلام والزيتون

# القدس والأمة

**الدكتور محمد الخلايلة**

**سماحة مفتي عام المملكة الأردنية الهاشمية**

**الأربعاء ١٣ ربيع الأول ١٤٤٠هـ – الموافق ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٨م**

## المُلَخَّص

إن الحديث عن القدس ومسجدها الأقصى المبارك والبحث فيه ينطلق من مدخل ديني ومدخل تاريخي.

أما المدخل التاريخي؛ فهو يبدأ من كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، ففلسطين هي أرض كنعان أصل العرب، والكنعانيون هم أول من سكن منطقة فلسطين وبلاد الشام، وهذا الأمر نتركه للمتخصصين في التاريخ للحديث عنه وسبر أغواره.

ولكني سأتحدث عن قضية القدس في إطار المدخل الديني وما يتعلق به، سواء كان ذلك في العهد الإسلامي بعد بعثة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–، أو في العصور السابقة قبل بعثته.

ناقش البحث محورين أساسيين هما: القدس عبر العصور الإسلامية، والقدس والأمة في العصر الحديث.

**المقدمة:**

النبوّات من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يصدق بعضها بعضاً، لأنها من مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال النجاشي عندما استمع لبيان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن هذا والذي جاء به عيسى ابن مريم ليخرج من مشكاة واحدة"، وهذا ما يفهمه كل من له نية صالحة وعقل مدرك حر، ولذلك فإنّ هذه النبوات جاءت يمهد السابق منها للاحق، بل يخبر عنه مؤيداً ومبيّناً في مرات أُخر.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ سورة آل عمران: ٨١.

وقد جاءت مدينة القدس لتوحد دعوة الأنبياء وتكون محور الاتفاق وجمع شمل ما هو مقدس عند جميع أصحاب الديانات السماوية، فابتداء بناء بيت المقدس كان بعد المسجد الحرام بأربعين سنة كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة»، وهو يدلّ على أن سيدنا آدم عليه السلام أو أحد أبنائه هو من وضع أساس قواعد بيت المقدس، وإبراهيم عليه السلام مرّ واستوطن ببيت المقدس، وسيدنا موسى عليه السلام، وقف على مشارف مدينة القدس، وقد أدركه الأجل في الأرض المقدسة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مررت بموسى ليلة أسري بي

وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر، ولو أني وأنتم ثم –أي: هناك– لأريتكم قبره. وهذا يدلّ على شرف وفضل بلاد الشام، وأن أنبياء الله عز وجل الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم –وهم خمسة وعشرون نبياً– معظمهم لهم اتصال وثيق ببيت المقدس وبأرض الشام، إما أنه مات في أرض الشام، وإما أن دعوته كانت في بيت المقدس وأرض الشام، فهي أرض الأنبياء، ومسرى الشهداء، وبركة السماء.

وسيدنا عيسى عليه السلام، كانت ولادته ودعوته في أرض بيت المقدس، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أُسري به في ليل الإسراء والمعراج إلى المسجد الأقصى المبارك، ومن هناك عرج إلى السماوات العُلى، ليرى من آيات ربه الكبرى، وفي الحديث أن نبينا صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء جميعاً في المسجد الأقصى المبارك لتكون رسالته هي الرسالة التي ختم الله بها رسالاته إلى الخلق أجمعين بعد تمام الدين وختام الشرائع السماوية.

لقد بقيت القدس ومسجدها الأقصى أرض النبوات ومهبط الوحي دهوراً طويلة وأزمنة مديدة، حتى أصبحت القدس وما حولها الأرض المباركة التي بارك الله فيها للعالمين، ولذا فإن البعد الديني لقضية المسجد الأقصى المبارك اليوم يتحدد في ظل رسالة نبينا خاتم الأنبياء والمرسلين. وما كان مقدساً لدى الأنبياء إبراهيم عليه السلام وسليمان وموسى وعيسى عليهم السلام هو مقدس لنا اليوم، قال الله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ سورة البقرة: ٢٨٥.

وقد بدأت قدسية القدس في العقل الإسلامي منذ بداية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجه بصلاته إلى المسجد الأقصى المبارك الذي هو قبلة الأنبياء ومهبط الوحي، وقد كان العرب وقتها على بقايا الحنفية السمحة شريعة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وقد تأكدت هذه القدسية في قلوب المسلمين وترسّخت في عقولهم بعد حادثة الإسراء والمعراج للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك وإمامة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء والمرسلين، وقد نزل في هذه الحادثة قول الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الإسراء: ٥٦.

وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يربط المسلمين دائماً بالمسجد الأقصى ربطاً دينياً من خلال توجيههم للصلاة فيه وذكر فضائله، والدعوة لإعماره، فالمسجد الأقصى هو ثاني المساجد بناءً بعد المسجد الحرام.

فالمسجد الأقصى متقدمٌ على غيره من المساجد، وهو ثاني بقعة ظهرت فيها معالم العبودية لله تعالى، حيث ذكر ابن هشام في كتاب التيجان أن الله عز وجل لما أمر آدم عليه الصلاة والسلام أن يبني المسجد الحرام، أمره أن يسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه، قال: فبناه ونسك فيه، أي تعبد لله عزّ وجل فيه.

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٥٠) أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أقام فيه مذبحاً لله تبارك وتعالى، وضرب قبته شرقيّ بيت المقدس، وأنه أقام ببلاد إيلياء وولد له إسماعيل وإسحاق، فهو ثاني مكان ارتفعت فيه عقيدة التوحيد، وجلجلت فيه أصداء لا إله إلا الله.

وبعد بعثة نبينا عليه السلام، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوجه إلى المسجد الأقصى في العبادة، فهو أولى القبلتين وثاني المسجدين الشريفين، فالأمة الإسلامية منذ بدايتها أولت المسجد الأقصى عظيم الاهتمام، وجعلت أهم أركان الإسلام –وهو الصلاة– مرتبطاً به، إشارة إلى أهميته في صلة الإنسان مع ربه، وأهميته في عقيدة المسلمين.

لذلك فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بزيارة المسجد الأقصى المبارك وشدّ الرحال إليه، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى" متفق عليه. وفيه دلالة على توجيه المسلمين إلى زيارة المسجد الأقصى ووصاله وقصده بالزيارة حتى يظل عامراً حياً بالمسلمين.

كما دعا النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى تعاهده بالرعاية والعناية المستمرة، فعن ميمونة، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس، فقال: «أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره»، قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: «فتهدي له زيتاً يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه» (رواه ابن ماجه).

وفيه دليل على عناية النبي صلى الله عليه وسلم بإقامة شؤون بيت المقدس والعناية به وتعاهده، رغم أنه لم يكن تحت الحكم الإسلامي آنذاك.

وللصلاة في المسجد الأقصى ميزة خاصة، وأجور مضاعفة، فعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أيهما أفضل:

أمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه (أي مثل حبل فرسه) من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا وما فيها» رواه الحاكم في المستدرك، وصححه.

كما بشّر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة بفتحه قبل أن يفتح، فقد روى البخاريُّ من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة له من أدم (يعني: من جلد)، فقال: «أعدد ستاً بين يدي الساعة»، فذكر منها: «وفتح بيت المقدس»، وهذه بشارة من نبينا صلوات الله وسلامه عليه أنَّ المسلمين يفتحون بيت المقدس، وقد فتحه الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه.

والصلاة في المسجد الأقصى تكفر الذنوب وتحطّ الخطايا والسيئات، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالاً ثلاثة: سأل الله عز وجل حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه» رواه النسائي، بسند صحيح.

**القدس عبر العصور الإسلامية:**

ما أن تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة حتى وجه نظره إلى الأرض المقدسة، فسير الجيوش لفتح الشام، وتوفي في أثناء ذلك وتولى الأمر الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فكان أول ما فعله أن ولّى أبا عبيدة بن الجراح قيادة الجيش الفاتح للشام.

وقد حاصر أبو عبيدة رضي الله عنه مدينة القدس حتى فتحها سلماً، واشترط أهل القدس أن يتسلم مفاتيحها خليفة المسلمين عمر بن الخطاب الذي سارع بالخروج لاستلام مفاتيح المدينة المقدسة، وما أن وصل رضي الله عنه إلى المدينة وأشرف عليها ورأى أسوارها حتى كبر وكبّر من معه تكبيراً عظيماً عرف منه أهل المدينة أن خليفة المسلمين وصل.

وتذكر الروايات أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل كنيسة القيامة بصحبة البطريرك صفرونيوس، وقد أشار فيها صفرونيوس على الخليفة بالصلاة في الكنيسة فرفض وصلى قربها، حتى لا يرى المسلمون بعد ذلك حقاً لهم فيها، فقال رضي الله عنه: "أخاف أن يتخذها المسلمون بعدي مسجداً".

وكتب عمر رضي الله عنه لأهل مدينة القدس العهدة العمرية وهي من أعظم الكتب التي توثق لكرامة الإنسان والمواطن وإعطائه حرية المواطنة وحرية الاعتقاد والتعبير عن الرأي، حيث جاء في نص العهدة: "هذا ما أعطى عبدالله، عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان.. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها.. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من

حيِّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم".

ثم جاء عهد الأمويين، وكان لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه باع طويل ومعرفة سابقة وعلاقة قوية في مدينة القدس، حيث كان والياً على الشام مدة عشرين عاماً في عهد عمر ابن الخطاب وعهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وقد أخذ معاوية بن أبي سفيان البيعة لنفسه في مدينة القدس تيمناً بها وطلباً لبركتها، وقد قام معاوية بن أبي سفيان بسك أول نقد يحمل اسم (إيلياء) وهي القدس، وكانت صورته على الوجه الثاني للنقد، كما حمل هذا النقد اسم (فلسطين) لأول مرة.

وزاد رضي الله عنه فقام في بداية خلافته بتجديد الجامع القبلي الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي زمن عبدالملك بن مروان قام بتعريب الدواوين وسك النقود العربية الإسلامية الشهيرة، وقد قام عبدالملك بن مروان ببناء قبة الصخرة لتكون شعاراً وإظهاراً لقدسية هذا المسجد وعظمته، وتبياناً لأهمية هذا المكان في الإسلام، وقد تم بناؤها بشكل مثمن الأضلاع، لتكون علامة على تميز المسجد الأقصى المبارك، وإشارة إلى المكان الذي عرج منه النبي صلى الله عليه وسلم.

وبقي المسجد الأقصى المبارك بعد الفتح العمري يرفل بالأمن والأمان، ويزوره العبّاد والعلماء والصالحون وتنعقد في جنباته الحلقات العلمية والدروس، إليه تشد الرحال، وتعانق مآذنه مآذن المسجد الحرام والمسجد النبوي المبارك، حتى دنسه الفرنجة عام ٤٩٢هـ، وقاموا باحتلاله وارتكبوا فيه الفظائع، حيث قتلوا ما يزيد عن سبعين ألفاً من المسلمين والصالحين، وهو ما أوقع ألماً وحسرة في قلوب أبناء الأمة

على قدسهم، لما له من مكانة دينية في نفوسهم، فكان احتلال القدس صاعقة ومصيبة استثارت قرائح الشعراء والخطباء والأدباء ليستثيروا حمية السامعين ويشحذوا هممهم لتحرير بيت المقدس، فكان مما قاله أبو المظفر الأبيوردي:

مزجنـــا دمـــاء بالدمـــوع الســـواجم فلـــم يبق منـــا عرضـــــة للمراحـــم
وشـــر ســـلاح المرءِ دمـــع يفيضـــه إذا الحـــرب شبت نارها بالصـــوارم
فإيهـــاً بنـــي الإســـلام إن وراءكـــــم وقائـــع يلحقـــن الـــذُرا بالمناســـــم
وكيـــف تنـــام العيـــن مـــلء جفونهـــا على هفـــوات أيقظـــــت كل نائـــم
وإخـــوانكم بالشـــام يضـــحي مقيلهـــم ظهور المذاكي أو بطون القشـــاعم
تســـومهم الـــروم الهـــوان وأنتـــم تجرون ذيل الخفض فعل المُســـالم
يكـــاد لهـــن المســـتجدي بطيبـــة ينادي بأعلى الصوت: يا آل هاشم

وقد بقيت القدس حاضرة ولم تغب لحظة عن أذهان الأمة بقادتها وعلمائها ومثقفيها وشعرائها وأدبائها من منطلق حرصهم على دينهم ومقدساتهم.

ثم بدأ عماد الدين زنكي مشروع التحرير من خلال توحيد بلاد الشام والقدس والعراق، وطرد الفرنجة من هذه الأماكن، ثم أتم المشروع من بعده ابنه محمود، ثم نور الدين زنكي، حتى دخل صلاح الدين إلى مدينة حلب الشهباء محرراً عام ٥٧٩هـ، فوقف القاضي محيي الدين بن زكي الدمشقي يلقي قصيدة بين يدي صلاح الدين يُذكره بالقدس ويحثه على فتحها، فكان مما قال:

وفَـتْحُ حلـب بالسـيف فـي صـفر مبشـرٌ بفتـوح القـدس فـي رجـبِ

وكُتُبُ الأدب مليئة بالأشعار التي تستنهض العلماء والقادة وتستثير هممهم لفتح بيت المقدس، وقد استثارت هذه القصيدة صلاح الدين فبدأ الإعداد لتحرير بيت المقدس.

وقد تم تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي في السابع والعشرين من شهر رجب لعام ٥٨٣هـ.

ودخل صلاح الدين المسجد الأقصى المبارك فأمر بتنظيفه ووضع فيه المنبر الذي بدئ بصنعه قبل سنوات في مدينة حلب، وقد حمله معه ليضعه في المسجد الأقصى المبارك، واستدعى القاضي ابن زكي صاحب القصيدة التي ألقيت قبل أربع سنوات ليخطب بهم الجمعة في المسجد الأقصى المبارك، فخطب فيهم خطبة عصماء تسمى بخطبة الفتح، ومما جاء فيها:

"أيها الناس أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه، واستقر فيها رسمه، ورفع قواعده بالتوحيد، فإنه بُني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد، فإنه أسس على التقوى من بين يديه ومن خلفه، فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ومدفن الرسل ومهبط الوحي، ومنزل ينزل به الأمر والنهي، وهو أرض المحشر وصعيد المنشر، وفي الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين، وهو المسجد الأقصى الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم...".

**القدس والأمة في العصر الحديث:**

بعد صلاح الدين الأيوبي توالت الهجمات على القدس لتكون هي محور الصراع ونقطة الارتكاز، فحافظ عليها المسلمون وصدوا عنها كل عدوان وهم يستميتون في الدفاع عنها حتى جاءت أواخر عهد الدولة العثمانية التي ضعفت واخترقها الأعداء من الداخل، وأصبحت تتراجع في كل مقومات حياتها، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وتغلغل فيها الأعداء واليهود من الداخل وسيطروا عليها، فأصبحت لا تسيطر على كثير من الأقاليم وترزح تحت مديونية عالية، فانسحبت لتشكل تركيا الحديثة وتركت الوطن العربي يصارع، ومنه بلاد الشام والقدس، فوقع فريسة سائغة للأعداء، فجاء مشروع التقسيم على يد سايكس وبيكو ووعد بلفور لتزداد الأمة ضعفاً بعد ضعف، ما مهد لقيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م باحتلال أجزاء من أرض فلسطين المباركة، وبعد ذلك جاء احتلال القدس ومسجدها الأقصى عام ١٩٦٧م عندما دخل اليهود القدس محتلين، وفي عام ١٩٦٨م، قاموا بإحراق المسجد الأقصى المبارك وإحراق المنبر الذي جلبه صلاح الدين رحمه الله تعالى بالكامل، وما زال المسجد الأقصى تحت احتلال اليهود حتى يومنا هذا.

وفي عصر الدولة الأردنية الحديثة؛ ارتبط الأردن بالقدس والمسجد الأقصى ارتباطاً وثيقاً من خلال ارتباطها المباشر بالهاشميين، حيث إن القدس إضافة إلى مدن الضفة الغربية كانت تتبع إدارياً للمملكة الأردنية الهاشمية، فعندما كان المغفور له الملك المؤسس قائداً عاماً للجيوش العربية التي دخلت فلسطين عام ١٩٤٨، وفي عام ١٩٤٩ عقد مؤتمراً بأريحا حضره عدد من وجهاء فلسطين أعلن فيه ضم الضفة الغربية إلى المملكة الأردنية، وتم انتخاب مجلس نواب جديد وقسمت مقاعده مناصفة بين الضفتين.

وقد قدّم الشريف الحسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى دعماً وتبرعاً للمسجد الأقصى عام ١٩٢٤م، حينما قدم (٢٤ ألف دينار ذهبي) للمسجد الأقصى، وأوصى بأن يدفن في جنبات الحرم القدسي الشريف، تجسيداً لتمسكه بالقدس وفلسطين والأقصى المبارك، الذي استشهد على عتباته الملك المؤسس عبدالله الأول ابن الحسين طيب الله ثراه، واستمر من بعده ابنه المغفور له الملك طلال رحمه الله بالرعاية والاهتمام بهذه الأرض المقدسة.

وبتوجيهات ملكية سامية من جلالة الملك الباني الحسين بن طلال رحمه الله؛ صدر القانون الأردني رقم (٣٢) لسنة ١٩٥٤م بتشكيل لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة، وذلك لتُعنى بالحرم القدسي الشريف وما يشتمل عليه من معالم إسلامية خالدة، ولتقوم هذه اللجنة بمهمة الرعاية والصيانة والترميم والمحافظة على المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة والمرافق كافة، وتابعه في هذا الاهتمام الكبير جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين حفظه الله، وذلك من خلال اطلاعه المتواصل وتوجيهاته المستمرة للجنة الإعمار وأجهزة الأوقاف بإيلاء المسجد الأقصى المبارك والمقدسات في القدس جل الاهتمام والعناية، وبتوجيهات جلالته السامية فقد صدر قانون الصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة رقم (١٥) لسنة ٢٠٠٧م، الذي يهدف إلى توفير التمويل اللازم لرعاية المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة والمقدسات الإسلامية في القدس الشريف، لضمان استمرارية إعمارها وصيانتها وتجهيزها وتوفير جميع المتطلبات اللازمة، لتأكيد أهمية هذه المقدسات وحرمتها لدى المسلمين بشكل عام والهاشميين على وجه الخصوص، كما تم في عام ٢٠٠٧م، إعادة صنع وتركيب منبر صلاح الدين الأيوبي.

وبناءً على طلب من حكومة المملكة الأردنية الهاشمية، تمَّ إدراج البلدة القديمة في القدس على لائحة التراث العالمي لدى اليونسكو عام ١٩٨١م، كما تم إدراجها على لائحة التراث العالمي المهدد بالخطر عام ١٩٨٢م، وذلك للضغط على الدولة المحتلة لعدم تغيير المعالم التاريخية والتراثية للقدس، وهنالك دور فاعل للمملكة الأردنية الهاشمية عن طريق المشاركة في اجتماعات لجنة التراث العالمي التابعة لليونسكو للتصدي للمحاولات الإسرائيلية المستمرة لتغيير معالم القدس، ومحاولات إسرائيل المستمرة والمتكررة لإدراج البلدة القديمة في القدس على لائحتها التمهيدية للتراث العالمي.

وشملت مشاريع الإعمار في عهد جلالته بشكل متواصل صيانة وترميم المسجد والقباب والمحاريب وغيرها من المعالم، ومنها: قبة الصخرة المشرفة، والحائط الشرقي والجنوبي للمسجد الأقصى، ومنبر المسجد الأقصى المبارك «منبر صلاح الدين» الذي تشرف جلالته بوضع اللوحة الزخرفية على جسم المنبر، وغيرها من الأعمال المتواصلة الدَّالة على الرعاية الخاصة من الهاشميين.

وهذه هي الحقيقة المقررة في عالم الإيمان والنبوات؛ أقول: إن هذا هو التداخل الديني في تفسير علاقة الأمة بالقدس ومسجدها الأقصى، بغض النظر عن التداخل التاريخي ونظراته، إنه تداخل واتحاد مؤيد بما هو مقدس من النصوص الشرعية الثابتة التي خلت من التغيير والتحريف والتبديل.

فالقدس هي ضمير الأمة وقلبها النابض، وإن أي مساومة على القدس ومسجدها الأقصى هي مساومة على الضمير والقلب، وبيع الضمير تأباه العقول الحصيفة والفطر السليمة، فمن ذا الذي يغير قلبه؟!

ولا شك في أن النصوص الشرعية جعلت قضية القدس مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعقيدة المسلمين، والعقائد لا تتغير بقرارات دولية تملى على الأمة في فترة ضعف تمرّ بها، وإن أي قرار يتعلق بضم القدس ومسجدها الأقصى سيكون عابراً على مسرح الحياة، نعم فالأمة اليوم تمر بفترة ضعف في كل مقومات حياتها، وقد مرت بمثل هذه الفترة في سالف عهدها كما ذكرت سابقاً، إلا أن مشروع التحرير الذي بدأه عماد الدين زنكي وأتمه صلاح الدين في عهده هو مشروع ناجح يمكن استجراره من جديد من خلال توحيد الأمة وتقوية بنيانها في كل مجالات الحياة الإنسانية، اقتصادياً، وعلمياً، وسياسياً، واجتماعياً، فالإسلام الذي بدأ بـ(اقرأ)، بنى أمة حررت المسجد الأقصى المبارك، ولن يكون للأمة دور على مسرح الحياة الإنسانية إلا إذا أعادت استدعاء هذه التجارب وأفادت من ماضيها لبناء حاضرها، ومستقبلها، ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا**﴾ سورة الإسراء: ٥١.

والحمد لله رب العالمين

# تحقيق التراث: ما له وما عليه

**الأستاذ الدكتور صلاح جرّار**

**الجامعة الأردنية**

**الثلاثاء ١٩ ربيع الأول ١٤٤٠هـ – الموافق ٢٧ تشرين الثاني ٢٠١٨م**

## المُلَخَّص

تكمن أهمية البحث بأن المخطوطات لها قيمة كبيرة، فهي جزءٌ رئيسي من تراث الأمّة العربيّة والإسلاميّة، وهي الشاهد على عظمة الدور الذي أسهمت به هذه الأمّة في الحضارة الإنسانيّة. كما أنّ لهذه المخطوطات قيمة علميّة ولغويّة وآثاريّة جليلة.

كما ناقش البحث موضوعات عدة منها: ما المخطوط الذي يستحق التحقيق؟، أهميّة تحقيق التراث، مآخذ على تحقيق التراث.

وقد اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، منها تراثية ومنها حديثة تتناول موضوع التراث ما له وما عليه.

**مقدّمــة**

التراث بمفهومه الواسع المشتق من الجذر (ورث) هو كلّ ما ورثه الخلف عن السلف من إنتاج فكري وأدبي وعمراني ومسكوكات ونقوش وفنون وعادات وتقاليد وأعراف ومعتقدات وصناعات وأنماط تفكير، وهو الذي يشكل هويّة المجتمع، كما أنّه الرابط بين الأجيال الماضية والحاضرة والقادمة. وعندما تضاف إلى التراث كلمة (تحقيق) فإنّ الذهن ينصرف إلى التراث المخطوط سواء أكان كتباً أم وثائق أم نقوشاً أم غير ذلك.

ويرى الدكتور شكري الماضي "أنّ التراث ذاكرة الأمّة، وهو مكوّنٌ مهمٌّ من مكوّنات الهويّة الشخصية، كما أنّ التعامل معه قد شكّل –وما يزال– جانباً من جوانب النهضة العربيّة الحديثة، وبهذا المعنى فإنّ التراث –وتحقيق التراث– حقل خصبٌ لرفد الحاضر وإغنائه، وربّما صياغته وبنائه واستشراف المستقبل" (د. شكري الماضي، التحقيق وإحياء التراث ص٥٨، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث الرؤى والآفاق– أوراق المؤتمر الدولي لتحقيق التراث العربيّ الإسلاميّ، إعداد وتحرير الدكتور محمد محمود الدروبي، منشورات جامعة آل البيت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٥٥–٦٤).

وقد خلّف السلف من العرب تراثاً مخطوطاً ضخماً يقدّر بملايين المخطوطات، وقد تفاوتت التقديرات لعدد المخطوطات العربيّة المنتشرة في أنحاء العالم وفي مختلف مجالات المعرفة، فبعضهم وصل بها إلى سبعة ملايين مخطوط وبعضهم قدّرها بمليون مخطوط. وفي بحث أجراه الدكتور فهمي جدعان ومحدّثكم بعنوان "المخطوطات العربيّة في العالم" ونشر ضمن كتاب المؤتمر السنوي السادس لمؤسّسة آل البيت/ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية سنة ١٩٨٧ (ص٩٩–١٣٩)،

قمنا بعملية إحصائية للمخطوطات المذكورة في نحو (١٢٥٠) فهرساً من فهارس المخطوطات التي صدرت في العالم حتّى سنة عقد المؤتمر، فبلغ عدد تلك المخطوطات نحو مليون مخطوطة (المرجع نفسه، ص١١٦)، ولا بدّ من الإشارة إلى أن ثمّة مكتبات عديدة في العالم لم تفهرس مقتنياتها من المخطوطات حتّى اليوم، وهو ما يؤكد أن عدد المخطوطات العربيّة في العالم يتجاوز مليون مخطوطة.

وقد كان للمستشرقين الأوروبيين الفضل في إطلاق حركة تحقيق هذا التراث منذ منتصف القرن التاسع عشر، ثمّ تبعهم العرب في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وهم يحملون راية إحياء التراث من خلال تحقيق أصوله، إلّا أنّ ثمّة فرقاً بين إحياء التراث وتحقيقه، فإحياء التراث لا يكون بتحقيقه فقط، بل ربّما يكون التحقيق (تحقيق المخطوطات) مرحلة أولى من مراحل إحياء التراث، إذ لا يمكن إحياء التراث من غير معرفته والاطّلاع عليه ومعرفة فوائده ومواطن قوّته وضعفه، ولا يكون ذلك إلّا بتحقيقه أوّلاً وتوفيره للدارسين والباحثين والمفكّرين الذين يتطلعون إلى إحيائه. وإحياءُ التراث هو استنطاقه واستخلاص العبر والدروس منه ونشر قيمه الإيجابية وتوظيفها في خدمة الأمّة. ويتساءل الدكتور شكري الماضي: "هل نتفاعل مع التراث ونستلهمه في ضوء مستلزمات الحاضر وتحدياته، فيصبح حيّاً حقّاً ومتجدّداً وخصباً وقوة دافعة تسهم في فهم الحاضر وجزءاً من ثقافة العصر؟" (د.شكري الماضي، التحقيق وإحياء التراث، ص٦٠، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث الرؤى والآفاق، ص٥٥-٦٤).

أمّا التحقيق فهو العناية بالنصّ المخطوط نسخاً وتصحيحاً وضبطاً وتقديماً وفهرسة على أقرب صورة أرادها المؤلّف، وقد يكون مضمون المخطوط قابلاً للإحياء

أو غير قابل، لأنّ التراث المخطوط منه ما هو مفيدٌ ومنه ما لا يستفاد منه، ومنه ما يمكن الاستفادة منه في عملية الإحياء ومنه ما لا يصلح البتّة لذلك إنْ لم يكن ضارّاً.

ونظراً لهذه العلاقة بين التحقيق وإحياء التراث فإنّ الدكتور شكري الماضي يرى أنّ "التحقيق المنشود هو التحقيق الذي يسعى إلى تقديم التراث للقارئ المعاصر بإجلاء الكتب والنصوص وخدمتها وإبراز سياقيها الخاصّ والعامّ أو التاريخي والراهن، أي إظهار عمق صلتها بالحياة، فمن غير المسوّغ تجاهل تاريخ هذه الكتب والنصوص وسياقها وعصريتها بالنسبة لمحيطها الخاصّ، ومن غير المستساغ –في الوقت نفسه– تجاهل عصريّة هذه النصوص بالنسبة إلينا. فنحن ندرس هذه النصوص بوصفها نصوصاً حاضرة نستحضرها ونستوعبها في اللّحظة الراهنة" (د.شكري الماضي، التحقيق وإحياء التراث، ص٦٣).

ويجمع الباحثون في مجال تحقيق المخطوطات أن الغاية من التحقيق هي تأدية نصّ المؤلّف إلى القارئ كما أراده المؤلّف أو أقرب ما يمكن إلى ما أراده (ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات، الدكتور صلاح الدين المنجد، ص١٥، تحقيق النصوص ونشرها، عبدالسلام محمد هارون، ص١٠٢؛ مناهج التحقيق عند القدماء والمحدثين، حسين نصّار ص١٧٩).

**ما المخطوط الذي يستحق التحقيق؟**

عرض الدكتور يحيى الجبوري في بحث له بعنوان: "التحقيق لوازمه وبداياته وآفاقه" (منشور ضمن أوراق المؤتمر الدولي لتحقيق التراث العربي الإسلامي المنشورة بعنوان: تحقيق التراث: الرؤى والآفاق، منشورات جامعة آل البيت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٣٥–٤٢) لمسألة: ماذا نحقق؟ (نفسه٤٠–٤١)، وأورد آراء فريقين في

تلك المسألة: أولهما الفريق الذي يرى أن "التراث كلّه عزيز ونفيس وحقيق بالنشر، ولا يخلو أيّ كتاب منه من فائدة، سواء أكانت هذه الفائدة علميّة أم تاريخية، أم لها دلالة على العصر، أم فيها فائدة تدلّ على صناعة وخبرة من خلال ما يستنبط من الخطّ والورق والحبر، وحتّى المخطوطات التي يُظنّ فيها ضرر أو سلبيات، ففيها فوائد تستنتج، وفيها دلالات على العصر، ولها نفعٌ تاريخي واجتماعي".

أمّا الفريق الثاني فيرى أنّه لا حاجة إلى نشر مخطوط ما لم تكن فيه جدّةٌ وإبداع وابتكار، ويرى هذا الفريق أنّ المخطوطات القديمة التي كتبها علماء القرن الثاني والثالث لها الصدارة لقدمها، ولأنّ العلم كان في شبابه، وكان فيه طابع الجدّة، وكلّما تأخّر العصر كثر التكرار وغلبت الشروح والمختصرات.

وفي موقفه بين هذين الفريقين يرى الدكتور الجبوري أنّه قد يكون أيضاً للمتأخر فضلٌ على المتقدّم بما يفيد من علم الأوائل ويضيف إليه الخبرات الناضجة والعلم الرصين. ويقول إنّ "المخطوطات التي وصلت بخطّ مؤلّفيها، وخاصّة إذا كان المؤلّف من العلماء المعروفين المتميزين، أو كتبها علماء معروفون، هذه المخطوطات لها مكانة خاصّة".

ومن الكتب التي يراها ذات أهميّة الكتب المتأخرة التي حفظت وجمعت معلومات ونصوصاً من كتب قديمة فقدت أصولها، فهذه الكتب لا يقعد بها تأخرها، بل لها الفضل في حفظ ما ضاع من كتبٍ قديمة قيّمة، وتأتي في أهميّة النشر بالمرتبة الثانية بعد كتب الصدر الأوّل.

ويأتي في المرتبة الثالثة في نظر الدكتور الجبوري الكتب التي تناولت موضوعات سبق إليها الأوّلون وطرقها غيرُهم من المؤلّفين، ولكنّها تمتاز عن سابقاتها

بحسن العرض وجودة المعنى وبراعة التنسيق والترتيب فضلاً عن تصحيحها لأخطاء السابقين واستدراكها عليهم وشرح الغامض والمستغلق وجمع المتفرق وتتميم الناقص.

ويأتي في المرتبة الرابعة الكتب المنشورة ذات الطباعة الرديئة والتي لم تستقْصِ النسخ المخطوطة، فهي جديرة بإعادة تحقيقها.

وينبه الدكتور الجبوري إلى أنّ من الخطأ ترك المخطوطات ذوات الموضوعات الجيّدة النافعة، ونشر ما دونها من موضوعات متأخّرة مكرورة، ومن الخطأ أيضاً ترك كتاب تتوافر نسخه ونشر مختصر أو شرح له.

ويرى أنّه لا يجوز للمحققين أن يحجموا عن تحقيق مخطوطات مهمّة بحجة كبر حجمها أو صعوبة خطّها.

ويؤكد الدكتور يوسف بكّار في بحث له بعنوان: "تحقيق التراث: لماذا وكيف؟" (منشور في كتاب تحقيق التراث الرؤى والآفاق ص٤٣-٥٤) مسوّغات إعادة تحقيق ما حقّق وهي (ص٤٨):

١. أن يكون الأثر ممّا لم يحقّق تحقيقاً علميّاً وفقاً للأصول المتعارف عليها، بل طبع طبعة تجارية.

٢. أن تكون مسوّغات الإعادة علميّة مقبولة تنضوي في ما يطلق عليه "التحقيق غير التامّ" كالعثور على مخطوطات جديدة أدقّ وأوفى، وجمع أشعار أخرى غير التي في الدواوين أو المجاميع الشعرية، ونفاد الأعمال الأولى، أو أنها نشرت في مجلات يصعب الحصول عليها، أو كثرة أخطاء محققيها ومزالقهم.

وما عدا ذلك فإن الدكتور بكّار يرى أنّ إعادة تحقيق ما حقّق هو تبديد للجهود وأنّ الأجدى منه هو التوافر على نشر الذي ما زال مطويّاً من التراث وأن يصرف المحقّق جهده إلى أثر تراثي آخر.

وفي بحثه الذي يحمل عنوان "مسوّغات إعادة تحقيق التراث في ضوء قوانين الملكية الفكرية: الكتب اللّغوية أنموذجاً" (ص٨٥-٨٦) (منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث الرؤى والآفاق، ص٧٨-٩٦) يقسم الدكتور حسن خميس الملخ مسوّغات إعادة التحقيق إلى مسوّغات مقبولة ومسوّغات غير مقبولة، أمّا المقبولة فهي: اكتشاف مخطوطات جديدة للكتاب، والأخطاء العلمية، والحاجة إلى تحقيق علمي، وإضافة حواشٍ علميّة متخصّصة. أمّا المسوّغات غير المقبولة فهي: الاعتماد على النسخ المطبوعة، وادعاء اكتشاف مخطوطات جديدة، والتوسع في التخريج، واختصار الحجم وضبط النصّ.

**أهميّة تحقيق التراث**

لا شكّ في أنّ لتحقيق التراث المخطوط فوائد جمّة على أكثر من صعيد، وذلك استناداً إلى الأهميّة الكبيرة التي يمثلها التراث، من حيث كونه معبّراً عن هويّة الأمّة وثقافتها وروحها وفكرها، ومن حيث كونه الرابط بين ماضي الأمّة وحاضرها ومستقبلها، ومن حيث كونه وسيلة مهمّة لفهم واقع الأمّة وأزماتها ومشكلاتها، ومن حيث قدرته على الإسهام في التغلب على التحديات التي تواجهها الأمّة.

ومن هنا فإنّ الأمّة التي حباها الله تعالى برصيد عظيم من التراث المخطوط هي أكثر حظوة من الأمم التي تفتقر لهذا اللون من التراث، لأنها تكون بذلك قد قامت على

أسس وقواعد وأركان من المعرفة والعلم والإبداع تؤهّلها لإحياء هذا الرصيد وتفعيله وتطويره والزيادة عليه.

ولذلك فإنّ من أهمّ ما يترجم به الاعتراف بفضل هذا التراث وفضل هذا التميّز على الأمم الأخرى، بذلَ أقصى قدر من العناية به: جمعاً وصيانة وترميماً وفهرسة وتحقيقاً ونشْراً واستنطاقاً واستقراءً وإحياءً واستفادة منه إلى أقصى حدود الاستفادة الممكنة.

وعلى ذلك فإنّ أهميّة تحقيق التراث المخطوط تتمثل في ما يلي:

١. إن تحقيق التراث المخطوط يوفّر مادّة معرفية متعدّدة المجالات ومتصلة بمختلف جوانب الحياة ممّا يصلح أن يكون منطلقاً وبداية لاستئناف البناء الحضاري، على ألّا تكتفي الأمّة بما وصل إليها من تلك المعارف.

٢. إن تحقيق المخطوطات يكشف لنا عن إسهامات الأمّة في الحضارة الإنسانية، فمتى كانت الأمّة تملك تراثاً ضخماً من المخطوطات في الحقول العلميّة والفكريّة المختلفة فإنّ ذلك يدلّ على مقدار إسهامها في بناء الحضارات البشرية، ومتى قلّ حجم هذا التراث المخطوط أو كان منعدماً فإنّ ذلك يدلّ على ضعف الجذور الحضارية لها.

٣. ولولا تحقيق هذا التراث المخطوط ونشره لما عُرف مقدار إسهام أيّ أمّة في الحضارات الإنسانية أو مكانة حضارتها بين تلك الحضارات.

٤. إن تحقيق المخطوطات ونشرها يسهّل ترجمتها إلى اللّغات المختلفة، وهو ما يساعد في انتشار محتوياتها والاستفادة منها عند الشعوب المختلفة، ولئن كانت حركة ترجمة العلوم والمعارف العربيّة قد بدأت في زمن مبكّر إبّان الحكم العربي

للأندلس، إلّا أنّها شهدت نشاطاً أوسع بعد ظهور الطباعة، فقد ترجمت كثير من عيون التراث العربي في القرن التاسع عشر إلى اللّغات الأوروبية المختلفة نتيجة جهود المستشرقين في تحقيق هذا التراث.

٥. إنّ تحقيق التراث المخطوط يكشف عن مسارات التبادل العلمي والفكري بين الأمم، وعن صور التأثر والتأثير في ما أنتجته العقول البشرية من مؤلّفات، فما كان لنا أن نعرف مثلاً تأثر فلاسفة العرب القدماء بالفلسفة اليونانية لولا تحقيق النصوص الفلسفية العربيّة، وما كان لنا أن نعرف تأثير رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي في الكوميديا الإلهية لدانتي لولا تحقيق مخطوطات أبي العلاء.

٦. إنّ توفير النصوص المحققة في مختلف ميادين المعرفة يتيح للباحثين في مجال اللّغة العربيّة قدراً كبيراً من المصطلحات العلميّة التي يمكن الاستفادة منها في التأليف والتعريب، ويسد الطريق على من يصرّون على استخدام لغات أجنبية في التدريس الجامعي تحت ذريعة عدم توافر المصطلحات العلمية باللّغة العربيّة. ومن ينظر في هذه النصوص يجدها زاخرة بالمصطلحات في علوم الطبّ والهندسة والفلك والرياضيات والفلاحة والكيمياء والفيزياء وغيرها.

٧. إنّ تحقيق النصوص يفتح مجالات واسعة للبحث والدراسات، وذلك للغنى الواسع لهذه النصوص بالقضايا الفكرية والتاريخية والأدبية والنقدية والفلسفية والعلمية، ولأهمية كثير من مضامينها التي تشكل معيناً لا ينضب من المسائل التي تحرّك الباحثين وتسترعي اهتمامهم.

٨. إنّ التراث المحقق للأمّة هو أهمّ شاهدٍ وراصدٍ لما شهدته الأمّة من تطوّر وتقلّبات ومنعطفات في مسيرتها التاريخية والسياسية والفكرية والأدبية والعلمية والعمرانية

وسواها، ويستطيع الدارسون لهذه التطورات أن يحدّدوا اتجاه سير الأمّة في المستقبل في كلّ مجالٍ من هذه المجالات.

٩. إنّ تحقيق التراث المخطوط يكشف عن الطاقة الهائلة التي تختزنها اللّغة من حيث قدرتها على استيعاب كلّ العلوم والمعارف والتعبير عنها، ويوكّد أهمّ عنصر من عناصر هويّة الأمّة، فهذه النصوص المحقّقة هي المستودع الذي يحتوي على كلّ مفردات اللّغة وأساليبها واستخداماتها وتطوّر دلالاتها ومآلات كلّ مفردة من مفرداتها منذ نشأتها إلى اليوم، وبذلك تكون هذه النصوص المحقّقة هي المصدر الأساسي لمشروع المعجم التاريخي لهذه اللّغة.

١٠. كما أنّ أيّ مشروع لقاعدة بيانات عالميّة باللّغة العربيّة على شبكة المعلومات العالمية لا بدّ له من الاعتماد قبل كلّ شيء على نصوص التراث المحقّق.

١١. إنّ تحقيق التراث المخطوط يشكّل حافزاً قويّ التأثير للأجيال الجديدة من الباحثين عندما يكتشفون عظمة ما بذل الأجداد من الجهود العلميّة الضخمة رغم صعوبة التأليف والنسخ وشحّ أدوات الكتابة وعدم وجود وسائل اتصال سريعة أو تقنيات للطباعة والنشر كما هو الحال في هذه الأيّام (للتوسع في هذه المسألة ينظر: أهميّة التراث العلمي العربي، أحمد فؤاد باشا ص٣٥؛ بين يدي تحقيق النصوص، عصام الشنطي ص٤٨).

إنّ عناية المستشرقين من مختلف الدول: إيطاليا، وإسبانيا، وفرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، وهولندا، وروسيا، وغيرها وتحقيقهم للمخطوطات العربيّة ونشرها وترجمتها، هو دليلٌ على إدراكهم لأهميّة هذا التراث العربي المخطوط، ولما يحويه من قيمة علميّة ومعرفيّة كبيرة.

كما أنّ حرص الدول الاستعمارية إبّان استعمارها للدول العربيّة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين على اقتناء المخطوطات العربية والاحتفاظ بها في خزائنها الوطنيّة، يعدّ دليلاً آخر على إدراك تلك الدول من أعلى مستويات قياداتها أهميّة هذا التراث العربيّ المخطوط وما يتضمنه من حقائق ومعارف ومفاتيح لفهم العقل العربيّ والنفس العربيّة والتاريخ العربيّ والعلاقات التاريخية وإسهام العرب في مسيرة الحضارة الإنسانية أخذاً وعطاءً.

كما أنّ هؤلاء المستشرقين أرادوا معرفة اللّغة العربيّة وقواعدها ومفرداتها ومعرفة الدين الإسلامي والعقائد والعبادات، وسعوا إلى الاستفادة من محتويات تلك المخطوطات.

ومن أوائل المخطوطات العربيّة التي حققها المستشرقون كتاب الفلاحة لابن العوّام الإشبيلي (ت ق٦هـ) الذي حقّقه جوزيف بانكري وطبع في مدريد سنة ١٨٠٢، وكتاب شرح ديوان المفضليّات لأبي بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ) الذي طبع في أكسفورد سنة ١٨٠٨ بتحقيق جارلس لايل، وكتاب شرح الحماسة للتبريزي (ت٥٠٢هـ) الذي نُشر في لندن سنة ١٨٦٠ بتحقيق وليم رايت، وكتاب الاشتقاق لابن دريد (ت٣٢١هـ) الذي نشر في جوتنجن سنة ١٨٥٤ بتحقيق وستنفيلد. (التحقيق: لوازمه وبداياته، يحيى الجبوري ص٣٩-٤٠).

وأمام هذه الأهميّة البالغة لتحقيق التراث، فإنّه تقع على عاتق المحقّقين، ولا سيّما العرب منهم، مسؤولية عظيمة، من جهة التزام أعلى قدر من الدقّة وتحرّي الأمانة العلميّة والإتقان وعدم الإخلال بقواعد تحقيق المخطوطات وشروطه، فضلاً عن مسؤوليتهم في نفض الغبار عن المخطوطات النفيسة والقيّمة وتحقيقها ونشرها وجعلها بين أيدي الناس من الباحثين والدارسين والعلماء.

**مآخذ على تحقيق التراث**

ولا بدّ كذلك للمحقّقين أن يتجنبوا الوقوع في ما يمكن أن يسيء إلى التراث أو إلى النصوص المحقّقة ذاتها.

ومن المحاذير التي يمكن أن تلحق بعملية تحقيق المخطوطات ويجب على المحقّق بذل أقصى الجهود لاجتنابها وعدم الوقوع فيها، ما يلي:

**أوّلاً: ما يتّصل باختيار المخطوط للتحقيق:**

من ذلك أن يكون المخطوط الذي يختاره المحقّق ممّا سبق تحقيقه ونشره، ولا يوجد مسوّغٌ لإعادة تحقيقه من المسوّغات المعروفة. ففي مثل هذه الحالة يكون عمل المحقّق جهداً مكروراً وضائعاً، كان يمكن له أن يستثمره في تحقيق نصّ جديد لم يسبق تحقيقه.

ومن ذلك أيضاً أن يعمد المحقّق إلى تحقيق مختصر لأحد الكتب مع وجود الكتاب قبل اختصاره، فالأولى في مثل هذه الحالة أن يقوم المحقّق بتحقيق الأصل لا تحقيق المختصر، ما لم يكن الكتاب الأصل قد سبق تحقيقه ويحتوي المختصر معلومات إضافية ليست في الكتاب الأصل، أو كان النصّ المختصر من اختصار المؤلّف نفسه.

ومن ذلك أيضاً أن يقوم المحقّق بتحقيق شرحٍ لأحد الكتب قبل تحقيق الأصل متى توافرت نسخه الخطيّة، مع أن تحقيق الشروح لا يخلو من فائدة من حيث شرح الغريب وتفسير النصوص وتوضيح مقاصدها ومقارنتها مع نصوص وردت في كتب سابقة.

ومن ذلك أن يختار المحقّق مخطوطاً يخلو من أيّ محتوى جديد أو نصّ يرد للمرّة الأولى وإنّما هو نقولٌ من كتب سابقة مشهورة، فمثل هذا العمل من وجهة نظري هو جهدٌ ضائع لا جدوى منه.

ومن أشدّ المحاذير خطراً عند اختيار مخطوط للتحقيق، أن يكرّس المحقّق جهده لتحقيق مخطوطات يتعصّب مؤلفوها ضدّ طائفة أو عرق أو مذهب أو فئة أو بلد وتدعو إلى فتنةٍ وانقسام، ولئن كان لمثل هذا اللون من المخطوطات دلالاتها التاريخية والعقائدية إلّا أنّه ينبغي التعامل معها بحذرٍ بالغ كي لا يتناقض تحقيقها مع الهدف من نشر التراث وإحيائه.

**ثانياً: ما يتّصل بثقافة المحقّق واختصاصه:**

قد يندفع بعض المتحمسين للتراث إلى اقتحام مجال التحقيق من غير أن يتسلّحوا بالشروط والمعارف والمهارات التي لا بدّ للمحقّق أن يتسلّح بها، كالمعرفة اللّغوية والعروضيّة وأنواع الخطوط ودلالات الإشارات والرموز التي يستخدمها النسّاخ، وقواعد التحقيق وأصوله، والتمكّن من المجال المعرفي الذي يتضمّنه المخطوط، ومتى أغفل المحقّق أيّاً من هذه الشروط أو استخفّ بها فإنّ ذلك ينجم عنه تشويه للمخطوط ومحتواه وتغيير لمقاصد المؤلّف وتغيير للحقائق ونشرٌ للمعرفة المغلوطة بين الباحثين والدارسين، وربّما بنى الدارسون أحكامهم على تلك المعلومات المغلوطة، وذلك لما يقع من التصحيف وسوء الفهم وإساءة القراءة في النصّ المخطوط. (ينظر: منهج تحقيق التراث العربي بين مزالق المحقّقين وتطوير صناعة التحقيق، أ. إياد الطبّاع، ص١٥٢-١٥٣) (منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث: الرؤى والآفاق ص١٤٧-١٥٦).

وقد أشار إبراهيم بن مراد إلى هذه الظاهرة بالقول إن من مشكلات تحقيق التراث "النصوص التي ينشرها هواة أو متطفلون على العلم وعلى تحقيق النصوص، وهم يسيئون إلى العلم أكثر ممّا يفيدونه" (المصطلح العلمي في التراث العربي ص٢٨٤).

**ثالثاً:** ومن تلك المحاذير الخوف من خيانة بعض المحقّقين أمانتهم حين يعلمون أنّ النسخ الخطيّة التي اعتمدوها في تحقيق الكتاب لا تتوافر بين أيدي الناس إلّا ما ندر، فيغضّون الطرف عن كلمة لم يستطيعوا قراءتها أو يقفزون عن جملةٍ لا تروقهم، أو يبدلون كلمة مكان كلمة إن كانت تخالف آراءهم ومبادئهم أو معتقداتهم، ولا سيّما النصوص التي يرد فيها ذكرٌ للعورات. (ينظر مثال على ذلك في: التحقيق غير المنهجي: ديوان عرقلة الكلبي نموذجاً، ص١٦٨-١٧٥).

ويختلف المحقّقون في مسألة إثبات النصوص التي تحتوي على ذكر للعورات أو استبعادها، فمنهم من يرى إثباتها لما في ذلك من التزام بما أراده المؤلّف وتحقيقٍ للأمانة العلمية، ومنهم من يرى حذفها وعدم إيرادها من باب الحفاظ على القيم والآداب الاجتماعية السائدة، وهذا الفريق الثاني ينقسم إلى قسمين، أحدهما يحذف الكلمات والعبارات والجمل والنصوص والأخبار التي فيها ذكر العورات دون أن ينصّ على ذلك في منهجه في التحقيق، والثاني ينصّ على الحذف في مقدّمة تحقيقه وحديثه عن منهجه في التحقيق، أو ينصّ على ذلك في حاشية الصفحة التي وقع فيها الحذف، ويترك في المتن فراغاً أو نقاطاً تدلّ على الحذف، وحتّى يميّز القارئ بين الفراغ الموجود في أصل النصّ المخطوط والحذف الذي أجراه المحقّق لا بدّ له في كلّ مرّةٍ أن يبيّن ذلك في الهامش.

وممّا يخشى منه في هذا السياق أن يعمد المحقّق إلى الاجتزاء أو العبث بالنصّ خدمة لتعصبه الديني أو العرقي أو انتمائه السياسي والحزبيّ أو انطلاقاً من معاييره الأخلاقية الخاصّة.

**رابعاً:** ومن الآفات التي قد تلحق بالتحقيق سرقة جهود المحقّقين ونسبتها إلى غيرهم ممّن يسعون وراء الشهرة أو الكسب الماديّ، ولا سيّما إذا كان الكتاب مشهوراً وعليه إقبال من عامّة الناس كبعض الكتب الدينية وكتب الآداب، وأقصى ما يفعله الذي ينسب التحقيق لنفسه، أن يغيّر اسم المحقّق الأصلي ويتصرّف بمقدّمته وربّما يضيف بعض الفهارس، دون أن يشير إلى أي نسخٍ خطيّةٍ رجع إليها (انظر: د.عبدالفتاح الحموز، من آفات تحقيق التراث العربي: التسرّع، وعدم التثبّت، ص٩٩-١٠٠) (منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث: الرؤى والآفاق ص٩٧-١١٠). وقد أورد الدكتور بشّار عواد في بحثٍ له بعنوان "في تحقيق النص" (ص٤٣ وما بعدها) أمثلة صارخة من سرقة جهود المحقّقين السابقين. وفي هذه الحالة فإنني أرى أن يحافظ الباحثون على اعتماد التحقيق الأوّل متى كان دقيقاً وملتزماً بأصول التحقيق العلمي الجيّد. إلّا أن بعض من ينتحلون جهود المحققين السابقين يستغلّون فرصة نفاد نسخ التحقيق السابق، أو يستغلون عدم وجود المحقق السابق على قيد الحياة، ولذا فقد نصّ الذين كتبوا في أصول التحقيق على أنّ من دواعي إعادة التحقيق لأي مخطوط نفاد نسخ الطبعات الأولى (تحقيق التراث: لماذا وكيف؟ د.يوسف بكّار، ص٤٨). وممّا ينبغي التنبيه إليه في هذه الحالة أنه يمكن إعادة نشر الكتب المحقّقة الأولى في طبعات مصوّرة إذا لم يكن ثمّة مسوّغ لإعادة تحقيقها.

**خامساً:** وعلى العكس من هذه الحالة السابقة، فإنّ بعض الناشرين ينسبون تحقيق بعض المخطوطات إلى محقّقين مشهورين راحلين لم يحقّقوها، وذلك بغية ترويج هذه الكتب وتسويقها، إذ إنّ من المعلوم أنّ الباحثين الجادّين يسعون إلى اقتناء الكتب التي قام بتحقيقها محقّقون مشهورون من أمثال: محمود محمد شاكر، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وشوقي ضيف، وعبدالسلام هارون، وإحسان عبّاس، ومحمود علي مكّي، وبشّار عوّاد، ومحمد محيي الدين عبدالحميد، وإبراهيم السامرّائي، وشاكر

الفحّام وغيرهم. ويورد الدكتور مخيمر يحيى في بحثه "تحقيق التراث: ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون" (ص٧٥) مثالاً على ذلك في أثناء حديثه عن كتاب "يتيمة الدهر" للثعالبي بتحقيق المرحوم محيي الدين عبدالحميد حيث يقول: "ممّا دعاني إلى الشكّ في أنّه حقّق الكتاب أصلاً، وبخاصّة أنّ الشيخ محيي الدين عبدالحميد توفي قبل صدور الكتاب بسنين لا تقلّ عن ثماني عشرة سنة، فيما علمت، أقول لأنّ تحقيق محيي الدين عبدالحميد لأكثر من كتاب يكشف عن مستوى رفيع من التحقيق كتحقيقه لكتاب "شرح قطر الندى" و"أوضح المسالك" وغيرهما".

**سادساً:** وممّا يؤخذ على حركة تحقيق التراث في الوطن العربيّ كثرة إقبال المحقّقين على تحقيق المخطوطات الأدبيّة واللّغوية والفقهية والتاريخية مقابل قلّة إقبالهم على تحقيق المخطوطات العلمية من طبّ وهندسة ورياضيات وكيمياء وفلك وفِلاحة، على أهميّة هذا النوع من المخطوطات في كشفها عن إسهام العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانيّة، وعلى الرغم من استفادة الجامعات ومراكز العلم الأوروبية في بدايات تأسيسها من هذه المخطوطات. ولعلّ قلّة الإقبال على تحقيق المخطوطات العلميّة تعود إلى ندرة من يجمعون بين علوم اللّغة والتحقيق من جهة وتلك العلوم المتخصّصة من جهة أخرى، فلا المتخصّصون في اللّغة العربيّة وأصول التحقيق يقدمون على تحقيق هذه النصوص، ولا المتخصّصون في الطبّ والهندسة والرياضيات وغيرها من العلوم لديهم الخبرة في تحقيق المخطوطات والإلمام الدقيق بقواعد اللّغة العربيّة، إلّا ما ندر (ينظر: المصطلح العلمي في التراث العربي، إبراهيم بن مراد ص٢٨٤-٢٨٥).

ولعلّ من الأسباب التي تصرف المحقّقين عن تحقيق المخطوطات العلميّة بُعدَ ما تحتويه تلك المخطوطات عمّا توصّل إليه العلم الحديث من تطوّر وابتكارات بُعداً كبيراً، وأكثر هذا العلم يدرّس وينشر بلغات غير اللّغة العربيّة.

ومع ذلك فإنني أرى لهذه المخطوطات قيمة كبيرة وفوائد عظيمة لما تكشف عنه من بدايات العلوم وتطوّرها ودور العرب والمسلمين في نشأتها وتقدّمها، ولما لها من فوائد في مجال اللّغة والمصطلح العلمي.

**سابعاً:** ومثلما يؤخذ على بعض المحقّقين تراخيهم عن خدمة النصّ والاكتفاء بمقابلة النسخ، فإنّه يؤخذ على بعضهم الآخر الإفراط في إثقال الكتاب بالهوامش من غير أن يكون لكثير منها أي فائدة أو يضيف جديداً للكتاب.

ويعلّق الدكتور يوسف بكّار على هذه المسألة بقوله: "أمّا المحقّق المولع بصنع الحواشي ولوعاً عجيباً فلم يكتف بحواشيه التوضيحية، إنما راح يدوّن من غير حساب أكداساً من الحواشي التعريفية الزائدة التي لا تضيف إلى الكتاب إلّا ورماً. أفترانا الآن، بعد أن قطعنا مسافات طويلة في ميادين التحقيق والإحياء في حاجةٍ إلى حواشٍ تعرّف بالمعروفين المشهورين مثل عمر بن الخطّاب والحسين بن علي من أعلام الإسلام، وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والحطيئة وجرير والكميت بن زيد وأبي نواس وأبي العتاهية وابن المعتزّ وأبي تمّام والبحتري والمتنبي والصنوبري من الشعراء...إلخ" (تحقيق التراث: لماذا وكيف ص٤٧-٤٨).

وإلى جانب ما ذكره الدكتور بكّار لا بدّ من الإشارة إلى أصول مقابلة النسخ، وذلك أنّ بعض المحقّقين يدوّنون في الهامش أيّ اختلاف يقع بين النسخ مهما كانت أهميته، وفي رأيي أن مثل ذلك لا يفيد القارئ بشيء، بل إنّه يزيد من ضخامة الكتاب

ويعيق القراءة المتواصلة، والأصل في إثبات الفروق بين النسخ هو في ما يمكن أن يغيّر المعنى أو يمثّل فهماً مختلفاً للنصّ أو يبدّل كلمة مكان كلمة تشبهها في الصورة وتختلف عنها في المعنى، أو يكون خطأ نحويّاً أو لغويّاً واضحاً. ويستثنى من ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأشعار والأمثال والتوقيعات، فإنّه لا يجوز التغاضي عمّا يقع من أخطاء أو اختلافات فيها، لأنّها في الأصل نصوصٌ ثابتة، فالآيات القرآنية لا مجال للاختلاف فيها بين النسخ، والشعر لا يجوز غض الطرف عن أي اختلاف في روايته وضبطه لأنّ الاختلاف بين النسخ في حركة حرف واحد يؤثر في عروضه.

وفي هذا الأمر يقول مخيمر يحيى: "واختلف المحقّقون في ذلك، فمنهم من يرى وجوب ثبت الاختلافات بين النسخ قلّت أو كثرت، حتّى الأخطاء إن وجدت، وأنا أرى مثل هذا الرأي، لأنّ ذلك يعطي القارئ فرصة وافية لمتابعة تلك الاختلافات، فكأنه يتابع تلك النسخ، ويمكن للقارئ، وفي العادة يكون من المتخصّصين، اختيار قراءة أخرى لكلمة ما، أو لبيت شعر، وهكذا. ومنهم من يرى أن لا ضرورة لثبت جميع الاختلافات بين النسخ، بل يكتفي بالاختلافات المهمّة التي من شأنها أن تغيّر المعنى أو التركيب، إن وجدت، أمّا الاختلافات التي تتعلّق بأخطاء رسم الكلمات، أو الأخطاء الإملائية والنحوية، فلا داعي لذلك" (د.مخيمر يحيى، تحقيق التراث: ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، ص٧٢-٧٣، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث الرؤى والآفاق ص٦٥-٧٨).

**ثامناً:** قلّة انشغال المحقّقين بتبيين ما في النصّ المحقّق من غموض. وقد أشار إلى هذا المأخذ الدكتور عبدالفتاح الحموز في بحث له بعنوان: "من آفات تحقيق

التراث العربي: التسرّع وعدم التثبت" ص٩٩ (منشور في كتاب: تحقيق التراث– الرؤى والآفاق ص٩٧–١١٠).

حيث يقول: "تنبئ كثير من المحقّقات عن أن تحقيقها يدور في فلك ما يأتي:

١. استبدال خطّ الطبع بخطّ اليد.

٢. التنبيه على الاختلاف بين النسخة التي تعدّ أصلاً وتلك النسخ الأخرى.

٣. الإسراف في ذكر مواطن الشاهد الشعري وغيره.

٤. الإسراف في الترجمة للأعلام الواردة في المحقَّق على الرغم من كونها مشهورة. وغير ذلك ممّا يفضي إلى تورُّم المحقّق، على الرغم من أن رجع النظر في المتن يبين ما فيه من غموض، أو مسائل مشكلة تغيب في الغالب عن كثير من المحقّقين، أو خللٍ أو تراكيب لغوية تفرض سلطانها على المحقّق المدقّق أن يرجع النظر فيها. ولعلّ ما مرّ يعود إلى ما يمكن أن يُوسَمَ به بعضُ المحقّقين من التسرّع، وعدم التثبّت، والرغبة في نشر المخطوط في أيّة صورةٍ لتحقيق الربح، أو للاتكاء عليه في الترقيات العلميّة".

**تاسعاً:** الصعوبات التي تواجه المحقّق في عمله، ومنها صعوبة استقصاء جميع النسخ الخطيّة للكتاب والحصول عليها، ولا سيّما أن كثيراً من خزائن المخطوطات العامّة والخاصّة ما زال غير مفهرس ولا معروف، كما أنّ الحصول على نسخ من أي مخطوطة من المكتبات العربيّة هو أمرٌ عسير، بينما الحصول على نسخ خطيّة من مكتبات أجنبية ليس بتلك الصعوبة. وقد أشار الدكتور عبدالسلام هارون إلى هذه الصعوبة وسمّاها عدم إمكانية الحصول على جميع الأصول المخطوطة للكتاب (تحقيق النصوص ونشرها ص٣٩).

ومن المشكلات التي يواجهها المحقّق أن يعلم، وقد كاد أن ينجز تحقيق مخطوطة ما، أنّ محقّقاً آخر قد أتمّ تحقيقه لها وقام بنشرها، وبذلك يضيع جهد المحقّق الذي لم يتمّ التحقيق بَعْدَ أن يكون قد قضى في التحقيق ربّما أعواماً طويلة وبذل في ذلك جهداً عظيماً ومالاً طائلاً.

وممّا يتصّل بهذه الصعوبة أيضاً أن يصدر تحقيقان في آنٍ واحد في بلدين عربيين مختلفين، وقد وقع ذلك لي في إصداري لكتاب جنّة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى لأبي يحيى بن عاصم الغرناطي (ت٨٥٧هـ) وإصداري لكتاب أدباء مالقة لابن خميس، فقد تلا صدورهما صدور طبعاتٍ أخرى في المغرب وبتحقيقين مختلفين.

وممّا وقع لي أيضاً أنني قمت وأستاذنا المرحوم الدكتور عبدالرحمن ياغي بتحقيق كتاب: أنموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق القيرواني، وقبيل دفع الكتاب إلى المطبعة علمنا بصدوره بتحقيق مختلف في تونس، وما زلت أحتفظ بمسوّداته إلى الآن.

وفي هذا السياق أيضاً قد يكون المخطوط محقّقاً في إحدى الجامعات أو دور النشر أو لدى أحد المحقّقين إلّا أنّه ليس منشوراً، ومع ذلك فإن هذا المخطوط على أهميته لا يستطيع محقّق آخر أن يغامر في تحقيقه.

وممّا يواجهه محقّق التراث من المشكلات "أنّ التحقيق في الآونة الأخيرة، وتحديداً في العقود الأخيرة من القرن العشرين –فقد الكثير من بريقه، وربّما قدراً من مهمّته، يؤكد هذا أنّ عدداً من الجامعات –ومنها جامعات إسلامية– لم تعد تعتمد تحقيق المخطوطات رسائل علميّة" (د.شكري الماضي، التحقيق وإحياء التراث، ص٥٧).

وأختم هذه الصعوبات بالإشارة إلى أن ما ينشر من بعض المخطوطات يصدر بنسخ قليلة لا تصل إلى أيدي الناس والباحثين وبالتالي تقلّ الاستفادة من تحقيقها.

**خاتمــة:**

ومتى كان للتراث العربيّ المخطوط هذه الأهميّة في حياة الأمّة العربيّة والتعبير عن هويّتها وشخصيتها وقدراتها وعظمة إنتاجها، فلا بدّ من بذل أقصى الجهود للحفاظ على هذا التراث وحمايته وصيانته وفهرسته وإتاحته للدارسين من أجل تحقيقه ونشره والإفادة منه في مواجهة تحدّيات الحاضر والمستقبل، وتحفيز الأجيال للبذل والعطاء والمنافسة في النهوض الحضاري.

وعلى ذلك فإنني أوصي بما يلي:

**أوّلاً:** تأكيد ما نادى به عبدالسلام هارون في كتابه "تحقيق النصوص ونشرها" (ص٦) من أن تلتزم الكليّات الجامعية ذات الطابع الثقافي العربيّ والإسلاميّ تكليف طلبة الدراسات العالية أن يقوم كلّ منهم بتحقيق مخطوط يمتّ بصلةٍ إلى موضوع رسالته التي يتقدّم بها.

**ثانياً:** أن تنظر الجامعات إلى تحقيق المخطوطات نظرة تقدير وتدرجه ضمن الجهود العلميّة الجديرة بالاعتبار لغايات الترقية وسواها.

**ثالثاً:** العمل على إحياء مشروع الفهرس الشامل للتراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط، الذي يرمي إلى إعداد فهرس موحّد للمخطوطات العربيّة المنتشرة في أنحاء العالم وتحديد أماكن وجودها من أجل التسهيل على الباحثين العاملين في مجال تحقيق المخطوطات. ثمّ تحديد ما حقّق منها وما لم يحقّق.

**رابعاً:** أن تخصّص المنظمة العربيّة للتربية والعلوم والثقافة جائزة سنوية عالية القيمة لأفضل تحقيق ووفق أسس محدّدة.

**خامساً:** توجيه العناية إلى تحقيق التراث العلمي العربي في الطبّ والفلك والهندسة والرياضيات والكيمياء وغيرها، وعدم الاقتصار على تحقيق التراث الأدبي واللّغوي والتاريخي والفقهي.

**سادساً:** أن يتجنب المحقّقون الآفات والمحاذير المذكورة سابقاً عند اشتغالهم في مجال التحقيق.

**المصادر والمراجع:**


- أهمية التراث العلمي العربي، أ.د.أحمد فؤاد باشا، منشور ضمن كتاب: محاضرات دورة المخطوطات (ص١٩-٤٤).
- بعض صعوبات تحقيق المخطوطات العربيّة، أ.د.حسن الشافعي، منشور ضمن كتاب: محاضرات دورة المخطوطات (ص١٠٣-١٣٦).
- بين يدي تحقيق النصوص، أ.د.عصام محمد الشنطي، منشور ضمن كتاب: محاضرات دورة المخطوطات، (ص٥٣-٥٩).
- التحقيق: لوازمه وبداياته وآفاقه، د.يحيى وهيب الجبوري، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث- الرؤى والآفاق: أوراق المؤتمر الدولي لتحقيق التراث العربي الإسلامي، إعداد وتحرير: الدكتور محمد محمود الدروبي، منشورات جامعة آل البيت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م (ص٣٣-٤٢).
- تحقيق التراث- الرؤى والآفاق: أوراق المؤتمر الدولي لتحقيق التراث العربي الإسلامي، إعداد وتحرير: الدكتور محمد محمود الدروبي (٣ مجلدات)، منشورات جامعة آل البيت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- تحقيق التراث: لماذا وكيف؟ د.يوسف حسين بكّار، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث- الرؤى والآفاق، ص٤٣-٥٤.
- تحقيق التراث: ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون، د.مخيمر صالح يحيى، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث- الرؤى والآفاق، ص٦٥-٧٨.
- التحقيق غير المنهجي: ديوان عرقلة الكلبي نموذجاً، د.محمود عبدالله أبو الخير، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث- الرؤى والآفاق، ص١٥٧-٢١٨.

- تحقيق مخطوطات العلوم في التراث الإسلامي، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، أبحاث المؤتمر الرابع، تحرير إبراهيم شبّوح، ومبلدن، المملكة المتحدة، ١٩٩٧.
- تحقيق النصوص ونشرها، عبدالسلام محمد هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- التحقيق وإحياء التراث، د.شكري عزيز الماضي، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث– الرؤى والآفاق، ص٥٥–٦٤.
- ثقافة المحقّق، أ.عصام محمد الشنطي، منشور ضمن كتاب: محاضرات دورة المخطوطات، ص٥٣–٥٩.
- ضبط النصّ والتعليق عليه، د.بشّار عواد معروف، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠.
- في تحقيق النصّ، أنظار تطبيقية نقدية في مناهج تحقيق المخطوطات العربيّة، د.بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- قضايا توثيق النصّ وتحقيقه، د.العيّاشي السنوني، فاس ٢٠٠٤.
- قواعد تحقيق المخطوطات، د.صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٧، ١٩٨٧.
- كتاب المؤتمر السنوي السادس (٢٠–٢٥ شوال ١٤٠٧هـ/ ١٦–٢١ حزيران (يونيو) ١٩٨٧، مؤسّسة آل البيت (المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية) عمّان، ١٩٨٨.

- محاضرات دورة المخطوطات (الدورة الثانية، فبراير– إبريل ٢٠٠٩)، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، جامعة القاهرة، كليّة دار العلوم، ومؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي.
- المخطوطات العربيّة في العالم، د.فهمي جدعان ود.صلاح جرّار، منشور ضمن: الكتاب السنوي السادس، مؤسّسة آل البيت/ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ص٩٩–١٣٩.
- مسوّغات إعادة تحقيق التراث في ضوء قوانين الملكية الفكرية: الكتب اللّغوية أنموذجاً، د.حسن خميس الملخ، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث– الرؤى والآفاق، ص٧٩–٩٦.
- المصطلح العلمي في التراث العربي المخطوط: إشكالات الماضي وآفاق المستقبل، منشور ضمن كتاب: تحقيق مخطوطات العلوم في التراث الإسلامي، ص٢٨٣–٣٢٥.
- من آفات تحقيق التراث العربي: التسرّع وعدم التثبّت، د.عبدالفتاح أحمد الحموز، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث– الرؤى والآفاق، ص١٤٧–١٥٦.
- منهج تحقيق التراث العربي بين مزالق المحقّقين وتطوير صناعة التحقيق، أ. إياد خالد الطبّاع، منشور ضمن كتاب: تحقيق التراث– الرؤى والآفاق، ص١٥٧–٢١٨.

**التعليقات والمناقشات**

د.إيمان الكيلاني: اقترحت إنشاء لجنة أو رابطة وطنية للتحقيق العلمي للتراث تحت مظلة مجمع اللغة العربية الأردني؛ تشمل كلَّ محققي التراث الذين يُشهد لهم بالإتقان والتميز.

د. محمد زكي خضر: أشار إلى أن هناك مواقع على الشابكة تنشر المخطوطات، الأمر الذي يتيح المجال لتحقيقها من المتخصصين. وبيّن أن بقاء بعض المخطوطات في المواقع الغربية لا بأس به؛ فبقاء المخطوطات في مواقعها الأصلية قد يعرضها للخطر.

د.عبدالقادر عابد: يرى أن تحقيق التراث من أعمال الدولة، ولا بد من إنشاء مؤسسة لتحقيق التراث، تضمّ المحترفين في هذا المجال.

د.فوزي المومني: استفسر إن كان للنشر الإلكتروني دور في حل مشكلة النشر للكتب المحققة؟

د.مريم اللوزي: تساءلت عن دور المجمع في اشتمال المناهج الدراسية على نماذج من التراث.

إحدى الحاضرات: ترى أن تحقيق التراث يحتاج إلى جهود جماعية.

حنين ياسين/ جامعة الحسين بن طلال: ترى أن الجامعات مقصرة في جانب العلم بالخطوط العربية، إذ لا يوجد مادة علمية تهتم بها.

رد د.صلاح جرار: يرى أن النشر الإلكتروني يساعد على نشر الكتب المحققة، ويكون بالتنسيق بين المحقق والناشر.

رد د.أنور أبو سويلم: بين أننا بحاجة إلى استرداد المخطوطات، وأن أكبر صعوبة تواجه المحقق هي الوصول إلى المخطوطة الأصلية، وتمنى لو أن كل مجمع ينشر خمس مخطوطات في السنة، فهذا عمل جيد.

د.خالد الكركي: بين أن تحقيق المخطوطات من أولويات المجمع، والمجمع على استعداد للتعاون في هذا المجال.

# تحقيق التراث العربي

# ما له ..... وما عليه

الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم

الثلاثاء ١٩ ربيع الأول ١٤٤٠هـ – الموافق ٢٧ تشرين الثاني ٢٠١٨م

## المُلَخَّص

تناولت في هذه المقالة أهم مشكلات تحقيق التراث العربي، ورَأَيْتُ أنَّها ترجِع إلى أربع مشكلات أساسية أُولاها: أَزَمة الإيمان بأهميَّة التراث، وقيمته وأصالته، ودوره في تَغْذية الفكر العربي المعاصر خاصة والفكر الإنساني عامة، والثانية: رُكُون الباحثين العرب إلى صنيع المُستَشرقين في تحقيق التراث العربي، وما تَوَهَّموا من دِقَّة أعمالهم ومَنْهجيَّتها، وما نَتَج عن ذلك من وجود مخطوطات منشورة بعِلَلها وعُيُوبها. والمشكلة الثالثة تتعلق بالمُحَقِّق العربيّ من حيث تَمَثُّله للأُصُول العلمية لفَن التحقيق، ودور المؤسسات التعليمية في تأهيل المُحَقِّقين.

والمشكلة الرابعة تتعلَّق بالكِتاب المُحَقَّق : صعوبة الوصول إلى النُّسخ الخَطِّية، وغياب الفَهْرسة الشَّاملة للتُّراث العربي، وما يتعرَّضُ له الكتاب في الدُّول الأجنبيَّة من تَهْريب ومُتَاجرة رخيصة واحتكار.

قَصَدْتُ من هذا البحث التعريف بأهمّ مشكلات تحقيق التراث العربي ومُعَوِّقاته، وهي مشكلات قديمة حديثة معاً، ورأيت أنَّها تعود إلى أربع مشكلات أساسية:

أ- أزمة الإيمان بالتراث.

ب- المستشرقون والتراث.

ج- المُحَقِّقون والتراث.

د- الكتاب المُحَقَّق.

ولم أعرض للمُشْكلات الفَنِّية المُتعلِّقة بالأصول العلمية لتحقيق النصوص ونَشْرها، فقد أَوْفَى هذه المشكلات ثُلَّةٌ من العلماء حَقّها من الدَّرْس(٥٦).

(٥٦) انظر في هذا الموضوع: برجستراسر: أصول نقد النصوص ونشر الكتب، وهي محاضرات ألقاها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣١، ونشرتها دار الشعب سنة ١٩٦٩.
ود.محمد مندور: قواعد نشر النصوص، مجلة الثقافة المصرية، ١٩٤٤م، العددان ٢٧٧، و٢٨٠.
وعبدالسلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م، وط٢، ١٩٦٥م.
وصلاح الدين المجد: قواعد تحقيق المخطوطات، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٥٥م، ج٢، م١، وبيروت، ١٩٧٦م. وقواعد فهرسة المخطوطات العربية، بيروت، ١٩٧٦م.
ود.مصطفى جواد: أصول تحقيق النصوص، محاضرات بكلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٦٧/٦٦م، ونشرها الدكتور محمد علي الحسيني: دراسات وتحقيقات، بيروت، ١٩٧٤م.
ود.عبدالستار الحلوجي: المخطوط العربي، رسالة ماجستير، القاهرة، ١٩٦٧م.
ود.شوقي ضيف: البحث الأدبي، دار المعارف، مصر.
ود.نوري القيسي وسامي مكي العاني: منهج تحقيق النصوص ونشرها، بغداد، ١٩٧٥م.
ود.عبدالرحمن عميرة: أضواء على البحث والمصادر، الرياض، ١٩٧٧م.
ود.عبدالهادي الفضلي: تحقيق التراث، مكتبة العلم، جدة، ١٩٨٢م.

**(أ) أزمة الإيمان بالتراث:**

لعلَّ أهمَّ مُشْكلات الباحث العربي المعاصر قِلّة المصادر التُّراثية المُحَقَّقة تحقيقاً علمياً سليماً، ما يجعل الوصول إلى الحقيقة فيما يتعلق بالتراث العربي القديم: أدبهِ وتاريخهِ وحضارتهِ... مسألة في غاية الصُّعوبة والعُسْر، ويُسَهِّل الطَّعْن في تراثنا والتَّهوينَ من شأن تاريخنا الفِكْري؛ لغرض معلوم وهو بَتْرُ حاضرنا عن ماضينا ونَزْعُ ما في نفوسنا من اعتزاز بجذورنا، وبَعْثُ الرِّيبة في حقيقة الفكر العربي وأصالته، وقُدْرته على تطوير الفكر العربي المعاصر، والفكر الإنساني عامة، والذين يَرْتابون بتراثنا الفكري –من أصحاب النوايا الحَسَنة– لهم الحق –أحياناً– في هذه الرِّيبة، فالمنشورُ منه جزء ضئيل لا يُمَثِّل حقيقة التراث وَوَاقعه، أمّا الجُلّ الأعظم من هذا التراث فلا يزال رهين المكتبات الأجنبية والعربية. أما المُرْتَابون عن عَمْد وقَصْد فيُشكِّكون في أصالة التراث العربي وجِدَّته وأهميته في الحياة الفكرية الإنسانية. وليست مِحْنَةُ التراث العربي بهؤلاء المرتابين، سواء من يهمل التراث عن سَهْو وكسل، أم مَنْ يَطْمسه عن قَصْد، بأقلّ من مِحْنَته في حِقَب التاريخ وهو يقاوم الحَرْق والإغراق والتَمْزيق والتَحْريف من غُزَاة التَّتار والمَغُول، والصَّليبيين والمُسْتَعمرين.

إنَّ تحقيق التُّراث العربي مُهمة قَوْمية تفتحُ منافذ النُّور على كُنُوز العَقْل العربي الذي تَرَاكم عليه غُبار الإهمال، ويكشفُ عن دور العرب المسلمين في رَكْب الحضارة الإنسانية، ويُضيفُ إلى ثروة الفِكْر الإنساني غنًى وخِصْباً مَجْهولين، ويزيدنا إيماناً بشخصيتنا ورِيَادتنا الحَضَارية، ويُعَمِّق انتماءنا الوطني والقومي والديني. فالمشكلة الأُولى في تحقيق التراث هي أَزَمة الإيمان بأهمية هذا التراث وقيمته وأصالته ودوره

في تغذية الفكر العربي المعاصر ورفده بدوافع الاستمرار والبقاء؛ وسبب هذه الأزمة في رأيي أمران:

- أن كُنُوز التراث العربي لم تُفَضّ أختامها، ولم يُنْشر منها إلّا القليل الضَّئيل.
- التَّخَلُّف العربي العلمي والاقتصادي والسياسي.

**(ب) المُسْتَشرقون والتراث:**

وقد تَنَبَّهت الدُّول الاستعمارية إلى أهمية الجُذُور الفكْرية للإنسان العربي، مُمَثَّلة بعشرات الأُلُوف من المخطوطات في شتى حقول المعرفة، فاستولت عليها بطُرُق مشروعة أحياناً، وغير مشروعة في أكثر الأحيان، ونقلت أهمَّ كُنُوز المخطوطات العربية إلى برلين وباريس ولندن وليبزج والأوسكريال... وغيرها، وكان الحصول على كنوز الفكر العربي هدفاً استراتيجياً تُرْسلُ الحكومات من أجله الوفود والبعثات: ففي ألمانيا –على سبيل المثال– أُرسِل إلى الشَّرْق لهذه المهمة كلٌّ مِنْ:

(١) يوهان جوتغريد فيتشتاين (١٨١٥–١٩٠٥) الذي كان يعمل في دمشق قنصلاً لبروسيا (١٨٤٨–١٨٦٢) واقتنى أربع مجموعات من المخطوطات ذهبت مجموعتان منها إلى برلين، ومجموعة إلى لايبتسج، ومجموعة إلى توبنجن.

(٢) هاينرش بيترمن (١٨٠١–١٨٧٦) الذي أُرسل إلى أكثر من دولة عربية وعاد ومعه مجموعتان كبيرتان من المخطوطات.

(٣) شبرنجر (١٨١٣–١٨٩٣) الذي ظل مدة تزيد على اثني عشر عاماً مقيماً بالهند عاملاً في ميادين التعليم والمكتبات والثقافة العامة، ولما عاد عام

١٨٥٦م إلى أوروبا أحضر معه نحو (٢٠٠٠) ألفي مُجَلَّد بينها (١١٠٠) ألف ومئة مخطوطة عربية انتقلت ملكيتها إلى مكتبة برلين[٥٧].

قال المستشرق الألماني ستيڤن ڤايلد[٥٨]: "أغلبية آلاف المخطوطات العربية الموجودة على شكل مجموعات كبيرة في برلين وتوبنجن وليبزج وجوتا وغيرها من المدن الألمانية كان قد أحضرها الرَّحَّالون والهُواة أثناء رحلاتهم في القرن التاسع عشر في أطراف الدولة العثمانية، ولا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا إن كثيراً من هذه المخطوطات قد تَمَّ شراؤه بطريقة شرعية وبأسعار مناسبة!!! أما من ناحية أخرى فقد تَعَرَّضت هذه المخطوطات إلى عمليات سَلْب وسَطْو وهُرِّبت إلى أُوروبا"، وفي العصر الذهبي من الدولة العثمانية نُقِل أهمّ كُنوز المخطوطات العربية إلى استانبول بتشجيع من السلاطين العثمانيين؛ ما يجعل تركيا اليوم –دون ريب– من أغنى بلاد العالم بالمخطوطات العربية.

وساعد التفَوُّق الأوروبي الاقتصادي والعلمي والسياسي والعسكري على امتلاك التراث العربي الفكري، فأصبحت عواصم الدول الأوروبية مراكز مهمة للمخطوطات العربية كروما وباريس وبرلين ولندن ومدريد.

ولا شك أن الاهتمام الأجنبي بالمخطوطات العربية كان يخدم المؤسسات التجارية والسياسية والعسكرية، وقد تَحَوَّل الهدف الاستعماري في بعض المراحل إلى محاولة

---

(٥٧) رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: د.مصطفى ماهر، طبعة القاهرة، ص٢٢، ٢٣، ٦٤.

(٥٨) ستيڤن ڤايلد: العلاقات بين العرب والألمان، محاضرات الموسم الثقافي الثالث/ جامعة مؤتة، ١٩٨٧، ص٧.

فهم العقلية العربية، والتعرف على تاريخ الشعب العربي ولغته ودينه وحضارته وعلومه واتجاهاته الفكرية.

وعُني متخصِّصون في اللغات السامية في هذه البلاد بتحقيق بعض المخطوطات العربية ونشرها، وكانت الغاية الأساسية من وراء ذلك التعرف على طبيعة الفِكْر العربي وحياة شعوبه بما يخدم أصحاب القرار السياسي، ونُظِر إلى التراث العربي على أنه وسيلة مساعدة تعين في استيعاب صحيح اللغة العِبْرية؛ لغة العَهْد القديم، ومعرفة معاني المفردات الغامضة في العهد القديم التي لها ما يُمَاثلها باللغة العربية، واقترنت دراسة اللغة العربية بعلم اللاهوت:

– سنة ١١٤٣م تمت ترجمة (معاني) القرآن الكريم في إسبانيا لأول مرَّة إلى اللغة اللاتينية.

– سنة ١٥١٤م طُبع أول كتاب عربي بمدينة فانو بروما، وهو صلاة السواعي، وهو كتاب ديني مسيحي.

– سنة ١٥٩٢ طُبع في روما كتاب "الكافية في علم النحو" لابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) وكتاب "نزهة المشتاق في ذكر الأمصار" وهو مختصر كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي (ت٥٦٠هـ).

– سنة ١٥٩٣م نُشر في روما كتاب "النجاة" لابن سينا (ت٤٢٨هـ).

– سنة ١٥٩٤م نُشر "تحديد أصول الهندسة لإقليدس" للطوسي (ت٦٧٢هـ).

– سنة ١٦١٠م نشر "التصريف العذي" للزنجاني (ت٦٥٥هـ).

– سنة ١٦٣٦م نشر في ليدن "عجائب المقدور" لابن عربشاه (ت٨٥٤هـ).

– سنة ١٦٦٣م نشر في أكسفورد "تاريخ الدول" لابن العبري (ت٦٨٥هـ).

– سنة ١٧٣٨ نشر ريسك بألمانيا معلقة "طرفة بن العبد" بشرح ابن النحاس، و"عيون الأنباء" لابن أبي أُصيبعة.

– سنة ١٧٥٤م نشر ريسك بألمانيا القسم الأول من "مختصر تاريخ البشر" لأبي الفداء الأيوبي.

– سنة ١٧٥٥م نشر ريسك رسالة ابن زيدون إلى أبي عامر بن عبدوس.

وفي مطلع القرن التاسع عشر برز في أوروبا علماء الدراسات الشرقية مثل: فلوجل الذي حَقَّق حماسة أبي تَمَّام بشرح التَّبريزي، وفهرست ابن النديم، وڤستنفيلد الذي حَقَّق سيرة ابن هشام ومعجم البلدان، وبانكويري الذي حقق كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلي وترجمَهُ إلى الإسبانية، ولايل الذي حقق المفضليات بشرح ابن الأنباري، وفريتاغ الذي حقق ديوان الحماسة للتبريزي والمنتخب من تاريخ حلب، ودي سلان الذي حقق تقويم البلدان لأبي الفداء ونشره في باريس، ورايت الذي حَقَّق الملاحن لابن دريد والكامل للمبرّد، ودي غويه الذي حَقَّق المسالك والممالك لابن خرداذبة ونشره في ليدن. وغير ذلك من كتب التراث التي حُقِّقت ونُشرت في بلدان متفرقة[٥٩]، وكان من أهم مراكز التحقيق والنشر: ليدن، وروستك، ومدريد، وباريس،

---

(٥٩) انظر: رودي بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص٥٠ وما بعدها.

وبروكلمان: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، بمصر، الأجزاء: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦.

وفؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة د.فهمي أبو الفضل ود.محمود فهمي حجازي، القاهرة، ١٩٧١م، وجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٨١.

ود.محسن جمال الدين: ما أسهم به المستشرقون الإسبان في الدراسات الأندلسية الإسلامية، مجلة المورد، بغداد، ١٩٨١، المجلد التاسع، العدد الرابع.

ونجيب العقيقي: المستشرقون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠، وعبدالهادي الفضلي: تحقيق التراث، مكتبة العلم، جدة، ١٩٨٢.

وأكسفورد، وبون، وجوتنجن، ولندن، وبطرسبرج، وليبزك، أو بعبارة أخرى، لم تُحَقَّق هذه الكتب تحقيقاً سليماً من حيث: تقويم النصّ وضبطُه وترقيمه، ومقابلة النسخ، وتخريج المعلومات، وتصويب الخطأ والتحريف والتصحيف ثم التهميش والفهرسة والمقابلة، وفي أكثر الأحوال كان النص يُنْشَر على عِلّاته، أو يُنْشر بأخطائه وعِلَله.

وشُهر من هؤلاء المستشرقين من عُرِفوا بالدّقة العلمية والتمَكُّن من العربية، إلّا أنّ كثيراً منهم لم يكونوا كذلك، وهذه مشكلة لم يَتَنَبَّه لها المُحَققون العرب ورَكَنوا إلى صنيع من لَمْ تكن العربية عربيتهم، ولا حضارتهم ولا رُوحها روحهم. فالمشكلة الثانية في تحقيق التراث العربي: أنَّ رُوَّاده من غير العرب أصحاب اللغة والحضارة، وأنّ ما ظُنَّ أنه حُقِّق بحاجة إلى إعادة تحقيق. ومن كتب التراث التي طُبعت طبعات بدائية؛ لا جَمْع فيها للنُّسخ ولا مُقَابلة ولا اعتناء، تحقيق دي كوپييه لديوان الخنساء المنشور في بيروت ١٨٨٩م. وديوان عامر بن الطفيل الغنوي بتحقيق لايل (انظر: سلسلة نشرات جب التذكارية رقم ٢١، ليدن – لندن ١٩١٣م)، وديوان الزَّفَيان، عطاء بن أُسيد السَّعدي التميمي، حققه آلورد في برلين ١٩٠٣، وكتاب الإبل المنسوب للأصمعي حققه أوغست هفنر، وهو مطبوع ضمن كتاب (الكنز اللغوي في اللَّسن العربي) في المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٠٣م. إن أكثر ما حَقَّقه المستشرقون بحاجة إلى تحقيق جديد وفْقَ الأُسس العلمية الحديثة لفن التحقيق.

**(ج) المحققون والتراث:**

لا نستطيع القول إنّ كُلَّ محققي التراث العربي قد تَمَثَّلُوا الأُصول العلمية اللازمة لتحقيق النصوص القديمة ونشرها، فهذا العِلْم لم يعرفه علماء العربية بالمفاهيم المعاصرة إلّا في مطلع القرن العشرين أو نحو ذلك، ولسنا نجد في الجامعات العربية

من يُدَرِّس هذا العلم لأنه في الغالب لا يُوضع في البرامج التعليمية سواء في المرحلة الثانوية أم في المرحلة الجامعية الأُولى، وأغلب المحققين يُحَقِّقون النصوص القديمة اجتهاداً وبطرق متباينة، ما جعل (التحقيق) عند الكَسَل الذهني، ومع الجهل بأصول التحقيق نرى بعض المحققين يَهْجُم على تحقيق إحدى المخطوطات دون علم بنُسخها الخَطِّية، ودون علم بالأُصول والفروع والمُسَوَّدات، ودون معرفة بالخطوط القديمة، وأحياناً دون علم بالمادة العلمية التي تحتوي عليها المخطوطات. نحن في عصر التَخَصُّص وَقلَّما نجد نَحْوياً يعرفُ البلاغة العربية أو الفلسفة الإسلامية أو علم العروض، أما علماء العربية الذين أنتجوا التراث العربي، فلم يعرفوا التخصص، فكان كثير منهم يُلِمُّ بعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الفلك وعلم الكلام، والفقه والتفسير والحديث والشعر والنثر، والنحو والطب... إلخ.

وهنا يقف المُحَقِّق المُحْدَث عاجزاً عن مجاراة القدماء، وقلما نجد مُحَققاً يلجأ إلى غيره من المختصين ليُعينه في تحقيق نص ليس من حقل اختصاصه. وإن توفرت الرغبة لدى طالب العلم في تحقيق التراث نجد المؤسسات التعليمية تضع حواجز دون تنفيذ تلك الرغبة، فبعض الجامعات العربية ترفض أن تكون رسالة الماجستير فيها أو الدكتوراه كتاباً مُحَقّقاً، وبعض الجامعات لا تعتمد الكتاب المُحَقَّق في ترقية أعضاء هيئة التدريس فيها.

وكيف لنا مجاراة عصر السرعة بهذه العراقيل التي تطمس أغلى صور موروثاتنا.

إنّ أقدم جامعاتنا لم تَنْشُر من كتب التراث إلّا عدداً يسيراً، وعشرات الألوف من المخطوطات تنتظر الأرضة والرطوبة والحريق والتهريب.

ولا شك أن الصَحْوة العربية برزت في عديد من المراكز العلمية التي تُعْنَى بنشر كتب التراث، كالمجلات التابعة لمجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد وعمان، ومنشورات معهد المخطوطات العربية، ومجلة التراث العربي بدمشق، ومجلة تاريخ العلوم بحلب، ومجلة اللسان العربي بالرباط، ومجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي بمكة المكرمة، ومجلات كليات الآداب في الجامعات العربية، ودوريات أخرى عربية وأجنبية.

وهذه المراكز ذات فائدة جمة، فهي تنشر التراث المُحَقَّق وتُعرِّف بوجود المخطوطات الجديدة ومحتواها ووصفها.

**(د) الكتاب المُحَقَّق:**

لا شك في أن فهارس المخطوطات العربية في الأُسكوريال وبرلين والمتحف البريطاني والمكتب الهندي بلندن ولاهاي ودبلن والفاتكان وروما وميلانو وصوفية والقسطنطينية واستنبول والأناضول وبطرسبرج وباريس وڤيينا، وعشرات الفهارس في الدول العربية –هذه الفهارس تُعَدُّ عملاً متقدِّماً يخدم التراث العربي ويُعَرِّف –على الأقل– بوجود مخطوطات التراث.

وليس في وسع الباحثين الوصول إلى المخطوطة المراد تحقيقها إلّا بعد كَدّ وتَعَب شديدين، وغالباً ما يَقْضي الباحث سنين في جمع النُّسخ الخطيَّة لكتاب واحد، وما يَتْبع ذلك من أعمال روتينية مُعيقة ومُتْعبة، وأغلب هذه الفهارس مفقود، ويلجأ بعض الباحثين إلى الاعتماد على ما تقع عليه يده: فقد نشر الدكتور شوقي ضيف سنة ١٩٤٧م كتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء القُرطبي (ت٥٩٢هـ) معتمداً على

نسخة المكتبة التيمورية بمصر، التي يعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٣١٨هـ. ثم أعاد الدكتور محمد إبراهيم البنا تحقيق هذا الكتاب ونشره نشرة أتمّ وأَوْفى سنة ١٩٧٩ عندما عثر على نسخة أقدم من النسخة التي اعتمدها الدكتور شوقي ضيف يرقى تاريخها إلى عصر المؤلف.

وقد ينتج عن وجود أكثر من نسخة خطية في أكثر من مركز من مراكز حفظ المخطوطات، وفي غياب التنسيق بين المراكز العلمية وعدم وجود فهرسة كاملة لكل المخطوطات –أن يُحَقِّق الكتابَ الواحدَ أكثرُ من باحث بما في هذا العمل من ضياع للوقت والجهد: فكتاب "شرح مشكل شعر المتنبي" لابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت٤٥٨هـ) حققه خمسة باحثين:

١- حققه الدكتور محمد رضوان الداية، ونشره في دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٧٥م.
٢- وأعد هذا الكتاب محمد خليفة الدفاع من ليبيا في رسالته للدكتوراه (دراسة وتحقيق) سنة ١٩٧٤م.
٣- واتخذ جمال الدين رضوان محمد تحقيق هذا الكتاب موضوعاً لدرجة الدكتوراه في جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.
٤- وحققه مصطفى السقا ود.حامد عبدالمجيد، ونشرته الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٦م.
٥- وحققه أيضاً الشيخ محمد حسن آل ياسين ونشرته وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٧م.

ولا أستبعد أن نسمع عن تحقيقات أخرى لهذا الكتاب في ظروف تحقيق التراث العربي.

إنّ شروح ديوان المتنبي تزيد على ثلاثة وستين شرحاً[٦٠]؛ ما حُقِّق منها ونُشِر لا يتعَدّى أحد عشر شرحاً، وفي الوقت نفسه يعكف خمسة باحثين على شرح واحد، ويصرفون جهداً ضائعاً ووقتاً نحتاجه في أعمال أخرى.

إنّ غياب التنسيق بين المراكز العلمية العربية كفيل بإضاعة الوقت الذي نحتاجه اليوم أكثر من أيّ وقت مضى. ولا بد من الاستفادة من عصرنا الذي يتمتع بإمكانيات تقنية متقدمة كأجهزة الحاسوب (الكمبيوتر) التي يمكن أن تقوم ببرمجة فهارس المخطوطات في كل أنحاء العالم ووضعها في متناول المراكز العلمية، ما حقق منها، وما لم يحقق، ويستطيع الباحث بسهولة معرفة أماكن وجود النسخ الخطية لأي كتاب دونما مشقة.

ولا شك أنّ أفلام (الميكرو) تفيد في حدود معلومة، لكنها لا تفيد إطلاقاً في المخطوطات رديئة الحبر أو المكتوبة بحبر أحمر.

والعصر الحديث لديه إمكانات فنية متقدمة إذ يمكن بوساطة الـ(Facsmilie) طباعة المخطوطات على ورق يشبه تماماً نوعية ورق المخطوطة الأصل من حيث الشكل واللون والسماكة.

وتبقى قضية وجود المخطوطات العربية في الدول الأجنبية مشكلة لم تنجح المفاوضات التي جرت من أجل استرجاعها، وستبقى كنوز العقل العربي رهينة مَحْبِس الدول الأجنبية ما لم يعالج هذا الأمر في إطار سياسي.

---

(٦٠) انظر كوركيس عواد: رائد الدراسة عن المتنبي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩، ص٣٨-٨٠.

ولسنا نطمئن على سلامة التراث العربي في حماية دولة لا تعترف به ولا يَهُمُّها نشره، ويكفي أنْ نعرف أن مخطوطات التراث العربي يتداولها السَّماسرة والمُهَرِّبون وتُباع في (الأسواق السوداء)، وفي تركيا –أغنى دول العالم بالمخطوطات العربية– أكثر من مئة وثلاثين مكتبة تضم في قيودها مخطوطات عربية بيعت منها آلاف من كتب التراث في أسواق أُوروبا وأمريكا.

# اللغة العربية والفكر السياسي المعاصر:

# إشكالية المفاهيم السياسية المعاصرة

**الأستاذ الدكتور وليد عبدالحي**

**الثلاثاء ٢٦ ربيع الأول ١٤٤٠هـ – الموافق ٤ كانون الأول ٢٠١٨م**

## المُلَخَّص

يتسم الخطاب السياسي العربي في تجلياته المختلفة بأنه خطاب (ميتافيزيقي) بالمعنى الكانتي للمفهوم، أي إنه خطاب يقارب موضوعه بالتصور المجرد، فيكبت الفعل لصالح القول، ولعل انحياز الخطاب للقول على حساب اللفظ، جعله معنياً بتحقيق سلاسل مترابطة من المصالحات الذهنية، لكنه غير معني بالإجراء، ما جعل الخطاب كمن حفظ بكل دقة خطوات السباحة دون أن تلمس قدماه الماء.

ناقش البحث ميدانين حديثين تناولهما الفكر السياسي المعاصر: الأول: الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية وتطوير الفكر السياسي، والثاني: ميدان العولمة.

كما ناقش البحث المفاهيم والتقنيات المنهجية للميدانين من خلال محاولة معالجة إشكالية نقل المفاهيم الجديدة –منهجاً ومضموناً– في هذا الفكر إلى اللغة العربية.

**المقدمة:**

من العسير رصد كل ما أنتجه الفكر السياسي المعاصر من ناحية، وتتبع كيف انتقل هذا الفكر إلى أدبيات الفكر السياسي العربي المعاصر من ناحية ثانية، وعليه رأيت اختيار ميدانين حديثين تناولهما الفكر السياسي المعاصر سواء من جانب تطوير منهجية دراسة الظواهر السياسية المعاصرة، أو من جانب تحليل بنية هذه الظواهر، وحاولت معالجة إشكالية نقل المفاهيم الجديدة –منهجاً ومضموناً– في هذا الفكر إلى اللغة العربية.

الميدان الأول الذي وقع اختياري عليه هو ميدان الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية وتطوير الفكر السياسي له منهجاً ومضموناً، والميدان الثاني هو ميدان العولمة، وتم رصد التعبير عنها في اللغة العربية من زاوية منهجية وموضوعية بشكل عام، والمفاهيم التي انبثقت عن تطور هذه الظاهرة السياسية الاجتماعية الاقتصادية بشكل خاص.

وحددت موضوع تناولي في هذه الورقة البحثية في المفاهيم والتقنيات المنهجية للميدانين وكيفية التعبير عنهما في اللغة العربية، ولست هنا معنياً بتحليل الخطاب السياسي بأبعاده الرمزية أو المباشرة، بخاصة أنني تناولت سابقاً هذا الموضوع في دراسة أخرى(٦١)، وأقر بأني وجدت أن الأمر عسير للغاية، وهو ما يجعلني أناشد أساتذة اللغة العربية في مجتمعاتنا ومعاهدنا العلمية ضرورة مساندتنا في هذا المجال، بخاصة أن الدراسات المستقبلية ما تزال في مهدها في الجامعات والمعاهد العربية من ناحية، كما أن الثقافة الشعبية والآيديولوجية تكاد تطغى على تحليل ظاهرة العولمة من

---

(٦١)– وليد عبدالحي– لغة الخطاب السياسي: المشكلة والحل
https://www.majma.org.jo/res/seasons/31/31-14.doc–

ناحية أخرى، ما يستوجب العمل على وضع قاموس لهذا التخصص بشكل يوحد تداول مفاهيمها في البحوث العربية.

ولعل مراجعة بعض الجهود المشكورة لترجمة المصطلحات السياسية للعربية هو ما لفت انتباهي صوب غياب المصطلحات الجديدة في ميدان علم السياسة بفروعه المختلفة(٦٢).

**مفارقة المنظومة المعرفية العربية:**

من المتعذر فيما نزعم الفصل بين الترجمة وتباين بنية المنظومات المعرفية من مجتمع لآخر، وتعني المنظومة المعرفية في تصورنا (كيفية التعبير عن شبكة الروابط الذهنية المنتظمة بين المعلومات عن الذات والآخر والكون)، فهي:

معلومات يختزنها الذهن حول الذات والآخر والكون سواء تعلقت هذه المعلومات بالشكل أو الجوهر، وسواء تعلقت بكمٍّ أو كيفٍ، وسواء كانت معلومات صحيحة أو غير صحيحة أو ملتبسة.

---

(٦٢)- انظر على سبيل المثال كتاب كفاح حمدان- المميز في المصطلحات والجمل السياسية الحديثة في:

https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2007/07/25/97702.html

https://www.bipd.org/publications/InstituteBooks/MediaHandler/GenericHandler/documents/Books/decvocpol.pdf

- إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي- الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي- إنجليزي)

http://boulemkahel.yolasite.com/resources/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%B3%D8%B1%D8%A9%20%D9%84%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9.pdf

الترابط بين المعلومات: أي التداعي بين المعلومات في الذهن، مثل العلاقة التي نختزنها عن الرجل والمرأة والجنس والإنجاب والقرابة... إلخ، وقد تكون هذه الروابط صحيحة أو غير صحيحة.

سلم قيمي يوجه ويسيطر على أنماط السلوك، وهو نتيجة للخبرة التاريخية في تفاعل البعد الأول والثاني، أي التفاعل بين المعلومات وتداعياتها ومنهج معالجتها نظرياً.

بناء على ما سبق، نرى أن الأبعاد الثلاثة في بنية المنظومة المعرفية العربية تلعب دوراً واضحاً في القدرة على تطويع المفاهيم الجديدة للغة هذه المنظومة كما سيتضح في نهاية هذه الدراسة.

**الميدان الأول: الدراسات المستقبلية:**

تبدأ إشكالية البحث في هذا المجال في عدم وضوح حدود هذا الميدان في الدراسات العربية المعاصرة، فثمة خلط لدى العديد بين الدراسات المستقبلية والتخطيط الاستراتيجي، ففي الميدان الأول يتم عرض كافة الاحتمالات لتطور ظاهرة معينة من خلال قدر غير يسير من التقنيات المنهجية وصولاً للترجيح بين هذه الاحتمالات، بينما التخطيط الاستراتيجي معني بأفضل السبل لإنجاز هدف مستقبلي محدد مسبقاً، وهو ما يجعل لتقنيات هذا الميدان مساراً مختلفاً وإن تقاطع معه في بعض الجوانب(٦٣).

---

(٦٣)- مجدي فارح- الدراسات المستقبلية في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ص٣.
https://repository.nauss.edu.sa/bitstream/handle/123456789/56383/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84%D9%8A%D8%A9%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B5%D8%B1.pdf?sequence=1&isAllowed=y

اخترت في هذا الميدان عدداً من المصطلحات والتقنيات المنهجية ذات الصلة ببحوث علم السياسة وأفكاره حول المستقبل للظواهر السياسية كلها. فالبند الثالث من توصيات ندوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يدعو مكتب تنسيق التعريب والمركز العربي للتعريب والترجمة التابعين للمنظمة إلى ترجمة وتعريب معجم وموسوعة المستقبليات الصادرة عن مشروع الألفية (The Millennium Project)[٦٤]، فضلاً عن تعريب أهم المراجع والمصطلحات في مجال الدراسات المستقبلية[٦٥].

**تقنيات ومفاهيم الدراسات المستقبلية وإشكالية ترجمتها للعربية:**

يمكن تحديد تقنيات الدراسات المستقبلية ومصطلحاتها "المركزية" بحوالي ٥٠ مفردة، بعضها القليل مأخوذ من ميادين أخرى مثل الإحصاء أو الفيزياء أو الاقتصاد... إلخ، لكن الأغلب منها جديد ومقتصر على ميدان الدراسات المستقبلية، وهو الجانب الذي سأوليه في هذه الورقة البحثية أكثر عناية.

**اسم الميدان:**

بدءاً من اسم هذا الميدان، نلتقي بتعدد مسمياته سواء بالإنجليزية أو العربية، فهناك من يطلق عليه في اللغة العربية اسم الدراسات المستقبلية، وآخرون يسمونه

---

(٦٤) مشروع الألفية: شبكة تربط بين أبرز العاملين في الدراسات المستقبلية في العالم، وتم إنشاء هذا المشروع عام ١٩٩٦ بعد أن استغرق إعداده ٣ سنوات من قبل عدد من المؤسسات، أهمها: United Nations University, Smithsonian Institution, Futures Group International, and the American Council for the UNU.

ويقوم المشروع بنشر دراساته في عدد من الدوريات التي يشرف عليها، وتغطي موضوعاته العديد من الميادين بخاصة السياسية منها. انظر مزيداً من التفاصيل في:
http://www.millennium-project.org/

(٦٥) محمد إبراهيم منصور- الدراسات المستقبلية في الوطن العربي: الحال والمآل، المنظمة للتربية والثقافة والعلوم- ندوة عقدت في سيبتمبر ٢٠١٤، تونس ٢٠١٥، ص١٧٥.

الاستشراف، وثالث يسميه التنبؤ العلمي، وفي اللغة الإنجليزية نجد المشكلة نفسها، فنجد:

(Future Studies): الدراسات المستقبلية.

(Futurology): علم المستقبل.

(prospective study): الدراسة الاستطلاعية أو الاستشرافية.

لكن الباحثين الغربيين بدأوا يعممون مصطلح الدراسات المستقبلية بعد أن أنشأت الحكومة السويدية سكرتارية حكومية للدراسات المستقبلية عام ١٩٧٣، وبعد استطلاع الرأي الذي أنجزته جمعية "مستقبل العالم" الأمريكية (World Future Society)، ثبت أن هذا المصطلح حاز على تأييد أكبر عدد من الباحثين(٦٦).

ورغم تطور هذا الميدان المعرفي في الدراسات السياسية وانتشاره في الجامعات الغربية وغيرها منذ أربعينيات القرن الماضي، إلا أنه تأخر في جامعاتنا العربية إلى أن شرعت جامعة الجزائر في تدريسه في مطلع الثمانينيات... وعند إيكال جامعة الكويت لي مهمة وضع مصطلحات الدراسات المستقبلية في الموسوعة السياسية عام ١٩٩٠، تبدى لي عُسر المهمة بخاصة في نقل مصطلحات هذا الميدان المعرفي إلى اللغة العربية رغم استعانتي بأساتذة اللغة العربية.

**٢- مفهوم التنبؤ:**

تستخدم الدراسات المستقبلية عدداً من المفاهيم التي تتمحور حول فكرة "توقع مآل الواقع مستقبلاً"، وهنا أجد مفهومين باللغة الإنجليزية هما: (Prediction)

---

(٦٦) وليد عبدالحي- مدخل إلى الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية- المركز العلمي للدراسات السياسية- عمان ٢٠٠٢، ص ١٧-٢٢.

و(Forecasting)، ورغم تمييز الدراسات المستقبلية المتخصصة بين المصطلحين من حيث النطاق والمدى الزمني فإن الكتابات العربية لا تميز بينهما وتستخدم تعبير (التنبؤ) لكليهما، ويميل الكثير من الباحثين العرب لتجنب استخدام تعبير التنبؤ نظراً لبعض ظلاله الدينية، فالمفهوم الأول (Prediction) يقتصر على توقع نتيجة محددة في زمن محدد لمتغير محدد مثل القول إن أسعار البترول سترتفع بنسبة ١٠% في عام ٢٠٢٠، بينما يُعنى المفهوم الثاني (Forecasting) بتحديد المسارات المحتملة والممكنة والمفضلة أو المرغوبة لتطور ظاهرة معينة خلال فترة أطول (خمس سنوات أو عقد زمني... إلخ)[٦٧].

وعليه، إذا أردنا أن نتنبأ بمستقبل الاستقرار السياسي في دولة معينة فإننا نستخدم تعبير (Forecast)، نظراً لأن ظاهرة عدم الاستقرار تشتمل على متغيرات عديدة جداً، وتحتاج لقياسها ونمذجتها إلى مناهج وتقنيات متعددة... إلخ، بينما لو كان الموضوع تحديد أحد هذه المتغيرات لمدة محددة قصيرة فإننا نستخدم مصطلح (prediction).

**٣- الكلانية:**

مفهوم منهجي آخر في نطاق الدراسات المستقبلية هو (Holism)[٦٨] وهو ما يعني أن الكل أكبر من مجموع أجزائه، فكتلة نواة الذرة أكبر من مجموع كتلة مكوناتها

---

(٦٧) انظر بهذا الشأن التمييز الذي يقدمه (Daniel I. Shostak) وهو رئيس (Strategic Affairs Forecasting) في:
https://www.analyticbridge.datasciencecentral.com/forum/topics/difference-between-prediction

(٦٨) وضع (Jan Christiaan Smuts) مفهوم (Holism) عام ١٩٢٦، انظر التفاصيل في:
Ilya Prigogine-The Philosophy of Instability-Futures. no.4. vol.21. 1989. pp.396-400

أيضاً-

V.Afanasyev-Integral System .Social Sciences, USSR Academy of Sciences. no.2, vol. xiv. 1993.p.112

(البروتون والنيترون)، كما أن في الماء خصائص ليست في مكوناته التي هي الهيدروجين والأوكسجين، وعليه فإن الظاهرة ليست هي مجموع أجزائها بل هي أكبر من ذلك، وهو ما يعني أن الظاهرة السياسية (كالحزب أو الأمة أو القوة) ليست مجموع أجزائها بل هي أكبر من ذلك بفعل التفاعل الذي يتم بين هذه الأجزاء، وعليه فالكل هو مجموع الوحدات، بينما (Holism) يتضمن مجموع الوحدات والتفاعلات بين الوحدات وما ينتج عنها، وهو ما ترجمته بـ(الكلانية).

**٤- تحول المسلمات:**

مصطلح آخر هو (Paradigm Shift)، ويعني التحول من سيطرة منظور أو فكرة معينة في تفسير ظاهرة معينة إلى سيطرة فكرة أو منظور أو إطار تحليلي بديل، وقد عرف توماس كوهين (Paradigm) بأنه الفكرة السائدة بين العاملين في تخصص علمي معين لتفسير ظاهرة في ذلك التخصص، وفي الدراسات المستقبلية يتم تصور المستقبل على أساس افتراض حدوث تحول في المنظور الذي يسود في تفسير ظاهرة معينة[٦٩]، فمثلاً كيف ستكون العلاقات الدولية فيما لو وصلنا إلى نموذج الوحدة المعترضة ( Unit Veto System) الذي تصوره مورتون كابلين في نماذجه الدولية المعروفة، ويقوم هذا النموذج على أساس فرضية محددة هي امتلاك كل دولة في العالم آلية الردع النووي[٧٠]. وقد قمت بترجمة المصطلح (ParadigmShift) إلى (تحول المسلمات).

---

(٦٩) Thomas S.Kuhn –The Structure of Scientific Revolutions, 2nd ed. The University of Chicago.1970.p.89

انظر أيضاً:

https://www.researchgate.net/publication/317589730_The_Scientific_Revolutions_of_Thomas_Kuhn_Paradigm_Shifts_Explained

(٧٠) انظر حول الموضوع:

-Eva Hideg-Paradigms in Futures Field.Univ. of Budapest.2015.passim.

Thomas Kuhn, *The Structure of Scientific Revolutions*, University of Chicago Press. (1970 ed.,: p. 150-.

-Marton Kaplan-(ed)-New Approaches to International Relations, Martin Press.N.Y.1968.P.388

**٥- تحليل التدرج السببي:**

مفهوم آخر في الدراسات المستقبلية هو (Causal Layered Analysis)، وضعه الباحث الباكستاني سهيل عناية الله[٧١] ثم أصبح إحدى تقنيات الدراسات المستقبلية المهمة.

ترتكز تقنية تحليل التدرج السببي في جوهرها على توظيف معطيات نظرية ما بعد البنيوية، حيث يكون "الخطاب" هو محور التركيز سواء في وصف المشكلة أو تحليلها أو تصور التطورات المستقبلية لها. وترى النظرية أن اللغة ليست محايدة، ومن هنا فإن إحدى مشكلات الدراسات المستقبلية هي أنها تنظر إلى المستقبل من خلال لغة ومفاهيم معينة دون أن تجعل من هذه اللغة بحد ذاتها موضع تساؤل من حيث تأثيرها في كيفية النظر للمشكلة. لذا فإن هذه التقنية تنطلق من ضرورة التمحيص في الخطاب من حيث دوره في قدرتنا على التنبؤ بالمستقبل، على اعتبار أن لغة الخطاب "تشكل الواقع" بكيفية معينة في أذهاننا، وهذا التشكل يؤثر في قدرتنا على تصور المسارات المختلفة للواقع مستقبلاً. ولا تكمن أهمية هذه التقنية في المساعدة على التنبؤ تحديداً بل في خلق فضاءات جديدة لخلق مستقبلات بديلة، من خلال توسيع دائرة البدائل بدلاً من حصرها في عدد محدود. ومن خلال ما سبق تعمل التقنية على تناول المشكلة من خلال العرض أولاً ثم تقديم بدائل لرؤية مستقبل الظاهرة موضوع الدراسة ثانياً، وتعتمد في ذلك كله على المنظور ما بعد البنيوي على النحو التالي:

---

٧١- Sohail Inayatullah-Causal Layered Analysis
http://proutglobal.info/slideshows/training/Related%20web%20pages/002-Casual_Layered_Analysis.pdf

العرض: وتقوم عملية العرض في هذه التقنية عبر خمس خطوات هي:

التفكيك: في هذه المرحلة لا نكون معنيين بالحقيقة كما لو كانت مسلمة بل بطرح عدد من التساؤلات مثل: كيف ظهرت هذه (الحقيقة)؟، ومن أظهرها؟ وكيف تعمل في ظرف معين؟ ومن استفاد منها؟ ومن خسر منها؟ وهنا سنجد أن اللغة ليست محايدة وتعبر عن الواقع كما يرى المنهج التجريبي، ولا تلون الواقع كما يرى المنهج التأويلي، بل هي تشكل الواقع وتصبح جزءاً منه.

تأصيل المفاهيم المستخدمة: من المعلوم أن هناك مفاهيم مركزية في كل منظومة معرفية (التوحيد في الإسلام، والطبقة في الماركسية، والقانون في الكونفوشية، واللون في العنصرية... إلخ)، وهنا يصبح من الضروري متابعة تطور المفهوم المركزي لكل مما سبق تاريخياً، ثم تحديد ما هو المفهوم الذي انتصر في كل مرحلة وشكل الواقع؟ ثم ما هي العوامل التي جعلت من مفهوم معين مهماً وسائداً دون غيره من المفاهيم؟ وبناء عليه ما هو المفهوم الذي سيكون في المستقبل ونرى جذوره في الحاضر استناداً لتطور المفاهيم هذا؟

المسافة الزمنية: هنا نسأل عن كل سيناريو أو احتمال نتصوره، فمثلاً نسأل ما السيناريو الذي يجعل الحاضر قابلاً للملاحظة أو يجعله غير مألوف وغريباً؟ وهل هذا السيناريو موجود في فضاء تاريخي أو في الحاضر أو المستقبل؟ والمسافة هنا تعني البعد الزمني بيننا وبين السيناريو المتصور، فإن قلنا على سبيل المثال إن المستقبل سيعرف تقنيناً (لحقوق الإنسان الآلي) فهل هذا التصور يساعدنا على فهم ما يجري في الحاضر أم سيبدو غير مألوف وغريباً؟

بدائل الماضي والمستقبل: وتنطلق الفكرة هنا من القول بأن الماضي يكتبه المنتصرون، وبالتالي فهو تعبير عن رؤية محددة، وبناء عليه يصبح من حقنا أن

نسأل: ما التفسير الذي صمد أو ثبت دون غيره من التفسيرات للماضي؟ ثم ما هي الرؤى التاريخية التي تجعل من الحاضر إشكالياً؟ ثم ما الصورة المستقبلية التي تساعد على إبقاء الحاضر كما هو؟ وأخيراً ما الذي يمنع من (وحدة) الحاضر؟ إن الإجابة عن هذه التساؤلات تساعدنا على فهم البنية المعرفية السائدة دون غيرها، ليمكننا ذلك من تصور المستقبلات البديلة، وفي نطاق فضاء أرحب من ذلك الذي تحشرنا فيه المنظومة السائدة.

إعادة ترتيب المعرفة: هناك مفاهيم مركزية –كما أشرنا– في كل منظومة معرفية أو في كل حضارة، وهنا لا بد من معرفة دور هذه المفاهيم في ترتيب المنظومة، وبعد ذلك نبدأ بمعاينة كيف يختلف تنظيم المعرفة أو ترتيبها بسبب الحضارة أو النوع الاجتماعي (الجندر)؟ ثم من هو الآخر؟ ثم كيف يؤدي تنظيم المعرفة إلى جعل الأنساق الحالية تبدو شاذة أو غير مألوفة؟

ويرى ريتشارد سلوتر أن الطريقة التي نؤطر بها مشكلة معينة تؤدي إلى تغير سياسات الحلول المقترحة من ناحية وتغير الأشخاص الذين سيقومون بعملية التغيير من ناحية ثانية، لذلك يجب النظر إلى الظاهرة في نطاق الدراسات المستقبلية من خلال طبقاتها أو تدرج أسبابها العميقة والسطحية، ويحدد سلوتر هذه الطبقات في أربع ثم يبين وظيفتها في توسيع نطاق فضاء السيناريوهات المستقبلية المقترحة على النحو التالي[٧٢]:

الترتيل (Litany) ويصف سلوتر هذا المستوى بأنه "أداتي"، حيث تعرض المشكلات من وجهة نظر رسمية (الحكومة أو الجهة المعنية بالموضوع)، ويتم عرضها بشكل يوحي بأن حلها مرهون بتلك الجهة، ويتم تقديم حلول قصيرة المدى،

(٧٢) https://foresightinternational.com.au/if-sub-page-1

ويجب ترديد هذا التصور من قبل الجميع. وهو أمر يجب التحلل منه لكي لا تبقى بدائل المستقبل رهناً لهذا التصور "الرسمي".

الأسباب الاجتماعية: إذ كثيراً ما يتم عرض الأسباب المؤدية لظاهرة سياسية استناداً لمنظور معين دون أن يتم التحقق من مدى صلاحية هذا المنظور أو مفاهيمه المركزية، لذا فإن المطلوب في هذا المستوى بناء تصورات للظاهرة انطلاقاً من الشك في صحة هذا المنظور.

تحليل الخطاب/ الرؤيا العالمية: بما أن كل خطاب يؤطر المشكلات والتصورات بكيفية تعكس بنية ذلك الخطاب، فإن المطلوب أن نرى الظاهرة من خلال خطابات أخرى تنتمي إلى بنيات ثقافية أخرى، وهو ما يساعدنا على توسيع فضاء التفكير في بناء عدد أكبر من السيناريوهات.

الأسطورة أو المجاز: يتم الربط في هذا المستوى بين المشكلة والأبعاد العاطفية واللاوعي، وتصبح اللغة أقل تحديداً ودقة ومعنية بخلق صور متخيلة، وتظهر مثل هذه التصورات أو السيناريوهات المحتملة في أعمال الفنانين أكثر من كونها نتيجة رؤية عقلانية مباشرة(٧٣).

ذلك يعني –بناء على ما سبق– أن دراسة الظواهر السياسية في بعدها المستقبلي تشترط طبقاً لهذه التقنية التحلل من المنظور السائد (الآيديولوجيا، أو النظريات السائدة، أو أنماط النظم السياسية السائدة... إلخ) وبناء منظور جديد طبقاً للخطوات السابقة التي عرضها (سلوتر).

---

(٧٣) وليد عبدالحي– مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٧، ص٣٤–٤٠.

**التنبؤ الرجعي:**

ثمة ثلاثة أبعاد زمنية يتم ربطها بالتنبؤ في الدراسة المستقبلية هي:

Forecasting (وهو المتعلق بالمستقبل).

Nowcasting (وهو المتعلق بالحاضر).

Backcasting (وهو المتعلق بالماضي– في المستقبل).

فإذا كان المفهوم الأول متعلقاً بالمستقبل (ما سيحدث) والثاني متعلقاً بالحاضر (ما نعايشه)، فإن مفهوم التنبؤ الرجعي (Backcasting) يقوم على أساس تصور الانتقال إلى مدة زمنية قادمة ثم العودة للحاضر رجوعاً من تلك الفترة المستقبلية، أي بدلاً مما هو في التنبؤ التقليدي (تصور المستقبل)، فإن هذا النمط يقوم على إحالة الحاضر إلى ماضٍ ثم العودة من نقطة المستقبل المفترض للوصول للحاضر، فمثلاً يمكن أن نتصور أننا في عام ٢٠٥٠ ووجود دولة عربية واحدة تضم كل الدول العربية الحالية، ونبدأ من تلك الفترة المستقبلية المتصورة العودة لوصف عام ٢٠٤٠ ثم ٢٠٣٠ ثم ٢٠٢٠ وصولاً للحظة التي نحن فيها(٧٤).

وأجد لزاماً هنا التوقف عند مفهوم وحدود الزمن في لغتنا العربية، وبخاصة في التأريخ (Antedate) لحدث ما. (فرفائيل باتاي) (R.Patai) يرى أن مراحل الزمن في اللغة العربية (الماضي– الحاضر– المستقبل) لا تعرف تقسيمات داخلية فيها عند التعبير عن وقوع الأحداث، كما أن مفهوم (الوقت) (لحظة وقوع الحدث) والزمن

---

(٧٤) K.H.Dreborg – Essence of Backcasting, Futures, vol.27, no.28. 1996.pp.813–828

متداخلان. فالماضي المباشر، والماضي القريب أو المتوسط أو البعيد أو المتواصل أو المتوقف يتم التعبير عنها في اللغة العربية بكيفية ملتبسة من وجهة نظره، بينما يتم التعبير عنها في الإنجليزية بعشر صيغ لكل منها حدود زمنية داخل حدود الماضي والحاضر والمستقبل على النحو التالي[٧٥]:

-present-present perfect (حاضر- حاضر وآثاره قائمة).

-past-past perfect (حدثَ- حدثَ واكتملَ حدوثه).

- Future -Future perfect (سيحدث، سيكتمل حدوثه في زمن قادم).

-Present Continuous-Present Continuous Perfect (متواصل الحدوث- وسيبقى متواصل الحدوث) ( I have not been watching the TV.news for an hour).

-past continuous-past continuous perfect (تواصل حدوثه في الماضي- تواصل واكتمل).

She had been watching the T.V news for an hour

وعند الانتقال للتعبير عن الحدث السياسي طبقاً للتقسيم الزمني المباشر والقريب والمتوسط والبعيد في لغتنا العربية، وجدت أن كفايتي العلمية لا تسعفني في هذا المجال بخاصة للتعبير عن عشر صيغ بالإنجليزية لمراحل الفعل الزمنية، بينما ليس لدينا إلا ثلاث صيغ في العربية.

---

(٧٥)- Raphael Patai- The Arab Mind, Hatherrleigh Press,N.Y.2002.PP.72-77.

وعند تقسيم الأفعال في العربية نقول: ماض- مضارع- مستقبل، لكننا لا نجد فعلاً نُعْرِبه على أنه فعل مستقبل على غرار فعل ماض أو مضارع.

ورغم التمييز لدى اللغويين المعاصرين بين الزمان بدلالته الفلسفية (Time) وبين الزمن (Tense)، فالأول يشير إلى "كمية الوقت" (أي الدقائق أو الأيام أو السنين... إلخ)، أما الثاني فيشير إلى صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة وترتبط ارتباطاً كلياً بالعلاقات الزمنية عند المتكلم. ويؤكد اللغويون المعاصرون أن لكل لغة (نظامها الزمني) الذي يبين مدى إدراك أهلها لقيمة الزمن الذي يشكل جزءاً من المعنى(٧٦).

ورغم الجدل حول أنواع الزمن عند اللغويين العرب (الزمن الصرفي والزمن النحوي حيث ينفصل الزمن في الأول عن السياق بينما يرتبط به في الثاني، وتقسيم السياق إلى سياق لغوي وسياق الموقف والسياق الثقافي) فإن الحاجة لتطوير النقاش حول (التعبير عن المدى الزمني) لوقوع الحدث (المباشر والقريب والمتوسط والبعيد وغير المنظور) ما زالت ملتبسة لدي، بل استشعرت أن البعد المستقبلي هو الأضعف في هذا الجانب، وهو ما يستوجب المزيد من الجهد اللغوي في هذا الجانب.

**التنبؤ ذاتي التحقق والتنبؤ ذاتي الفشل:**

ويعني هذا النمط (Self- fulfilling) و(Self- defeating) من التنبؤات أن يكون التنبؤ ذاته عاملاً مساعداً على تحققه أو عدم تحققه(٧٧)، فمثلاً لو أعلن خبير اقتصادي دولي أن مدينة معينة ستكون مركزاً للنشاط الاقتصادي في فترة زمنية

---

(٧٦) أحمد مجتبى السيد محمد- مفهوم الزمن النحوي ودلالته بين القديم والحديث.
http://www.sebhau.edu.ly/suj/paper/c64.pdf -

(٧٧) Diekmann, Kristina A.,Tenbrunsel, Ann E.,Galinsky, Adam D- From self-prediction to self-defeat: Behavioral forecasting, self-fulfilling prophecies, and the effect of competitive expectations. Journal of Personality and Social Psychology, Vol 85(4), Oct 2003,pp. 672-683-.

قادمة، فقد يقود ذلك المستثمرين إلى الإسراع في العمل على توظيف أموالهم في ذلك المكان، وهو الأمر الذي سيعزز احتمال تحقق تنبؤ الخبير، وهو ما يسمى التنبؤ ذاتي التحقق، أما التنبؤ ذاتي الفشل فيتمثل في أن يؤدي التنبؤ إلى عرقلة تحققه، ومثال ذلك ما أعلنه نادي روما في مطلع الستينيات عن كوارث طبيعية وتلوث عال جداً في بعض الدول، وهو ما دفع الدول لانتهاج سياسات قلصت من التلوث، ما حال دون الوصول لمستوى التلوث الذي تنبأ به النادي.

**دولاب المستقبلات: (Futures Wheel)**

تقوم فكرة الدولاب على اختيار ظاهرة معينة وتحديد عدد من التداعيات المحتملة لها، ثم دفع كل تداعٍ لما يمكن أن يترتب عليه من تداع آخر، وهكذا بشكل متتابع.

بعد ذلك، نرسم خطاً يصل بين التداعيات الأول والثاني والثالث... إلخ شريطة جعل طول الخط الواصل بين التداعيات مرتبطاً بطول الفترة الزمنية المتوقعة ليبلغ التداعي منتهاه(٧٨).

ومن الضروري ملاحظة أن كل تداعٍ (من الدولاب الأول) يتم استخراج عدد من التداعيات المترتبة عليه، فلو افترضنا أننا نريد تحديد مستقبل نظام سياسي معين، فإننا نحدد عدداً من المؤشرات ذات العلاقة بدرجة استقرار النظام السياسي، ثم نضع كل مؤشر في دائرة (دولاب) ونبني عدداً من التداعيات المحتملة عليه، وكل تداع من هذه التداعيات نستخرج منه عدداً من التداعيات كما لو أن كل تداع هو المؤشر المركزي... وهكذا إلى أن نصل إلى السنة المقررة مسبقاً لنهاية الدراسة التي نقوم بها، ويكون توصيف الواقع النهائي عند حدود الفترة الزمنية المستقبلية هو مجموع

(٧٨) Martin Potucck–The Futures Wheel on European Integration,World Future Society.Prague.2005.p.9–10

التداعيات النهائية، (وتشبه هذه التقنية حالة إلقاء حجر كبير في بركة ماء، فيتولد عن سقوط الحجر دائرة تحيط بنقطة السقوط، وهذه يتولد عنها دائرة أخرى... وهكذا وصولاً لجدار البركة الذي يمثل نهاية التداعيات المحددة بفترة زمنية معينة).

**مصفوفة التأثير المتبادل:**

تعددت ترجمات هذه التقنية (Cross Impact Matrix) في الدراسات العربية، فهناك من ترجمها (مصفوفة التأثير المقطعية)، وآخر ترجمها (المصفوفة التبادلية)... إلخ، بينما ترجمتها (مصفوفة التأثير المتبادل). وتقوم هذه التقنية على رصد كافة المؤشرات التي تؤثر في حركية ظاهرة معينة، ثم نقوم برصد تأثير كل مؤشر في بقية المؤشرات سلباً أو إيجاباً، ثم نحسب محصلة تأثيرات كل مؤشر في مجموع المؤشرات الأخرى لنحدد ما إذا كانت محصلة تأثيراته سلبية أو إيجابية، ثم بعد ذلك نقوم بترتيب المؤشرات طبقاً لوزن تأثيراتها السلبية لتحديد ما هو المؤشر الأكثر تأثيراً سلبياً في بقية المؤشرات، وما هو المؤشر الأكثر تأثراً سلبياً بغيره من المؤشرات، ثم نكرر العملية ذاتها مع المؤشرات ذات الحصيلة الإيجابية لتحديد ما هي أكثر المؤشرات تأثيراً إيجابياً والأكثر تأثراً إيجابياً، وتشكل هذه المؤشرات (الأكثر تأثيراً وتأثراً سلباً وإيجاباً) المؤشرات الحاكمة للظاهرة والتي يتم وضع كل منها في دولاب (التقنية التي سبق شرحها) لتحديد التداعيات المحتملة لكل منها[٧٩].

**المنحنى الجامع:**

يمكن تعريف المنحنى الجامع (Envelope Curve) بأنه المنحنى الذي يربط نقاط التماس في مجموعة متتابعة من المنحنيات، ويتركز توظيف هذا المنحنى في الدراسات المستقبلية الخاصة بتأثيرات الظواهر التكنولوجية في الظواهر السياسية.

---

(٧٩) Theodore J.Gordon,Cross Impact Method.American Council for UN University,The Millennium Project, 1994,p.8

ويتم رسم المنحنى من خلال وصل نقاط التماس بين المنحنيات الأخرى التي يعبر كل منها عن التطور في قطاع معين، ويمثل المنحنى الواصل بين نقاط التماس التعبير العام عن اتجاه الظاهرة موضوع الدراسة في المستقبل[٨٠].

فلو أردنا قياس معدل الانتقال بوسائل الاتصالات الحديثة في عام ٢١٠٠ مثلاً، فإننا نرسم منحنى يمثل معدل سرعة القطارات في الخمسين سنة السابقة، ثم نقيس معدل سرعة الطائرات لنفس الفترة، ثم السيارات والنقل البحري... إلخ بنفس الطريقة، ثم نرسم خطاً يصل بين نقاط التقاطع بين المعدلات ونمده في الرسم البياني إلى النقطة المقابلة في الرسم للفترة الزمنية المطلوبة وهي ٢١٠٠.

**شجرة العلائق:**

يمكن تعريف هذه التقنية (Relevance Tree)[٨١] بأنها تقنية تحليلية تقوم بتفتيت موضوع معين إلى موضوعاته الفرعية شريطة عدم تداخل الموضوعات الفرعية بعضها في بعض، فلو أردنا دراسة سياسة الدولة تجاه استخدام الأراضي مثلاً (ضمن السياسة العامة)، فإننا نقسم الموضوع إلى الموضوعات المتعلقة به مثل الحكومة، والمواطنين، والتجارة، والصناعة، والزراعة، ثم نقوم بتقسيم المواطنين – مثلاً– إلى مالكين ومستأجرين، ثم يمكن تقسيم المالكين طبقاً لمستويات دخلهم، ثم نقسم مستويات الدخل إلى مساحة السكن، ونوعيته، وموقعه، ومستويات التلوث حوله... ثم نقسم التلوث إلى فروعه... إلخ. ويتم تحويل كل هذه الفروع (من الشجرة)

---

(٨٠) http:// www.marketingprofs.com.-tutorials-Forecast-Envelopecurve.asp

(٨١) The Futures Group-Relevance Tree and Morphological Analysis, American Council for UN.University,The Millennium Project.1994.pp.1-4

إلى مؤشرات كمية (أي تكمية المؤشرات) بهدف إدماجها في نماذج التحليل المستقبلي.

**زمن الاستغراق:**

يمثل زمن الاستغراق (Lead Time)[٨٢] الفترة الزمنية الفاصلة بين الإعلان عن اختراع تكنولوجي معين وحدوث تداعيات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية... إلخ لهذا الاختراع، فبعض الاختراعات تترك أثراً مباشراً، وبعضها تظهر آثاره على المدى المتوسط، لكن بعضها يحتاج لفترات طويلة ليبدأ في التأثير، كذلك يتفاوت التأثير للاختراع بين القطاعات من حيث سرعة التأثير ومدى التأثير، فقد يكون التأثير في القطاع السياسي أسرع منه في الاقتصادي أو العكس، كما أن عمق التأثير يتباين من قطاع لآخر نتيجة ذلك الاختراع التكنولوجي، وهو ما يتم التعامل معه من خلال ما يسمى المنحنى السوقي (Logistic Curve)[٨٣] والذي يأخذ شكل حرف (S) وهو المنحنى الذي يتسارع تناقصه بفعل التسارع في المسافة الزمنية الفاصلة بين اختراع وآخر.

ونتيجة لظاهرة تسارع (Acceleration) الفارق الزمني بين اختراع وآخر، فإن قدرة المجتمعات والدول على التكيف مع آثار هذا التسارع تتضاءل، وهو ما يفسر الاضطراب في الكيانات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وعليه فإن توقع مستوى الاستقرار مثلاً في كيان سياسي ما يجب أن يدرك أن مدى (زمن الاستغراق) يتناقص، أي إن الفترة التي يستغرقها اختراع تكنولوجي على الأنساق السياسية مستقبلاً ستتقلص، وهو ما يتم قياسه بتقنية السلاسل الزمنية (Time Series) المعروفة.

---

(٨٢) Alvin Toffler–Future Shock,Bantam Books,N.Y.1981.p.464

(٨٣) Gershenfeld, Neil A.– *The Nature of Mathematical Modeling.*: Cambridge University Press,London.–1999.

**١٣- التنبؤ التعاضدي:**

تعود تقنية التنبؤ التعاضدي (Synergy Forecast)[٨٤] للعالم الأمريكي بكمنستر فولر (Buckminster Fuller) والتي استقاها من فكرة الأخلاط المعدنية (حيث يؤدي مزج بعض المعادن بنسب معينة وفي ظروف معينة إلى تحسن قدرة المزيج على مقاومة الحرارة أو الضغط بشكل أفضل من قدرة كل منها فرادى)، واستخدم باحثو الدراسات المستقبلية المفهوم للتعبير عن تعاظم تأثير المتغيرات إذا (تعاضدت)، وهو ما يستدعي التنبه له عند بناء السيناريوهات لحركة الظاهرة مستقبلاً.

وقد نقل مايكل مان (Michael Mann) هذه الفكرة لدراسة قياس قوة الدولة مستقبلاً، وحدد في نموذجه (IEMP) أربعة مؤشرات للقوة هي القوة الآيديولوجية والاقتصادية والعسكرية والسياسية، ويتم القياس على أساس (التعاضد) بين هذه المؤشرات (قياس نتيجة تعاضد القوة الاقتصادية والسياسية، أو العسكرية والاقتصادية أو الآيديولوجية والعسكرية... أو أكثر من مؤشر)، ثم تحديد أثر ذلك مستقبلاً في النظام الدولي ومكانة الدولة في هذا النظام[٨٥].

---

(٨٤) Buckminister Fuller-Synergetic, Explorations on Geometry of Thinking, vol.2,Macmillan Co.,N.Y.1979 .P.232.

(٨٥) انظر المجلدات الأربعة له حول هذا الموضوع والتي صدرت في أعوام ١٩٨٦ و١٩٩٣ و٢٠١٢ على التوالي:

- *The Sources of Social Power: Volume 1-2-3-4:, A History of Power from the Beginning to AD 1760*, Cambridge University Press, 1986. 1993.2012

**١٤- السيناريو:**

رغم أن مصطلح السيناريو (Scenario)[٨٦] متداول كثيراً في الأدبيات العربية المختلفة، لكن ترجمته العربية غير مستقرة، فهناك من يترجمه (المشهد) وآخر (المخطط) وثالث (تصور احتمالي)... إلخ.

لكن الأكثر تعقيداً في هذه المسألة هو خطوات كتابة (السيناريو)، بخاصة أن للسيناريو أنماطاً عديدة مثل السيناريو الممكن (Possible) الذي يتم بناؤه على المعطيات المتاحة فقط، والسيناريو المحتمل (Probable) الذي يقوم على الترجيح بين المتغيرات من حيث احتمال وقوعها أو توفرها، والسيناريو المرغوب أو المفضل (أو المعياري) (Normative-Preferable).

ويقوم بناء السيناريو على قاعدة (إذا – فإن) (If – Then)، مع ضرورة التمييز بين الاحتمالات على أساس الاحتمال الطبيعي (أي التداعي المتوقع لحدث ما) والتداعي التحويلي (Turning Point) أي الذي يقود إلى تحول كامل في الاتجاه للموقف موضوع البحث، وهناك ما يسمى التداعي قليل الاحتمال- عالي التأثير (Low Impact- High Impact)[٨٧]، أي الاحتمال الذي يكون احتمال وقوعه ضعيفاً، لكنه (إذا) حدث تكون آثاره هائلة مثل انهيار الاتحاد السوفييتي، فقد كان أغلب الباحثين لا يتوقعون انهياره بالسرعة التي تم فيها، لكن الآثار التي ترتبت على الانهيار كانت هائلة.

---

(٨٦) Future Studies, Foresight and Scenarios as basis for better strategic -decisions A. Rialland, K.E. Wold-,Sintiff,2009.pp.16-25

(٨٧) Bernice Lee and Felix Preston, with Gemma Green -Preparing for High- impact, Low-probability Events -A Chatham House Report, 2012.pp.4-5

**الاستنتاجات في ميدان الدراسات المستقبلية واللغة العربية:**

نظراً للفقر الشديد في الدراسات العربية (المتخصصة) في الدراسات المستقبلية في العلوم السياسية، أصبح من الضروري إدخال هذا التخصص في الجامعات والمدارس، لكن غلبة الطابع التقني على مناهج هذا الميدان المعرفي جعلت أمر ترجمة مصطلحاته رهن جهود فردية قليلة من ناحية، ويغلب على بعضها الارتجال من ناحية أخرى، وهو الأمر الذي يستدعي وضع قاموس عربي للدراسات المستقبلية في العلوم السياسية بفروعها المختلفة.

ومن الملاحظ أن الدراسات الغربية في مجال الدراسات المستقبلية السياسية لا تحدد التقنية وخطواتها التي استخدمها الباحث في الوصول للنتائج الخاصة بالظاهرة موضوع البحث (باعتبارها سلعة تباع وتشترى)، وهو ما يزيد الأمر تعقيداً في توظيف الدراسات المستقبلية التطبيقية لتعميق فهم التقنيات المستخدمة، وجعل الترجمة للعربية تواجه مشكلة (الفهم التطبيقي) للتقنية عند تقلها للغة العربية.

**الميدان الثاني: العولمة:**

وهو ميدان تنبه الباحثون فيه للترابط المتزايد بين الأفراد والمجتمعات بقدر سمح للفكر السياسي أن يتخيل أن هذا الترابط يستدعي طرح السؤال التالي: ما هو الشكل السياسي الذي سينتهي إليه نموذج الدولة والمجتمع المعاصرين في ظل استمرار الترابط المتزايد والمتسارع بين مختلف الكيانات السياسية والاجتماعية؟ وعليه بدأ التفكير في الأشكال المختلفة لقنوات الترابط وللشكل الختامي لهذا الترابط والتعبير عنها بمفاهيم أصْطَدمُ معها وبمعاناة كبيرة عند نقلها للغة العربية.

اسم الميدان المعرفي: العولمة: تباينت الترجمات العربية لمصطلح (Globalization)، فنجدها مرة الكونية، وأخرى الكوكبية، وثالثة العولمة، ورابعة العالمية، ومع أن مصطلح العولمة أصبح الأكثر تداولاً في الأدبيات العربية، فإن المنظور الآيديولوجي له طغى في الدراسات التي باللغة العربية على المعنى الأكاديمي(٨٨)، فالعولمة تصف (شبكة الترابط المتزايدة والمتسارعة بين الوحدات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية، والمآل الذي سينتهي عنده هذا الترابط، وتميل إلى أنه سينتهي عند مجتمع إنساني واحد، دون أن يعني ذلك أن هذا المجتمع الواحد يخلو من التناقض بين مكوناته)، بينما المنظور الآيديولوجي يحصر نفسه في تحديد المكاسب والخسائر الناجمة عن هذا الترابط المتزايد والمتسارع في نفس الوقت(٨٩).

**مفردات العولمة:**

تنوعت مفردات العولمة نظراً لتنوع أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتقنية وغيرها، ولن أتوقف عند الخلافات بين الباحثين على تقييم أو نقد الظاهرة، بل

---

(٨٨) انظر المراجع العربية التالية:

– جورج طرابيشي: من النهضة إلى الردة: تمزقات الثقافة العربية في الثقافة العربية، دار الساقي– بيروت– ٢٠٠٠.

– السيد ياسين– العالمية والعولمة– دار نهضة مصر، القاهرة– ٢٠٠٢.

– وليد عبدالحي– انعكاسات العولمة على الوطن العربي، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، ٢٠١١.

– جلال أمين– العولمة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩.

– محمد عابد الجابري– الهوية، العولمة، المصالح القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١.

(٨٩) John Baylis and Steve Smith–(ed.)–The Globalization of World Politic, 1998.pp.14–19, Press.London. Oxford Univ.

سيتم التركيز على إشكالية المصطلح باللغة العربية ونقله للأدبيات العربية في ميدان الاقتصاد السياسي الدولي:

أولاً: المصطلحات الاقتصادية في العولمة: وتُعنى هذه المصطلحات بعمليات الترابط بين الدول والمؤسسات الاقتصادية، وهي في معظمها روابط جديدة لم تألفها التفاعلات الاقتصادية التقليدية، وهو ما جعل التعبير عنها بحاجة لمفاهيم جديدة، ما جعل نقلها للغة العربية أكثر تعقيداً لسببين هما(٩٠):

أن هذه المفاهيم تعبر عن تفاعلات وروابط نشأت خارج المجتمع العربي، وتم التعبير عنها باللغات الأجنبية (لا سيما الإنجليزية)، وهو ما جعل انتقالها للعالم العربي ولغته يتأخر.

أن الترجمة الحرفية لهذه المفاهيم للغة العربية –كما سيتضح معنا– لا تصلح نهائياً للتعبير عن المعنى الدقيق لهذه المفاهيم، وهو ما يُستدل عليه من المفاهيم التالية:

(Eurobonds): (اليوروبوند): سند مالي يتم تقويم قيمته وسدادها بعملة غير العملة المحلية للبلد أو السوق الذي يتم إصداره فيها، وكثيراً ما يتم تجميع هذه السندات معاً بالعملة التي يتم تصنيفها بها، مثل: السندات الأوروبية، أو اليورو–ين. وعادة ما يتم التعامل مع الإصدار من قبل مجموعة دولية من المؤسسات المالية نيابة عن المقترض.

والملاحظ هنا أن كلمة (Euro) لا علاقة لها بأوروبا، وعليه فترجمة المصطلح على أنه (السند الأوروبي) لا تعكس بأي شكل من الأشكال المعنى الدقيق له.

---

(٩٠) John Baylis and Steve Smith–Op.cit.p.438

(Eurocurrency): (اليوروكرنسي): هي عملة أجنبية مودعة من قبل الحكومات أو الشركات الوطنية، خارج سوق الدولة التي تصدر تلك العملة، مثل أن تكون العملة (الين مثلاً) محتفظاً بها في البنوك الموجودة خارج البلد التي تصدر العملة (أي اليابان). والملاحظ هنا أن كلمة (Euro) لا تعني حصر المعنى في العملة الأوروبية إطلاقاً، فقد تكون العملة هي الروبل الروسي أو الدولار أو اليورو أو الين الياباني... إلخ.

(Euroequity) (Global equity): وهي أسهم يتم الاكتتاب العام الأولي لها من قبل المستثمرين في أكثر من سوق وطني، وليس فقط في البلد الذي تقع فيه الشركة أو الهيئة التي أصدرت الأسهم، وهو ما يجعلها متداولة في مناطق متباينة في توقيتها الزمني.

euroloans: هو قرض يقدمه بنك أو مجموعة بنوك في دولة أو أكثر ويحصل عليه فرد أو جهة من دولة ثانية، ويتم إصداره في دولة ثالثة، ويتم تحديد قيمته بعملة دولة رابعة أو سلة عملات لمجموعة من دول أخرى خمسة أو أكثر.

(Derivative): (المشتقات): هو اتفاق يتم بموجبه تحديد قيمة أصل أو مجموعة من الأصول (assets) بين الأطراف المتعاقدين استناداً للتذبذبات في قيمة هذا الأصل الذي يمكن أن يأخذ شكل السهم أو السند أو السلعة أو قيمة عملة أو أسعار الفائدة، أي إن تحديد القيمة (مشتق) من مدى التذبذب في القيمة السوقية للأصل. وأكثر المشتقات المتداولة في الفترة الحالية هي ما يسمى المشتقات المستقبلية التي تعني الاتفاق بين الأطراف على قيمة سلعة معينة في المستقبل أو سعر فائدة معين أو قيمة عملة معينة في سوق الصرف مستقبلاً.

(offshore centre): هو مركز للنشاطات المالية يقدم تسهيلات أكبر من غيره في التعامل المالي مثل: قيم ضرائبية أقل، أو ضمان سرية أعلى للحسابات المالية، أو خصومات معينة أو إجراءات ميسرة للنشاط المالي... إلخ. وعادة ما تكون هذه المراكز في الجزر أو في الدول الصغيرة.

ثانياً: المصطلحات السياسية: أفرزت أدبيات العولمة عدداً من المفاهيم السياسية المتداخلة التي تحتاج إلى التنبه لها في الكتابات العربية، فالملاحظ أن الأدبيات العربية تستخدم تعبير (نظام) مقابل المفردات التالية:

- (System).
- (Regime).
- (Order).

وتتضح ملابسات هذه المفردات حين نقلها للنظام الدولي، فمثلاً[٩١]:

---

(٩١) Modern World-System University of California Press Immanuel Wallerstein- 2011.-

- Henry Kissinger, World Order: Reflections on the Character of Nations and the Course of History- Allen Lane -London.2014.

Andreas Hasenclever-(et.al)-Theories of International Regimes- Cambridge University -Press.2009

Giddens, A.). The constitution of society: Outline of the theory of structuration. Cambridge: Polity Press.1984 Alexander Wendt, Social Theory of International Politics, Cambridge: Cambridge University Press, 1999

Christine Sylvester-Feminist International Relations, Cambridge University Press,2009-

https://www.umsl.edu/~sauterv/analysis/Fall2013Papers/Purcell/bucky.html

(International System): يضمن بنية الواقع الدولي والتفاعلات بين وحدات النظام الدولي.

(International Regime): مجموعة القواعد الناظمة لعمل النظام الدولي.

(International Order): تدرجية سلم القوى بين الوحدات الدولية في النظام الدولي.

(Global System): التفاعلات بين الدول وما دون الدول (الأقليات والثقافات الفرعية الأخرى والمجتمع المدني المحلي... إلخ) وما فوق الدولة (المنظمات الدولية والإقليمية الحكومية وغير الحكومية).

(World System): يشمل التفاعلات بين كل الوحدات والمجتمعات والأفراد.

وثمة مجموعة أخرى من المفاهيم السياسية التي أفرزتها أدبيات العولمة نجد التباساً فيها عند الانتقال للأدبيات العربية: مثل:

(Feminism): تحديد المكانة والدور السياسي استناداً للنوع الاجتماعي أو الجندر، ولعل أكثر ترجمة رواجاً لهذا المفهوم هو "النسوية"، مع أن الأمر –كما تصفه أهم منظرة سياسية للموضوع وهي كريستين سيلفستر– يختلط بمفهوم الجنس (sex) والـ(Gender)، وتتهم النظريات السياسية السائدة بأنها نظريات "ذكورية غربية بيضاء"(٩٢).

(Structuralism): البنيوية: وتعني المنهجية التي تتضمن عناصر من ثقافة الإنسان التي يجب فهمها من خلال علاقتها بنظام أو هيكل شامل أوسع. وهي تعمل على الكشف عن الهياكل التي تكمن وراء كل سلوكيات وتفكير وإدراك ومشاعر

---

(٩٢) Christine Sylvester–Feminist Theory and International Relations in a Postmodern Era,CambridgeUniv.Press.1994. passim

البشر، أي إن فهم السلوك السياسي يجب أن يبدأ من خلال ربطه بالبنية الثقافية والعلاقات الاجتماعية التي أفرزته.

(Constructivism): البنائية: وتعني تحديد الهوية والمصلحة استناداً للتفاعل بين الوحدات، أي إن هوية الفرد أو المجتمع ومصالحهما ليست معطًى سابقاً على الوجود الاجتماعي بل هي نتيجة للتفاعل بين وحدات البنية.

(Structuration): أو الهيكلة، وهي نظرية اجتماعية تبحث في إنتاج وإعادة إنتاج النظم الاجتماعية من خلال تحليل كل من البنية الاجتماعية والفاعلين الاجتماعيين والوكلاء دون إعطاء الأولوية لأي منهما، ودون الاكتفاء بالتحليل الكلي أو الجزئي للظاهرة بشكل منفرد.

(Ephemeralization): وتعني قدرة التكنولوجيا على توفير الإمكانية لإنتاج أكثر ولكن بقدر أقل من المواد وصولاً إلى حد صنع كل شيء دون أي قدر من الأشياء (أي صناعة شيء من لا شيء).

ثالثاً: المصطلحات الاجتماعية: وتتمثل في الآتي[٩٣]:

(Deterritorialization) و(Reterritorialization): وتعني نزع (أو إعادة) الرباط بين ممارسات اجتماعية أو سياسية وأصولها المكانية أو أصولها المجتمعية التي أفرزتها لتصبح كأنها ممارسة إنسانية عامة أو (محلية).

---

(٩٣) -https://llull.cat/IMAGES_175/transfer01-foc04.pdf

-. "Time-Space Distanciation and the Generation of Giddens, Anthony - Power". A Contemporary Critique of Historical Materialism: Power, Property and the State. London: Macmillan-1981.. pp. 90-108

(time–space distanciation): تمدد النظم الاجتماعية عبر المكان والزمان. ما يجعل التفاعل يتم مع الأشخاص الغائبين مكاناً أو زماناً وبالتالي توسيع فضاء التفاعل مكاناً وتقليص المسافة الزمنية لحدوث التفاعل.

الاستنتاجات في ميدان العولمة واللغة العربية:

يغلب على مصطلحات أو مفاهيم أدبيات العولمة الطابع (التقني)، وهو ما يعني أن التعبير عنها يحتاج "لمنظومة معرفية تقنية" تستطيع إدراك كنه المفردات الجديدة في ميدان معين، ويبدو أن عجز الخلفية التقنية في منظومتنا المعرفية يجعلنا أقل قدرة على التقاط المعنى الدقيق لمصطلح جديد ونقله للغة العربية، فمثلاً مصطلح (Ephemeralization) الذي وضعه (فوللر) لم يكن موجوداً في اللغة الإنجليزية، لكن العقل التقني الذي تخيل إنتاج (شيء من لا شيء) تمكن من تركيب هذا المصطلح، فكلمة (ephemeral) تعني (سريع الزوال)، لكن الرابط بين المفهوم وجذوره اللغوية هو (المؤقتية) والتي هي أبرز سمات العصر الحالي القائم على التغير السريع والمتسارع، وهو ما يؤكد ما ذهبنا له في مقدمة هذه الدراسة في الربط بين اللغة والمنظومة المعرفية.

**المنظومة المعرفية العربية ومفاهيم الدراسات المستقبلية والعولمة:**

**الدراسات المستقبلية:**

يمثل الزمن الفكرة المركزية في الدراسات المستقبلية، وعليه يصبح الإدراك للبعد الفلسفي في مفهوم الزمن نقطة الانطلاق الضرورية لاستيعاب موضوع الدراسات المستقبلية، فقد شكل موضوع الزمن نقطة تحاور بين الفلاسفة منذ بداية تطور ميدان الفلسفة، وانقسم هؤلاء إلى فريقين: أحدهما اعتبر الزمن مفهوماً منفصلاً عن غيره، ما

يترتب عليه الاعتقاد بالثبات والدوام، وهو ما تجلى في فلسفات بارمنيدس وزينون وصولاً إلى كانت، وافترضوا أن الزمن سابق على الظواهر وبالتالي فهو ليس مفهوماً أمبريقياً، فهو موجود في العقل كحال المثال عند أفلاطون، وفريق آخر لا يرى الزمن منفصلاً عن الحركة والظاهرة، وتدل عبارة هيرقليطيس بأنك (لا تستطيع عبور النهر مرتين)، على ذلك، وعبر أرسطو عن ذلك بأن الزمن يتحدد بالحركة، فالنائم ليس له زمن، ووصفه جون لوك بأنه (التغير الكمي للأحداث).

ولعل الفلسفة الإسلامية في تيارها العام أقرب لمفارقة المفهوم السائد عند الفريق الثاني، مع استثناءات معينة، فالزمن عند الأشعري هو الفرق بين الحركات، وعند الخوارزمي (مدة تَعُدُّها الحركة)، ولدى المعري (كم الحركة)، لكن التيار السائد في فلسفتنا العربية والذي بقيت بصماته سائدة هو التيار (الدهري– القدري) الذي يقلل من أهمية تدخل الإنسان في تحديد مسارات حياته المستقبلية، وهو ما يجعل إدراك الأبعاد العميقة لمفاهيم الزمن والتغير أقل مما هي لدى الآخرين، بل يقلص من أهمية النزوع للحرية لصنع الغد المأمول، ما يحرمه من البحث عن المفردات التي تجسد ما لا يعمل على تجسيده.

لقد استقر المفهوم المعاصر للزمن عند المعنى الثاني لدى آينشتاين، ومثاله التقليدي في ذلك هو أنك إذا حركت عقارب الساعة للأمام لا يعني ذلك أن عمرك قد زاد، إذاً لا بد من ملء وعاء الزمن بالحركة، لكن فلاسفة آخرين أكدوا إلى جانب بعد الحركة بعدَ الإحساس بالزمن وبالتالي إيقاعه، وهي قضية في غاية الأهمية، ويمكن أخذ مثال الفيلسوف (فيشنر) كمؤشر توضيحي لهذه القضية، فقد عرض هذا الفيلسوف صوراً مشوقة على مجموعة من الأشخاص، وعرض على نفس المجموعة صوراً مملة، ولكنه حرص على أن تكون مدة العرض في الحالتين واحدة، فاعتقدت المجموعة أن مدة العرض للصور المشوقة أقصر من مدة العرض للصور المملة،

فنبه فيشتر إلى بعد أعمق وهو إدراك إيقاع الزمن، أي وتيرة الحركة، وبالتالي فإن الزمن مقاساً بكم وقائعه ليس واحداً في كل مكان، ما يعني أن السنة (كوعاء للحركة) في دولة متخلفة ليست سنة في دولة متطورة، لأننا إذا اعتبرناها واحدة سنعود بمفهوم الزمن إلى الانفصال عن الحركة، وذلك يعني أن إدراك الحركة وقياس كمها وتبيان إيقاعها يمثل نقطة البدء في فهم حركة الظاهرة، أياً كانت هذه الظاهرة، سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

ومن المرجح أن إيقاع الحركة في مجتمعاتنا العربية أبطأ من نظيره في المجتمعات الغربية، وعليه فإن المجتمع الذي يصله المستقبل قبل أوانه سيكون أكثر عناية بتوصيف هذا السابق لأوانه من مجتمع يتحرك ببطء فلا يقلقه المستقبل لأنه يستشعر مسافة كافية بينه وبين ذلك الآتي.

أما البعد الآخر في موضوع الدراسات المستقبلية فهو البدائل المختلفة لمسارات الظاهرة في تطورها، فالزمن منقسم إلى مراحل ثلاث: الماضي وهو كل سابق على الحال القائم، والحاضر وهو كل ما هو قائم حالياً، وفي حالة الحركة، والمستقبل وهو الآتي بعد الحاضر، والفرق بين المراحل الثلاث هو أن الماضي قد أصبح حقيقة غير ممكن تغييرها، ولا جدوى من تدخل الإرادة الإنسانية فيه، أما الحاضر فهو عملية متحركة لم تكتمل بعد، ولن يكون للتدخل في مساره إلا القدر النسبي من التأثير، بينما يمثل المستقبل المجال الوحيد المتاح أمام الإرادة الإنسانية للتدخل فيه، غير أن عملية التدخل تتطلب وعي كافة الاحتمالات التي قد تنطوي عليها الظاهرة موضوع الدراسة، وهو أمر لا بد له من منهج علمي دقيق ومتطور، وهو ما عمل الباحثون في المجتمعات السريعة الإيقاع على توفيره من خلال ما يسمى بتقنيات الدراسات المستقبلية.

استناداً إلى ما سبق يمكن تعريف الدراسات المستقبلية على أنها (العلم الذي يرصد التغير في ظاهرة معينة ويسعى لتحديد الاحتمالات المختلفة لتطورها في المستقبل وتوصيف ما يساعد على ترجيح احتمال على غيره). وعلى هذا الأساس تتباين الدراسة المستقبلية عن الدراسة الاستراتيجية كما أسلفنا، كما تختلف عن التنبؤ نظراً لأن التنبؤ يوحي (بقدر كبير من اليقين) خلافاً للدراسة المستقبلية[٩٤].

ولما كانت مجتمعاتنا ذات إيقاع تطوري بطيء وغير ذاتي (أغلب تطوره عائد لعوامل موضوعية أكثر منها ذاتية) فإن إدراكه أو وعيه للزمن يبقى دون القدرة على فهم أو وعي العلاقة مع الزمن، وعليه لن تتطور منظومته المعرفية بهذا الاتجاه وسيجد نفسه عاجزاً عن التعبير عن هذه الحالة بلغته الخاصة.

**العولمة:**

لعل تَسَمُّر المجتمع العربي عند ثقافاته الفرعية (العشيرة- القبيلة- الأمة- المذهب- الدين- الوطن... إلخ) وبقاء مجتمعاتنا موضعاً للتفاعل بدلاً من أن تكون فاعلاً في النشاط الاقتصادي والسياسي والاجتماعي (بدليل التخلف الكبير في مواقعنا في مؤشرات العولمة) -يجعلنا أقل انشغالاً بمفردات هذه الظاهرة التي يتشارك في دفعها الرأسماليون والاشتراكيون على حد سواء، ويكفي مراجعة تصريحات الرئيس الصيني الحالي حول ذلك ودفاعه الكبير عن كل آليات العولمة[٩٥].

---

(٩٤) وليد عبدالحي- الدراسات المستقبلية: النشأة والتطور والأهمية، مجلة التسامح (وزارة الأوقاف العمانية)، العدد ٣، ٢٠٠٣، ص٦٧-٧٨.

(٩٥) https://www.scmp.com/news/china/economy/article/2141032/xi-jinpings-defence-globalisation-and-open-markets-key-takeaways

**التعليقات والمناقشات**

د.محمد الخلايلة: أشار إلى أنه كان بإمكان الدكتور وليد عبدالحي عرض المصطلحات التي يريد أن يترجمها على مجمع اللغة العربية الأردني لتكون محل اتفاق.

رد د.وليد عبدالحي: أيّد كلام الدكتور محمد الخلايلة؛ وقال: لو عرضت المقابلات العربية المتعددة للمصطلح الواحد فسيقرّ المجمع واحدة من هذه المقابلات.

د.محمد حمدان: بين أن في المجمع لجاناً متخصصة بتعريب المصطلحات الأجنبية، وترد للمجمع مصطلحات تحال إلى اللجنة المختصة لتضع المقابلات العربية لها، بحضور خبير متخصص في العلم التي تنتمي إليه المصطلحات، ثم ينشرها ويوزعها. وتمنى إن كان لدى الدكتور وليد مصطلحات بحاجة إلى تعريب أن يبعثها إلى المجمع. وبيّن أن المجمع رصد المحلات المخالفة لقانون حماية اللغة العربية ووثَّق اليافطات بالصور، وأرسل هذه المخالفات إلى الجهات المعنية بترخيص المحلات وإلى رئاسة الوزراء. وأشار إلى أنه إذا أوقعت العقوبة على أحد المخالفين فسيعتبر المخالفون الآخرون.

د.عبدالرحمن الكيلاني: أوضح أنه لا بد على أصحاب القرار أن يشعروا أن حماية اللغة العربية جزء من حماية الأمن الفكري. والحفاظ على الأمن الفكري لا يقل عن الحفاظ على الأمن الوطني والأمن السياسي، وعليهم أن يكونوا مشجعين للمجمع في تطبيق القانون.

د.محمد زكي خضر: بيّن أن سرعة إقرار المصطلحات في المجامع اللغوية ليست بالسرعة الكافية لمواكبة التقدم العلمي. والبديل أن يضع المتخصصون أنفسهم المصطلحات التي يرونها مناسبة حتى لو كانت قريبة من الصحة، وبعد ذلك تُتداول بينهم إلى أن نصل إلى إقرارها من المجامع اللغوية.

د.محمد عصفور: بيّن أن الاستعمال هو الذي يقرِّر صلاح المقابل العربي من عدمه، وبيّن أن المقابلات العربية ما لم تستخدم في قاعات التدريس فإنها ستبقى نظرية ولن تفيد أحداً.

رد د.وليد عبدالحي: بين أنه مع المقابل العربي الذي يقرّه الذوق العام.

# الترجمة الآلية في خدمة اللغة العربية

الأستاذ الدكتور محمد زكي خضر

الثلاثاء ٤ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ – الموافق ١١ كانون الأول ٢٠١٨م

## المُلَخَّص

يناقش هذا البحث تاريخ وأنواع الترجمة الآلية، ووضع الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها والمشاكل التي تعاني منها، ومن ثم تبيان الخطوات التي ينبغي اتباعها للتقدم في هذا المجال.

تكون المعاجم والمصطلحات ركيزةً رئيسيةً في الترجمة كما تكون الذخيرة اللغوية والعمليات الإحصائية عليها جزءاً مهماً من مرتكزات الترجمة الآلية. لذلك فإن إعداد معجم عربي محوسب وذخيرة لغوية متعددة اللغات تعتبر خطوات مهمة في طريق تطوير الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها.

## ١- مقدمة:

لم تعد المعالجة الحاسوبية للغة العربية من أمور الترف اليوم، فقد أصبح واضحًا أن استعمال الآلة اليوم باللغة التي يتقنها الفرد العادي أمر ضروري. وفي الوقت نفسه أصبح الحصول على كلام منطوق من الآلة أمرًا متيسرًا تقنيًّا. لذلك فإن فهم الآلة للغة العربية ومعالجتها كتابة ونطقًا هو من المهام التي ينبغي خدمتها إلى أقصى ما يمكن لكي يكون تواصلها مع البشر سهلًا ودقيقًا. إن الجهود في مجال معالجة اللغة العربية لا تزال متأخرة وهي بحاجة إلى الكثير من الأبحاث والتطبيقات. فالجهود في مجال اللغة من ناحيتي الصرف والنحو تحتاج المزيد. والموارد التي تحتاج إليها عملية حوسبة اللغة، هي الأخرى بحاجة إلى المعاجم الآلية والمدونات الموسومة وشبكات الكلمات والمكانز وأبحاث الدلالة. وعلى ذلك فالأبحاث في كل هذه المجالات وغيرها ضرورية لخدمة التطبيقات المختلفة التي يحتاج إليها التعامل اليومي مع الآلة باستخدام اللغة العربية. وأحد هذه التطبيقات المهمة هو الترجمة الآلية.

تشهد التّرجمة نموًّا سريعًا جدًّا هذه الأيام، فهي وسيلة فعّالة لنقل المعرفة والتواصل بين البشر الذين يتكلمون لغات مختلفة. وقد زاد التقدم في التقنيات الحاسوبية الحديثة وفي حقل الاتصالات هذه الأهمية وسهّل الاتصال مع الآخر. فالجانب الرئيسي للترجمة يعتمد على فهم معاني الكلمات في مفردات اللّغة المراد الترجمة منها (لغة المصدر) ونقل المعنى إلى اللغة المراد الترجمة إليها (لغة الهدف). إن عملية النقل بين اللغتين يمكن أن تكون حرفية أي باستعمال معاني كلمات اللغة المصدر كلمة كلمة، وهذه الطريقة البدائية ليست هي الفضلى لأنها تفقد المفهوم العام المراد نقله من لغة المصدر إلى لغة الهدف. أما الطريقة الثانية فتهتم بالمعنى العام للعبارات في اللغة المصدر والتعبير عنها باللغة الهدف بلغة رصينة دون التقيد بحرفية

النص الأصلي. إنّ أبرز التّحدّيات التي تواجه التّرجمة هو التنوع الكبير في التراكيب أو القواعد اللغويّة وعملية تفسير الجملة التي تستخدم تركيبًا لغويًّا معيّنًا، ومن ثمّ اختيار أفضل تركيب للجملة في اللغة المستهدفة، لذلك فإن فهم المعنى العام والتعبير عنه بلغة الهدف هو التحدي الأكبر في هذه الطريقة.

تُعتَبر الترجمة الآلية أحد أهم الحُقول وأصعبها من حيث إمكانية التطبيق في حياتنا اليومية، وهناك العديد من البحوث حول التّرجمة الآلية وتطويرها بين اللغة الإنجليزية واللغات الأخرى كالألمانية والفرنسية والإيطالية واليابانية والصينية والكورية وغيرها من اللغات. وقد أدت تلك البحوث إلى أنظمة ترجمة آلية متقدمة. لكن بالمقابل، هناك القليل من البحوث المماثلة حول اللغة العربية، لذلك فإن ما يتوافر من أنظمة للترجمة من اللغة العربية وإليها لا يزال بعيداً عن الدقة، وهي بذلك يصعب الاعتماد عليها في الوقت الحاضر.

لا بد وأن يشار إلى أن الترجمة الآلية تطورت عبر العقود القليلة الأخيرة تطوراً كبيراً بتطور علوم الحاسوب وبتراكم الخبرات في معالجة اللغات الطبيعية التي تستخدم الذكاء الاصطناعي. كما أن تطبيق وسائل المعالجات الحاسوبية على لغة ما مكّن من الغوص في دقائق اللغات المختلفة لوجود السمات العامة للغات البشرية، لكن لكل لغة خصوصياتها وهذا يحتاج إلى أبحاث خاصة لكل لغة على حدة.

إن تطوير برامج للترجمة الآلية خاصة من الإنكليزية إلى العربية أمر في غاية الأهمية لنقل ما ينشر باللغة الإنكليزية إلى العربية لكي يطلع القارئ العربي على المستجدات العلمية أولاً بأول، خاصة أن اللغة العربية ليست هي اللغة الأولى للعلوم والتقدم العلمي في العالم اليوم.

## ٢- تأريخ الترجمة الآلية (١و٢)

استُخدم الحاسوب في الترجمة فعلياً لأول مرة من قبل وارن ويفر عام ١٩٤٧، فقد قدم في عام ١٩٤٩ اقتراحاً لزملائه لتطوير أنظمة الترجمة الآلية بحيث لا تقتصر على الترجمة كلمة كلمة؛ وذلك من خلال فهم المعنى المباشر للكلمات التي تشير لأكثر من معنى واحد. وقد دقق النظر في التشابه بين تركيب المخ البشري وكيفية عمل الآلات منطقياً. وقد توصل في نهاية بحثه إلى أن الترجمة الآلية ممكنة التحقيق. كانت هناك في تلك الحقبة حاجة سريعة للترجمة غير الدقيقة، وذلك نظراً لحاجة الولايات المتحدة للاطلاع على المراسلات التي يقوم بها الاتحاد السوفياتي، في الوقت نفسه الذي ظهرت فيه الحواسيب وتبينت قابلياتها المتنامية. ولذلك كانت أنظمة الترجمة من الروسية إلى الإنكليزية أولى المحاولات، فقد أجريت بنجاح في جورج تاون أول ترجمة من اللغة الروسية إلى الإنكليزية عام ١٩٥٤، وقد تنبه الباحثون في الاتحاد السوفياتي إلى أهمية الترجمة الآلية فقاموا في عام ١٩٥٥ بأول تجربة في الترجمة الآلية من الإنكليزية إلى الروسية باستعمال قاموس يحوي ٢٣٠٠ كلمة. وأشارت التجربة إلى ضرورة تمثيل التراكيب اللغوية بمستوى بناء الجملة وبالمستوى المعجمي. وقد اتضح أن مشكلة الغموض في التعامل مع الترجمة الآلية هي مشكلة فعلية لكنها لم تقدر حق قدرها حينئذ. لقد كانت الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٦ فترة التوقعات الكبيرة من الترجمة الآلية لكن لم يتحقق ما كان يؤمل من الحصول على دقة بنسبة ٩٥% دون معالجة مسبقة للنصوص، فلقد أوضحت الأبحاث أن تركيب اللغات أكثر تعقيداً مما كان متصوراً، وأن المترجمين من البشر يستعملون الكثير من المعرفة غير المنظورة في حقل المادة المترجمة والمعرفة بالحياة العادية أكثر مما كان متصوراً. وأدى ذلك إلى تباطؤ في أبحاث الترجمة الآلية وربما إهمال الموضوع حتى عام ١٩٧٥.

لقد كانت أولى محاولات تطوير برنامج ترجمة من الإنكليزية إلى العربية في نهاية السبعينيات في ولاية يوتا الأمريكية، ولم يكن يحتوي البرنامج على تحرير أولي، لكن كان بالإمكان إجراء تحرير نهائي. وقد احتوى النظام على مرحلتين، الأولى لتحليل اللغة المصدر والثانية لتوليد اللغة الهدف. كان تحليل اللغة الإنكليزية موجهاً لكي يولد العبارات في اللغة العربية بشكل مباشر باستعمال معجم ثنائي اللغة للعبارات. ولم تكن الألفاظ والجمل الإنكليزية تحلل بعمق، بل كان يكفي توليد المقابل باللغة العربية. وهكذا كان النظام باتجاه واحد ولم يكن يغوص بعمق في اللغة الإنكليزية. وقد استعمل البرنامج نفسه فيما بعد لترجمة الموسوعة البريطانية (بريتانيكا) إلى اللغة العربية. كما قامت سلطنة عمان بالحصول على امتياز للبرنامج لكي يستعمل في ترجمة الوثائق الإنكليزية إلى العربية.

لم تكن الطريقة المباشرة هذه في الترجمة تغوص في أعماق اللغة المصدر، ومن ثم أدرك مطورو البرمجيات أن الطريقة المباشرة لا تكفي لمعالجة اللغات الطبيعية المعقدة. ولنضرب مثالاً على إحدى الصعوبات التي جوبهت: فقد وجد أن التعامل مع الجمل باستبدال مواقع الفعل بين الإنكليزية والعربية مثل " Ali drinks tea" فترجمتها إلى: "يشرب علي الشاي" احتوى على استبدال موقع الفعل والفاعل بحيث أصبحت الترجمة العربية جملة فعلية حيث تبتدئ بالفعل بدل الاسم. لكن ذلك لم يكن كافياً لترجمة جملة مثل:

(The man whose clothes are dark and carrying a suitcase in his left hand ran away).

فمثل هذه الجملة تحتاج إلى تحليل عميق لتحديد الفاعل ومن ثم اقترانه بالفعل الذي يبعد عن الفاعل بأكثر من عشر كلمات.

ومن المشاكل التي تعاني منها الترجمة مدى التوافق في حل مشكلة ترتيب العبارة التي تحوي أداة النفي (not) والتوافق بين الصفة والاسم والمحتوية على ( did

not) فيما يتعلق بالجنس والحالة، والتنكير والتعريف، والضمائر الملحقة، والتوافق بين الفعل والفاعل، وعملية الإضافة والحذف بين اللغتين. يظهر ذلك إذا كانت اللغة الأصلية تحتوي على كلمات إضافية خاصة بها ليس لها وجود في اللغة الهدف مثلاً.

وعلى ذلك فقد أصبح واضحاً أن الطريقة المباشرة لا تعطي نتائج دقيقة لترجمة مثل هذه الجمل الطويلة. وهكذا برزت حاجة لتطوير المعرفة بكيفية تحليل الجمل الطويلة بعمق وكفاءة دون غموض، وعند ذلك ظهرت الطريقة التحويلية التي قدمت للترجمة الآلية أمرين: الوصف لتحليل الجملة ومن ثم التقنية الجديدة لتمثيل هذا التحليل العميق، وهو ما طور خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.

عادت الأبحاث على أشدها في أوربا وكندا واليابان بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٥ باستعمال الأنظمة الخبيرة وأبحاث معالجة اللغات الطبيعية، وبشكل خاص للغات الأوربية واليابانية، وبذلك ظهر الجيل الثاني من برامج الترجمة الآلية فظهرت في الأسواق برامج تجارية تستعمل الحواسيب المايكروية. وهذا التطور شمل البحوث المعجمية والنحو والصرف والدلالة.

وفي عام ١٩٨٩ كانت بداية الجيل الثالث من برامج الترجمة الآلية التي استندت إلى المعلومات الإحصائية حينما قامت شركة (أ.ب.م.) بمشروع كاردید المستند إلى الترجمة بالأمثلة والترجمة المحدودة الموضوع مع تعدد اللغات المترجم منها والمترجم إليها، فعاد الاهتمام بالترجمة الآلية لحد لم يسبق له مثيل. وقد استندت هذه الترجمة إلى الذخيرة اللغوية (Corpus Based MT) التي لا تزال في تطور حتى اليوم مع بعض التكامل مع الأساليب الأخرى للترجمة الآلية.

لقد حدث تقدم هائل في برامج الترجمة الآلية بين اللغات الأوربية فيما بينها وبين اليابانية والصينية والكورية، وقد ازداد الطلب عليها بشكل واسع وساهمت الشابكة بزيادة الحاجة إلى الترجمة الآلية وسهّلت في تقديم المادة المترجمة إلى من يحتاج إليها. ولا يزال التقدم على أشده في تكامل عمل المترجمين من البشر مع

الترجمة الآلية، حيث يحتاج التقدم بمستوى الترجمة الآلية إلى مترجمين أكفياء لتطويرها والارتقاء بها، وليس كما كان يخشى بأن الترجمة الآلية ستؤدي إلى انقراض مهنة الترجمة البشرية.

إن استعمال أنظمة الترجمة الآلية قليلة الدقة يدفع إلى الحاجة إلى تحسين النوعية بشكل مطّرد بمساعدة المترجمين من البشر. وقد وظفت بلدان كثيرة الترجمة الآلية لخدمة متطلباتها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتقنية، في طليعتها الولايات المتحدة وروسيا والصين واليابان. وفي الحقل العلمي هناك جهود كبيرة لترجمة المحاضرات العلمية المتوافرة مجاناً على الشابكة إلى لغات أخرى. إن أكبر مجموعة محاضرات متقدمة مفتوحة المصدر متوافرة على الشبكة هي محاضرات جامعة إم آي تي الأمريكية. وهي الآن تحظى بترجمة آلية إلى اللغة الصينية مع مراجعة بشرية لما بعد الترجمة الآلية[٣].

تجري منذ الثمانينيات في القرن الماضي العديد من الأبحاث حول المعالجة الصرفية للغة العربية وكان معظم تلك الدراسات ينصب على عملية فصل السوابق واللواحق في الكلمة العربية المركبة، ومن ثم استخلاص الجذر لمعرفة العمليات الصرفية التي أجريت عليها والتي يمكن للحاسوب القيام بها بعد برمجته بشكل دقيق. وتجدر الإشارة إلى أن قواعد الصرف العربية مهيأة للبرمجة أكثر من قواعد النحو التي تحتاج إلى ارتباط بالمعنى والدلالة أكثر من الصرف.

## ٣- أنواع الترجمة الآلية

### ٣-١- الترجمة الآلية المستندة إلى المعاجم والقواعد

من البدهي أن تكون المحاولات الأولى للترجمة الآلية مستندة إلى المعاجم ثنائية اللغة ثم بعد ذلك المضي بإدخال قواعد صرفية ونحوية ودلالية على الترجمة. وقد وجد أنه من الصعوبة بمكان فصل العمليات الصرفية والنحوية والدلالية بعضها عن

بعض. كما أن المزج بينها بطريقة علمية أمر في غاية الصعوبة. ومع هذا تحقق بعض التقدم في محاولات ترجمة الجمل القصيرة ذات التراكيب البسيطة الشائعة.

### ٣-٢- التّرجمة الآلية الإحصائيّة

"الترجمة الآلية الإحصائية" هو مصطلح يشير إلى مجموعة من أنظمة الترجمة الآلية التي طورت باستخدام أساليب التعلّم الآلي، وهي النوع الأكثر شيوعاً الآن من أنواع الترجمة الآلية. لقد طُور أول أنظمة الترجمة الآلية الإحصائية قبل ما يقرب من ثلاثة عُقود، واستخدمت شركة (IBM) في بداية ظهور الترجمة الإحصائية نظرية (Bayes) لتطوير منهجية إحصائية للتّرجمة الآلية، حيث اعتمدت على سلسلة من الكلمات والرموز الموجودة في لغة المصدر مع مجموعة من المفردات يمكن أن تُسمّى (أ) وتحويلها إلى سلسلة من الكلمات والرموز الموجودة في اللغة الهدف مع مجموعة أخرى من المفردات تسمى (ب).

تتميز أنظمة الترجمة الآلية الإحصائية بقدرتها على تعلّم ترجمة العبارات وليس الكلمات المفردة فقط، وميزة أخرى لبعض هذه الأنظمة أنها تجمع عدة موارد معرفيّة لاستخدامها لتحليل الجملة المترجمة. ويجري وصف الترجمة الآلية الإحصائية عادة بأنها اختيار الجملة (أو العبارة) الهدف التي لها أعلى احتمالية مقابل الجملة (أو العبارة) المصدر.

قام كيفن نايت ودانيال ماركو بتحويل الأبحاث العلمية المتعلقة بالترجمة الآلية إحصائياً في عام ٢٠٠٢ إلى منتج للترجمة الآلية من العربية إلى الإنكليزية، وكان ذلك مثالاً جيداً لتكوين ذخيرة لغوية متقابلة بين العربية والإنكليزية والاستفادة منها للترجمة الآلية. وأشهر الأمثلة على الترجمة الإحصائية بين اللغة العربية واللغات الأخرى هي ترجمة جوجل.

### ٣-٣- التّرجمة الآلية باستخدام الشّبكة الدلاليّة

تعمل الشّبكة الدلالية على إعادة هيكلة كمّ هائل من البيانات التي يمكن الوصول إليها وتكون مفهومة لكل من البشر والآلات المتاحة على الشّابكة بطريقة مشابهة لتلك التي يُدركها العقل البشري، وتكون بمثابة تدريب للشبكة على فهم السياق القريب من أي كلمة أو عبارة يتمّ البحث عنها.

### ٣-٤- التّرجمة الآليّة العصبيّة

تُعتبر التّرجمة الآلية العصبية موضوعاً جديداً، بدأ يشهد في الآونة الأخيرة نشاطاً، حيثُ تجري خلالها التّرجمة الآلية بشكل مختلف تماماً عن الطرق التقليدية لأساليب التّرجمة الآلية الإحصائية القائمة على العبارة. فبدلاً من التَمرُّن على المكوّنات المختلفة للترجمة الآلية بشكل مستقل، يستخدم هذا النموذج الشبكة العصبية الاصطناعية لتعليم النموذج أو تدريبه على جمع المكونات معاً لتحقيق أكبر قدر من الإتقان في أداء الترجمة بوساطة خطوتي الشبكة العصبية المتعاقبتين: "التشفير" و"فكّ التشفير".

### ٣-٥- الترجمة الآلية الهجينية

تمكّنت الترجمة الآلية من حلّ الإشكال في بعض الأحوال باستخدام معلومات إضافية مثل الترجمة الآلية المعتمدة على القواعد التي تساهم في تصحيح الأخطاء باستخدام معلومات دلالية، بينما تستخدم أنظمة الترجمة الآلية الإحصائية الإحصاء لكمية هائلة من الذخيرة اللغوية ثنائية اللغة أو متعددة اللغات. وكلا النظامين له نقاط قوة وضعف، وقد ساهما بشكل منفصل بحل جزء من المشكلة، أما الترجمة الآلية الهجينة فزادت من تحسين المخرجات لأنظمة تمييز الكلام الآليّة ( automatic speech recognition (ASR) وأنظمة التحكم بالوسائط بالجمع بين أهم ميزات

النظامين. وقد أثبتت التجربة أن النظام الهجين يكون أداؤه أفضل من النظام الإحصائي وحده أو الطرق المعتمدة على القواعد وحدها.

كما ظهرت بعض الأنظمة الهجينية التي تستعمل للترجمة المكتوبة والمنطوقة باستعمال الطريقتين: الطريقة الإحصائية والطريقة المستندة إلى القواعد، حيث إن لكل من الطريقتين فوائد ونقائص. لذلك؛ من المزاوجة بينهما يمكن الحصول على الفوائد من كلتيهما واستبعاد النقائص، وهو أمر ليس بالهين من ناحية التطبيق خاصة في الترجمة الآلية الفورية (للكلام المنطوق).

ولغرض المضي في تحسين أداء الترجمة الآلية من العربية وإليها يجب القيام بعمليات مختلفة؛ منها اكتشاف أسماء الأعلام ببرنامج خاص، وهذا يمكن أن يحسن من الترجمة، فما أن يكتشف الاسم حتى يمكن القيام بعدة عمليات تفيد في الترجمة، فمثلاً عند اكتشاف أن كلمة مثل "أحمد" هي اسم علم فإنها لا تترجم على أنها فعل مضارع يعود إلى المتكلم (أَحمَدُ I praise).

يوظف نموذج الترجمة الآلية المعتمد على القواعد نظاماً يتوافر فيه معجم غني بالشروح يحتوي بدوره على معلومات دلالية ووظيفيّة، ويُستخدم النظام لتغذية عمل الترجمة الآلية الهجينة.

**٤- الترجمة الآلية من العربية وإليها:**

إن إحدى المشاكل الرئيسة في الترجمة من الإنكليزية إلى العربية هي: التوافق وإعادة الترتيب بين الصفات والأسماء والتوافق بين الفعل وفاعله والتوافق بين الضمائر والأسماء الموصولة، إذ إن ترتيب الكلمات في هذه المجالات الثلاثة مختلف بين العربية والإنكليزية.

فتحويل موقع الفعل والفاعل والمفعول مثل: "The patient needs a special treatment" إذ تصبح "احتاج المريض معالجة خاصة" وذلك بتقديم الفعل

على الفاعل في العربية. وتحويل أداة التعريف (the) لما قبل الصفة مثل "The effective health treatment" وتكرار ألف لام التعريف وإعادة ترتيب الصفة والموصوف فتصبح "المعالجة الصحية الفعالة".

يرى البعض بأنّ أبرز التّحديات التي تواجه التّرجمة هو التنوّع الكبير في التراكيب أو القواعد اللغويّة وعملية تفسير الجُملة التي تستخدم تركيباً لغوياً معيناً، ومن ثمّ اختيار أفضل تركيب للجملة في اللغة المُستهدفة.

لقد أجريت أبحاث عديدة لدراسة ترتيب الجمل المحتوية على الفعل بين الإنكليزية والعربية. وبعد ذلك استعمل هذا الترتيب في الترجمة الآلية الهجينية لتحسين نوعية الترجمة. تحاول الترجمة المستندة إلى الأسس التحويلية إيجاد تمثيل وسيط يلتقط المعنى الأصلي لكي يحوله إلى اللغة الهدف، فالغرض هو اكتشاف كيفية تحويل الجمل المحتوية على (فاعل– فعل– مفعول به) من الإنكليزية إلى (فعل– فاعل– مفعول به) بالعربية. وتحاول الترجمة المستندة إلى الأمثلة التعامل مع الحالات غير النظامية وذلك لكي تحاكي الترجمة المثال المعروض. لقد ظهرت عدة برامج ترجمة من العربية وإليها، منها: الكافي وصخر وجوجل وبينغ وسيستران، وحاولت كثير من الأبحاث مؤخراً مقارنة عدد من برمجيات الترجمة. وقد خلص أحد هذه الأبحاث إلى وجود ١٢ مشكلة تواجه برامج الترجمة الآلية وتحدد دقة الترجمة. من هذه المشاكل: مدى التوافق في حل مشكلة ترتيب العبارة التي تحوي أداة النفي (not) والتوافق بين الصفة والاسم والمحتوية على (did not) فيما يتعلق بالجنس والحالة والتنكير والتعريف والضمائر الملحقة والتوافق بين الفعل والفاعل وعملية الإضافة والحذف بين اللغتين. ويزداد ذلك صعوبة إذا كانت اللغة الأصلية تحتوي على كلمات إضافية ليس لها وجود في اللغة الهدف مثلاً. وقد كانت بعض الأبحاث تركز على ترجمة في حقول معينة كالترجمة الآلية في حقل الزراعة وذلك لضمان دقة أفضل في الترجمة خاصة إذا كانت بحقل علمي ضيق.

**٥- نماذج لأبحاث ودراسات للترجمة الآلية إلى اللغة العربية (١ و٤)**

أجريت العديد من الأبحاث لتعزيز قابليات أنظمة الترجمة الآلية إلى اللغة العربية مثل اعتماد أنظمة الترجمة على ثلاث مجموعات من القواعد: التحليل النحوي والتحويل والتوليد. وأجريت تجارب على ترجمة لعدد محدود من الجمل من مجلة طبية متخصصة ومن ثم الحصول على دقة لا بأس بها، كما أجريت تجارب على عملية عكس تسلسل الأسماء مع صفاتها. وأجريت تجارب على تقسيم النص إلى جمل ثم تقسيم الجمل الطويلة إلى جمل قصيرة ثم تقسيمها إلى أجزائها من حروف جر وحروف عطف وغيرها وترتيب الجملة بشكل مصفوفة مناسبة لإعادة الترتيب بين الإنكليزية والعربية، ومن ثم تقسيم أجزاء الجمل إلى عبارات ومكونات العبارات من أسماء وأفعال وصفات وظروف، وبعد ذلك تكوين شجرة إعرابية للجملة الإنكليزية.

أما ما يتوافر في السوق من برامج، فقد قارنت بعض الدراسات بين الترجمات المختلفة المتوافرة في الأسواق كترجمة جوجل وبابلون، وتبين بأن ترجمة جوجل أفضل من ترجمة بابلون. كما قورنت أنظمة ترجمة جوجل وبابليون وسيستران وفق صفات لغوية وتبين بأن جوجل هو الأفضل، كما قورنت الترجمات عبر السنوات فوجد تحسن في هذه الترجمة بين ٢٠٠٦ و٢٠١٦. وتعتبر الإنكليزية لغة وسيطة للترجمة من عدة لغات إلى العربية (كالروسية) حيث إن الترجمة من تلك اللغات (إلى الإنكليزية) قد بلغت دقة عالية ومن ثم تحتاج إلى تحسين الترجمة من الإنكليزية إلى العربية لترتقي بالترجمة من تلك اللغات إلى العربية بشكل غير مباشر. إن تحسين الترجمة إلى العربية لا يعتمد فقط على الحاسوبيين بل يعتمد على اللسانيين الذين يقع على عاتقهم وضع اللغة العربية بقوالب وقواعد حاسوبية تمهيداً لتضمينها في برامج الترجمة الآلية.

كما قامت بعض الأبحاث بجمع أكثر من ٦٠٠٠ جملة وتوزيعها عشوائياً على ٥٠ محكماً بمعدل حوالي ٢٥٠ جملة للمحكم الواحد لقياس التباين بين المترجمين وجرى تقييم ١٠ تقديمات يدوياً بمعدل حوالي ٤٠٠ جملة، لذلك فإن حوالي

٨٠٠٠ جملة قيمت مرتين ومن ثم استخلص أن عملية التدريب أدت إلى تحسين النتائج لكن ليس بالمستوى المطلوب، حيث إن البيانات لم تكن كافية.

كما جمع باحثون آخرون مجموعة مقالات تحتوي على مئة ألف كلمة من المقالات الإخبارية الإنجليزية مأخوذة من الموقع الإلكتروني للصحافة التعاونية على الشابكة، وقد ضمت المجموعة خمسمئة وعشرين مقالة، بمعدل مئة واثنتين وتسعين كلمة لكل مقالة. ترجمت تلك المجموعة تلقائياً باستخدام خدمات جوجل المدفوعة الأجر للترجمة. وللحصول على نسخة منسقة بعد تحريرها من أخطاء الترجمة الآلية من قبل مجموعة المدققين، برزت الحاجة إلى إرشادات تصحيحية واضحة وموجزة. وقد وضع الباحثون الأخطاء المراد تصحيحها في فئات الأخطاء التالية: التدقيق الإملائي، واختيار الكلمات، وأصل الكلمات، والنحو، والأسماء الصحيحة، واستخدام اللهجات وعلامات الترقيم. وأوضح الباحثون في المبادئ التوجيهية، أنه ينبغي تصحيح النصوص المترجمة الآلية بأدنى عدد من التعديلات اللازمة لتحقيق جودة مقبولة للترجمة، وقد طلبوا من المدققين إيلاء الاهتمام إلى الجوانب الثلاثة التالية: الدقة والطلاقة والأسلوب، من أجل إنتاج نص متناسق. وقد أوضحت الأقسام التالية لهذا البحث إجراءات الشرح وإجراءات مراقبة الجودة باستخدام تدابير متكررة بين الشروح. وقد خلص البحث إلى أن هذه المنهجية المتعلقة بوضع المبادئ التوجيهية والتحقق من اتساق الشروح يمكن تطبيقها في مشاريع أخرى ولغات أخرى أيضاً.

وفي بحث آخر جرى بناء ذخيرة لغوية بتحرير لاحق للترجمة الآلية العربية، استعرضت في البحث القواعد الإرشادية مع أسلوب التعليقات ( annotation procedure) لتكوين ذخيرة لغوية يجري عليها تصحيح لاحق من البشر خاصة باللغة العربية القياسية الحديثة. وقد استخدم فريق عمل مكوّن من أشخاص جرى تدريبهم ثم قاموا بوضع هذه التعليقات. وكانت هذه الذخيرة جزءاً من بنك قطر للغة العربية الذي هو مشروع ضخم لعمل التعليقات اليدوية. وهدف هذا المشروع هو

تكوين ذخيرة تحوي مليوني كلمة للمستخدمين عبر الشابكة لجمع ملاحظاتهم على مواقع الأخبار وغيرها. وقد اختير في تلك المرحلة جزء مقداره مئة ألف كلمة بهدف الترجمة الآلية من مختلف المواقع الإخبارية الإنكليزية المترجمة للعربية باستعمال ترجمة جوجل بوصفها مرحلة أولى.

وفي بحث آخر عن تمييز الكلام المحكي باللغة العربية العاميّة من خلال تحويله إلى اللغة العربية المعاصرة لتتم ترجمته بعد ذلك إلى الإنجليزية؛ سُجّلت المدخلات من قناة تلفزيونية. إن سماع الكلام المحكي وتحويله إلى نص مكتوب ثم ترجمته هما عمليتان منفصلتان، وعندما يكون هناك خطأ في تحويل الكلام إلى نص فستكون الترجمة خاطئة. وقد استخدم في الترجمة الآلية الاعتماد على القواعد التي تساهم في تصحيح الأخطاء باستخدام معلومات دلالية.

**٦- واقع أنظمة الترجمة الآلية العربية**

سنقارن بين ثلاثة أنظمة للترجمة الآلية، هي جوجل وسيستران وبينغ، باستعمال مواقعها على الشابكة. وقد اخترنا جملة عربية لترجمتها ومقارنة ترجماتها إلى الإنكليزية. ثم ترجمنا جملة عربية إلى الإنكليزية وأدخلت تلك الترجمة للأنظمة الثلاثة للحصول على الترجمة العربية. وقد أعيدت التجربة مرتين في شهري أيلول (أشير لها بالرمز (*)) وكانون الأول (أشير لها بالرمز (**)) من عام ٢٠١٤. ثم أعيدت التجربة في تشرين الأول ٢٠١٨ (أشير لها بالرمز (***)) ويلاحظ حدوث اختلاف في كل الترجمات من الإنكليزية إلى العربية في المواقع الثلاثة، بينما الترجمة من العربية إلى الإنكليزية اختلفت في ترجمة جوجل وبقيت نفسها في سيستران وبينغ. ويلاحظ عدم الدقة والركاكة في الترجمات الآلية كلها تقريباً. كما يلاحظ أن الترجمة قد تختلف بمضي الزمن.

| | |
|---|---|
| النص الأصلي بالعربية | حصل تقدم هائل للترجمة الآلية خلال السنوات الماضية خاصة بين اللغات الأوربية ذات الأصول اللاتينية لما بينها من مشتركات |
| ترجمة جوجل إلى الإنكليزية | Got tremendous progress of the translation mechanism during the past years, especially among European languages with Latinos because of the participants, including (*)<br>Progress has been made tremendous machine translation during the past years, especiallyamong European languages with Latin asset to them from participants(**)<br>There has been tremendous progress in machine translation over the past years, especially among European languages with Latin origins, among them participants(***) |
| ترجمة سيستران إلى الإنكليزية | Huge progress for the automatic translation during the last years collected especially between the European languages self of the Latin origins for what between her from joint (*) & (**) & (***) |

| | |
|---|---|
| ترجمـــة بينـــغ إلـــى الإنكليزية | Advances of machine translation over the past years, especially between the European languages with Latin origins to their subscribers (*) & (**)<br>Huge progress of automatic translation through the years, especially among European languages Latin origins to their subscribers (***) |
| ترجمة النص بالإنكليزية | A tremendous progress occurred during recent years between European languages due to their common Latin origin. |
| ترجمـــة جوجـــل إلـــى العربية | حدث تقدم هائل خلال السنوات الأخيرة بين اللغات الأوروبية بسبب الأصل اللاتيني المشترك (*) & (***)<br>حدث هناك تقدم هائل خلال السنوات الأخيرة بين اللغات الأوروبية بسبب الأصل اللاتيني المشترك (**) |
| ترجمـــة سيســـتران إلـــى العربية | تقدم هائل وقع أثناء سنوات الأخيرة بين لغات أوربيّ واجب إلى أصلهم لاتيني عادي (*)<br>تقدم هائل وقع أثناء سنوات الأخيرة بين لغة أوربيّ واجب إلى أصلهم عاديّ لاتينيّ (**) و(***) |
| ترجمة بينغ إلى العربية | التقدم هائل الذي حدث خلال السنوات الأخيرة بين اللغات الأوروبية بسبب أصلها اللاتيني الشائعة (*) & (***)<br>التقدم هائل الذي حدث خلال السنوات الأخيرة بين اللغات الأوروبية بسبب أصلهم اللاتينية الشائعة (**) |

يلاحظ الخطأ في التمييز بين المذكر والمؤنث في الترجمة من الإنكليزية إلى العربية في ترجمتي سيستران وبينغ، بينما ترجمة جوجل عانت في مرحلة ما من الخطأ بين الرفع والنصب.

أما الترجمة من العربية إلى الإنكليزية فيلاحظ أن ترجمة سيستران لم يلاحظ عليها تغير مع الزمن إذ كانت الترجمات الثلاثة نفسها، بينما كان هناك بعض التحسن في ترجمة بينغ مع الزمن، وكذلك ترجمة جوجل التي كانت أفضل الأنظمة الثلاثة. لكن يلاحظ أن الترجمات الثلاثة تعاني من ركاكة في التعبير وعدم دقة في تبيان المقصود.

## ٧- متطلبات تطوير الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها

### ٧-١- المحللات اللغوية العربية (Arabic Parsers)

إنّ مُحلل اللغة الطبيعية هو برنامج يقوم بعملية تشبه عملية إعراب الجملة نحوياً حيث يمكنه أن يفهم أجزاء الجملة ويساعد في الترجمة باستخدام الترجمة الآلية، وقد قام العديد من الباحثين بدراسة هذا النوع من المحلّلات. وهناك حاجة للمزيد من البحث في هذا المجال.

### ٧-٢- المحللات الصّرفية (Morphological Analyzer)

يعتبر الغموض الصّرفي مصدر قلق بالنّسبة للمحللات النّحوية، وغيرها من أدوات معالجة اللغات الطبيعية. ويعطي التّحليل الصّرفي معلومات أدق حول أجزاء الكلام بحيث يختار التّحليل الأنسب لها بشكل يتوافق مع السّياق.

### ٧-٣- المُحلّلات الدّلالية

المسألة الأساسية التي يجب أن تُعالِجها أنظمة التّرجمة الآلية هي فك الغموض الذي يكتنف كثيراً من التعابير في اللغة المصدر وتحويلها إلى جمل واضحة ومفهومة بلغة الهدف. تعتبر الأنطولوجيا هي الطريقة الملائمة للقيام بكلّ ذلك بوضع مواصفات صريحة للمفاهيم.

### ٧-٤- إعادة ترتيب الجملة (خوارزميات التصحيح)

يجب أن تضمن التّرجمة الآلية دقّة ترجمة اللغة المستهدفة، سواء من العربية أو إليها. لذلك، في كلتا الحالتين، يجب التحقق من تركيب الجملة. فاللغة العربية تتضمن تراكيب مختلفة، مثلاً بحيث يحل الاستبدال التلقائي محل الجناس اللفظي وترجمته النسبية وفقاً للسياق.

## ٨- المقترحات المستقبلية

إن مسألة الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها لم تحل لحد الآن، فهناك حاجة للكثير من البحث العلمي في هذا المجال لكسب الطمأنينة للوصول إلى مستوى من الترجمة يقترب من الترجمة من قبل مترجمين من البشر. إن الحاجة إلى ترجمة أسرع وأرخص بين اللغات ستتعزز فقط بالمشاركة بين المعلومات بين الأمم. واستناداً إلى ذلك نقترح ما يأتي:

هناك حاجة لاستعمال كمية كبيرة من الذخيرة اللغوية (corpus) المتوازية (بلغتين أو أكثر) لغرض تدريب الترجمة الإحصائية للحصول على نتائج أفضل. وهو ما لا يتوافر الآن بين اللغتين الإنكليزية والعربية، حيث يجب استعمال كمية كبيرة من البيانات في كل حقل من حقول البيانات المراد الترجمة فيه. وكلما قمنا بتوليف (tuning) النموذج بشكل أفضل كانت النتائج أفضل، لذلك يجب القيام بعملية التوليف بقدر الاستطاعة. كما يجب استعمال بيانات الفحص في حقل المعلومات

المراد الترجمة فيه نفسه للحصول على نتائج أفضل. إن التكامل مع وسائل أخرى للترجمة الآلية مثل الشبكات العصبية الذكية (artificial neural networks) في عملية التعلم وعملية التدريب للحصول على نتائج أفضل –ضروري ويجب الاستمرار في البحث فيه.

كما أن من الضروري العمل على المعجم العربي الإلكتروني التشابكي بما يشبه (wordnet) حيث إن ذلك في غاية الضرورة، وما يتوافر باللغة العربية (AWordnet) لا يعتبر كافياً البتة.

هناك بالطبع حاجة إلى المزيد من الأبحاث في مجالات الصرف والنحو والأنطولوجيا وتركيب الجملة العربية.

**٩– الاستنتاجات والمقترحات**

باتت التّرجمة مُؤخراً نشاطاً تجارياً واسعاً، خاصة في ظل تسارع وتيرة النمو في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وهذا يتطلب تطوير الآلات والأدوات التي تُسهّل التواصُل بين الأطراف المُختلفة.

والتّرجمة الآلية هي واحدة من تلك الأدوات اللّازمة؛ بل إنها اعتُبرت الجُندي المَجهول في أي عملية من عمليات الاتصال. ومع ذلك، لم تُفلِح التّرجمة الآلية – حتى اللّحظة– في التفوُّق على التّرجَمة البَشرية. لكن لحُسن الحَظ، لم يتوقف البَحث العلمي في هذا المَجال، ونأمل أن تستمر مساهمته. وفي بعض الأحيان، قد تكون هناك حاجة إلى بعض الأدوات الأخرى لاستخدامها في التّرجمة الآلية، للمُساعدة في تحليل النص ومن ثم تطوير النُّصوص في اللُّغات المُستهدفة. ولا تزال هذه البحوث مُستمرّة ولن تتوقف أبداً حتى تُصبح التّرجمة الآلية مُكافئة أو أفضل من ترجمة الإنسان.

الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها إحدى الوسائل التي تكمن فيها خدمة كبيرة في نهضة الأمة وأجيالها المستقبلية لأن اللغة العربية اليوم ليست هي اللغة

العالمية للعلوم والتقنية، فما يصدر في اللغات الأخرى –وخاصة الإنكليزية– من أبحاث ودراسات وكتب ومؤلفات أخرى يحتاج للترجمة إلى اللغة العربية. لذلك فإن تطوير الترجمة الآلية من الإنكليزية إلى العربية يعتبر من أولى الأولويات في نهضة الأمة العربية. كما أن اللغات التي يتكلم بها المسلمون بحاجة إلى التراث العربي الإسلامي غير المتوافر في تلك اللغات وهناك حاجة ماسة لترجمته. لذلك فالترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها ليست من الكماليات بل هي من الضرورات القصوى لنهضة الأمة وعودتها لمكانتها بين الأمم. وأول ما تحتاج إليه الترجمة الآلية هو وجود معجم عربي محوسب وتكوين ذخيرة متعددة اللغات مع العربية لتساعد في الترجمة الآلية المستندة إلى الإحصاء وما يتعلق بها من ترجمة هجينية، بدعم الأبحاث اللغوية المتعلقة بالترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها. ولغرض الوصول إلى ذلك هناك حاجة إلى القيام بحملة توعية للقيادات السياسية والعلمية والجهات الداعمة للبحث العلمي بأهمية البحث العلمي في حوسبة اللغة العربية من قبل المجامع اللغوية العربية وأقسام الحاسوب واللغة العربية واللسانيات في الجامعات العربية ومراكز البحث العلمي، كما ينبغي توجيه الأبحاث نحو التطبيق العملي وتكوين قيادات بحثية في أقسام اللغة العربية ذات خلفية حاسوبية جيدة وفي أقسام الحاسوب ذات خلفيات جيدة باللغة العربية لكي يكون التواصل والبحث العلمي على أتم وجه. لذلك يقع على كاهل مراكز الأبحاث والجهات الداعمة لها تكوين موارد لغوية مفتوحة المصدر ومشاع استعمالها من ذخيرة لغوية متعددة اللغات ومعاجم لغوية إلكترونية وتطوير برامج الصرف والتشكيل الآلي وتوليد الكلام وغيرها خدمة للترجمة الآلية، هذا بالإضافة لما يقع على كاهل شركات أنظمة معالجة البيانات من تطوير للبرمجيات وتحويلها إلى تطبيقات عملية.

**١٠- المراجع:**


**١- محمد زكي خضر: الترجمة الآلية من العربية وإليها، الحرف العربي والتقنية- أبحاث في الحوسبة العربية- مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ٢٠١٤.**

٢- Nabeel T. Alsohybe, NeamaAbdulazizDahan and FadlMutaher Ba-Alwi، **Machine-Translation History and Evolution: Survey for Arabic-English Translations**، Current Journal of Applied Science and Technology, 23(4): 1-19, 2017; Article no.CJAST.36124

٣- https://ocw.mit.edu/courses/translated-courses/traditional-chinese

**٤- محمد زكي خضر، الترجمة الآلية إلى اللغة العربية ضرورة ملحة- المؤتمر الدولي السابع للغة العربية- دبي ١٩-٢٢ أبريل ٢٠١٨.**

٥- Hassan Sawaf, Braddock Gaskill, Michael Veronis, ***Hybrid Machine Translation Applied to Media Monitoring***، *Proceedings of the Eighth Conference of the Association for Machine Translation in the Americas, Waikiki, Hawai'i, USA, 21-25 October 2008*

# الترجمـــة الآليـــة

**الأستاذ الدكتور عبدالمجيد نصير**

**أستاذ الشرف - جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية**

**مجمع اللغة العربية الأردني**

**الثلاثاء ٤ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ – الموافق ١١ كانون الأول ٢٠١٨م**

## المُلَخَّص

ناقشنا في هذه المقالة الترجمة الآلية تاريخاً وموضوعاً وأنواعاً، مع مقارنات وتوضيحات. وشرحنا أهمية هذه الترجمة في عصر انفجار المعلومات، والحاجة الماسة إلى التواصل السريع بين الدول والشعوب والثقافات، وبخاصة مع كثرة اللغات البشرية، واعتماد ست منها، اللغة العربية إحداها، في الأمم المتحدة لغات رسمية.

وقد دلنا تاريخ الترجمة الآلية على التطور السريع في طرق الترجمة، وعلاقة ذلك بالذكاء الاصطناعي وعلم اللغويات. ومع أن الترجمات الآلية لا تزال في حاجة إلى التطور والتقدم، فإن ذلك يشكل حافزاً وتحدياً. وبما أن المستوى المطلوب هو ترجمة آلية على مستوى الترجمة البشرية، فإن ميدان السبق مفتوح. والدول المتقدمة سخية بالإنفاق، وكذلك الشركات الكبرى. وننوه هنا بما قامت به شركتا جوجل ومايكروسوفت.

وعرجنا في هذه المقالة على الترجمة من العربية وإليها. ووجدنا أن البحوث والطرق في هذا الميدان كثيرة؛ وبخاصة أن بنية اللغة العربية تختلف اختلافات كثيرة في بنيتها عن اللغات الأوربية. لكن المساهمات الرسمية في هذا الميدان قليلة، وكذلك التمويل الرسمي ضعيف، على عكس ما في الدول المتقدمة. ولا نعرف معهداً أو مؤسسة رسمية تابعة لدولة أو جامعة رسمية. وتبقى البحوث الجامعية فردية مبعثرة دون خيط ينظمها.

**المقدمة:**

**الترجمة**، بشكل عام، هي نقل نص من لغة (تسمى لغة المصدر) إلى لغة أخرى (تسمى لغة الهدف). وهي بذاك قديمة قدم وجود لغتين مختلفتين، وحاجة المتكلمين فيهما إلى التواصل اللفظي. أما **المعالجة الآلية للغة** فهي علم يهتم بمعالجة اللغة بوساطة الحاسوب، بطرق علمية سداها خوارزميات. ولذلك، فهي تزاوج بين علمي اللغة والحوسبة. وينتمي هذا العلم إلى مجموعة العلوم الإدراكية، بتداخله مع الذكاء الاصطناعي. كما أن **الترجمة الآلية** هي فرع من فروع المعالجة الآلية للغة، تهتم بترجمة لغة إلى لغة أخرى، باستعمال الحاسوب.

ويتم ذلك بالانتقال من شكل لغة المصدر إلى شكل لغة الهدف، عبر البنية الدلالية. وتحتاج الترجمة البنيوية في أبنيتها وتركيباتها ودلالاتها المعجمية إلى شكل لغة الهدف، بخصوصياتها البنيوية في أبنيتها وتركيباتها ودلالاتها المعجمية التي قد تقترب أو تبتعد من لغة المصدر. والحاجة إلى الترجمة تتضاعف يوماً بعد يوم، بسبب كثرة اللغات، وما يعبر فيها، وسهولة التواصل العالمي بين الدول والأقوام والمجتمعات المختلفة. إضافة إلى ما هو موجود أو ما قد يوجد من مؤسسات عالمية أو إقليمية، أو حتى في البلد الواحد الذي فيه تسود أكثر من لغة[١].

ويمكن أن ندرك ذاك أكثر إذا علمنا:

* عدد اللغات المستعملة في العالم يتجاوز ٦٥٠٠. على أن منها زهاء ٣٠٠٠ لغة عدد الناطقين بها أقل من ١٠٠٠٠ شخص.

* عدد اللغات المهددة بالانقراض ينوف على ٢٥٠٠ لغة، انقرض منها أكثر من ٢٠٠ لغة في غضون الأجيال الثلاثة الأخيرة.

* ٧٥% من سكان المعمورة يستعملون ٥ لغات، و٢٠% يستعملون ٤٠٠ لغة، و٥% يستعملون ٦٠٠٠ لغة[٢].

ويظهر الجدول التالي أهم اللغات وترتيبها:

| الترتيب | اللغة | عدد المستعملين |
|---|---|---|
| ١ | الصينية– جميع اللهجات | ١٠٣٦ |
| ٢ | الإنجليزية | ٦١٨ |
| ٣ | الهندي/ الأوردو | ٤٨٧ |
| ٤ | العربية | ٤٢٢ |
| ٥ | الإسبانية | ٣٧٦ |
| ٦ | الروسية | ٢٧٨ |
| ٧ | الإندونيسية | ٢٣٤ |
| ٨ | الفرنسية | ٢١٣ |
| ٩ | البنغالية | ٢٠٧ |
| ١٠ | البرتغالية | ٢٠٣ |
| ١١ | اليابانية | ١٢٧ |
| ١٢ | الألمانية | ٩١ |

وبالنسبة إلى **عدد المستخدمين للغات على الشابكة**، فإنه ما يأتي (٢٠١٦):

| اللغة | عدد المستعملين | النسبة العالمية |
|---|---|---|
| الإنجليزية | ٩٤٨,٦ | %٢٦,٣ |
| الصينية | ٧٥١,٩ | %٢٠,٨ |
| الإسبانية | ٢٧٧,١ | %٧,٧ |
| العربية | ١٦٨,٤ | %٤,٧ |

وبالنسبة **لعدد المقالات المنشورة في موسوعة ويكيبيديا** فإن **العربية لا توجد** في قائمة العشرين الأوائل[٣]. وبالنسبة إلى **نشاط الترجمة العالمية**، فإن العربية ليست من أعلاها. إذ تستأثر الإنجليزية بنسبة ٤٩%، وبعدها الفرنسية بنسبة ١١%، ثم الألمانية والروسية بنسبة ٩% لكل منهما. والباقي ٢٢% لكل اللغات الأخرى.

ويبين الجدول التالي عدد المداخل في ستة معاجم عربية أحادية اللغة، من المعاجم متوسطة الحجم وكبيرة الحجم؛ إضافة إلى معجمين إنجليزيين شهيرين، ومعجمين ثنائيي اللغة:

| المعجم | عدد المداخل بالألوف |
|---|---|
| المعجم العربي الأساسي | ٢٥ |
| المعجم الوسيط | ٣٠ |
| معجم اللغة العربية المعاصرة | ٣٢ |
| معجم الصحاح | ٤٠ |
| القاموس المحيط | ٦٠ |

| | |
|---|---|
| لسان العرب | ٨٠ |
| Oxford | ٥٠ |
| Longman | ٥٥ |
| المغني الأكبر | ٢٠٠ |
| المورد الأكبر | ٢٥٠[٤] |

أما بالنسبة إلى عدد المفردات في عدد من اللغات فهو:

العربية ١٢,٣٠٢,٩١٢؛ الإنجليزية ٦٠٠,٠٠٠؛ الفرنسية ١٥٠,٠٠٠؛ الروسية ١٣٠,٠٠٠.

ونذكر ثلاثة أنواع من الترجمة: **الترجمة الحرفية**، وفيها يعمد المترجم إلى نقل الكلمات من لغة المصدر إلى لغة الهدف، كلمة كلمة، دون الاهتمام إلى الاختلاف الدلالي بين اللغتين. **والترجمة المعنوية**، وفيها يعمد المترجم إلى فهم نص المصدر، ثم ينقله إلى لغة الهدف بالمعنى الذي فهمه. ونجد مثل ذلك في ترجمة القرآن الكريم. فإن مترجميه يدعون أنهم يترجمون معاني الآيات كما فهموها. ولهذا نجد اختلافات في ترجمة النص، كبيرة أو صغيرة اعتماداً على ما فهمه المترجم. والنوع الثالث هو **الترجمة الاتصالية**، وفيها يتعرف المترجم إلى هدف المؤلف، فيعبر عنه بأسلوب مماثل في لغة الهدف[٥].

وبالنسبة إلى القائم على الترجمة، فالترجمة ثلاثة أنواع: **ترجمة بشرية**، وهي التي يقوم بها شخص أو أكثر. **وترجمة آلية**، باستخدام الحاسوب، عن طريق برامج

حاسوبية خاصة، أو أجهزة معدة لذلك، أو **طرق هجينة** فيها برامج حاسوبية وتدخل بشري مهم.

وتحتاج الترجمة الآلية أحياناً إلى **تحرير سابق**، وفيه يقوم المترجم البشري على إعداد النص من مفردات وتراكيب محددة تمهيداً للترجمة الحاسوبية، وبخاصة عندما لا يستطيع برنامج الترجمة أن يميز بين أنواع الكلمات. وقد يحتاج إلى **تحرير لاحق**، إذ يقرأ المترجم البشري النص المترجم من الحاسوب، ويحرره من الأخطاء إن وجدت في المفردات أو التراكيب أو البنية. ويوجد **تحرير تفاعلي**، ويعني ذلك أن يجلس المترجم إلى الحاسوب، ويتبادل معه الخيارات ليصل إلى أفضل صيغة مترجمة. ومن ناحية اختصار الجهد والوقت، فإن التحرير اللاحق هو الأنسب[٦].

ولا شك في أن فوائد الترجمة الآلية واضحة، وأهمها توفير الجهد والمال؛ فقدرة المترجم البشري على العمل المتواصل محدودة، لا تقارن بقدرة الحاسوب الذي لا يعرف الكلل أو الملل. كما أن تكلفة الترجمة الآلية صغيرة جداً مقارنة بتكلفة الترجمة البشرية. إضافة إلى أن المترجم الآلي حيادي، لا يعرف المحسوبية أو الانحياز مع الهوى. ومن البيّن أننا في عصر الانفجار المعرفي، والحاجة الماسة للترجمة بين اللغات، لا نستطيع أن نستغني عن الترجمة الآلية.

كما يمكن تقسيم الترجمة الآلية من حيث الأهداف إلى:

١- **الترجمة الآلية للراصد:** وفيها يكتفي القارئ بالوصول إلى معلومات مكتوبة بلغة أجنبية، وبمراجعة بسيطة يحصل على ترجمة متواضعة أو سطحية مباشرة.

٢- **الترجمة الآلية للمنقِّح:** وتهدف إلى إنتاج ترجمة آلية، يقوم فيها المترجم المحترف بمراجعة النص وتنقيحه. وهذه الترجمة تعتمد إحدى طرق التحرير المذكورة آنفاً.

٣- **الترجمة الآلية للمترجم:** وهذه تتطلع إلى مساعدة المترجم لتزويده بالقواميس والموسوعات وذاكرة الترجمة للعبارات الاصطلاحية. وهنا لا يقوم البرنامج بالترجمة الفعلية، بل بمساعدة المترجم إلى الوصول إلى ترجمة جيدة.

٤- **الترجمة الآلية للمؤلَّف:** وتمكن هذه المؤلف أحادي اللغة الحصول على نصوص مترجمة من لغة أخرى، بمستوًى مرضٍ دون مراجعة. ويتم فيها محاورة المؤلف بلغته الأم لمعرفة قصده من عبارة أو تركيب ما، إلى أن يظهر النص في اللغة الأخرى.

**حول أهداف الترجمة وصعوباتها**

لا تهدف أكثر الترجمات الآلية في العالم إلى ترجمة نصوص أدبية راقية أو ذات مستوًى ثقافي رفيع. إذ إن أكثر ترجمات المحترفين مسخرة لتلبية الطلب الشديد المتنامي لنصوص علمية، ووثائق تقنية، وتعاملات تجارية، وكتب تعليمات، وكتب تدريسية ذات محتوًى زراعي أو طبي، وبراءات اختراع صناعية، ومطويات عامة، وتقارير إعلامية، وما إلى ذلك. والترجمة في عدد من هذه الميادين فيها كثير من التحدي. على أن كثيراً من الترجمات فيها تكرار وتعب، وإن ظل المطلوب ترجمة دقيقة متسقة. ويزداد الطلب على هذه الميادين بما يتجاوز قدرات الترجمة المحترفة. ولهذا لا بد من الاستعانة بالحواسيب. وتقاس فائدة أي ترجمة آلية بجودة المخرج فيها. وهذا مفهوم فيه غموض ويصعب تحديده بدقة؛ إذ إن ذاك يعتمد على الظروف

والمقصود بالترجمة. وتبقى معايير الصدق والدقة والمفهومية والأسلوب المناسب معايير غير موضوعية بشكل عام. وما يهم بالنسبة إلى الترجمة الآلية هو كم نحتاج إلى تعديلات على النص المترجم آلياً ليكون مقبولاً لدى القارئ البشري. وهذا يفرض على الباحثين والمطورين لبرامج الترجمة الآلية أن يطمحوا للوصول إلى ترجمات مفيدة في ظرف معين. ويبقى المعيار البشري هو المعيار الأعلى لقياس دقة أي ترجمة آلية.

إن الترجمة الآلية جزء من ميدان أوسع في البحث المحض المختص بمعالجة حوسبية للغات الطبيعية، وهو "**اللغويات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي**"؛ الذي يهتم باكتشاف الآليات الأساسية للغة والتفكير، باستعمال النمذجة والمحاكاة في البرامج الحاسوبية. وتقترب الترجمة الآلية كثيراً من هذه الجهود، باختيار وتطبيق للمناحي النظرية والتقنيات العملياتية لمراحل الترجمة؛ مما يوفر نظرات عميقة وحلولاً لمشكلات معينة. إضافة إلى أن الترجمة الآلية قد توفر فرشة اختبار على مدى واسع لكثير من النظريات والتقنيات المطورة من تجارب ذات مدى ضيق في اللغويات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي.

على أن أهم الصعوبات والمعيقات في الترجمة الآلية لم تكن حاسوبية بل لغوية. وهي صعوبات تتعلق بالغموض المعجمي، والتعقيدات النحوية، واختلاف الألفاظ بين اللغات، والتعابير المقعرة أو غير المعتادة، أو استخلاص "معاني" عبارات ونصوص ناتجة من تحليل إشارات، وأو وضعها في شكل رمزي من لغة الهدف. ولذلك، تعتمد الترجمة الآلية كثيراً، على التقدم في البحوث اللغوية، وبخاصة تلك التي تظهر

درجات عالية من التعامل الرسمي (formalization)، وتبقى كذلك. لكن الترجمة الآلية لا يمكنها تطبيق النظريات اللغوية مباشرة، لأن هذه مهتمة بتفسير الآليات الأساسية لإنتاج اللغة والاستيعاب. وتركز على الملامح الحاسمة، ولا تحاول تفسير كل شيء. بينما، في المقابل، تتعامل مع نصوص واقعية. وبهذا، تواجه مدًى واسعاً من الظاهر اللغوية، وتعقيدات المصطلح، وأخطاء التهجئة الخاطئة، والمستحدثات (neologisms)، ومناحي من الإنجاز، التي قد لا تكون في صميم الاهتمامات اللغويات النظرية المجردة.

وهذا يعني أن الترجمة الآلية ليست حقلاً مستقلاً في البحث المحض. فهي تستمد من اللغويات وعلم الحاسوب والذكاء الاصطناعي ونظريات الترجمة كل ما يمكن الاستفادة منه من طرق وتقنيات لتطوير أنظمتها وتحسينها. فهي، حقيقة، بحث تطبيقي، لكنها بنت هيكلاً مهماً من تقنيات ومفاهيم يمكن تطبيقها في ميادين أخرى تتعلق بعمليات لغة الحاسوب[٨].

**تعريفات**

نقدم تعريفات لمصطلحات تتعلق بالترجمة الآلية وما يتعلق بها.

**الترجمة الآلية** (Machine Translation): كما ذكرنا تعني الأنظمة الحاسوبية التي تنتج ترجمات من لغة إلى أخرى، بعون بشري، أو بدونه. ولا يعني هذا أدوات الترجمة التي أساسها حاسوبي، الداعمة للمترجمين مثل المعاجم، وقواعد البيانات المتعلقة بالمصطلحات، ميسرا نقل نصوص قابلة للقراءة آلياً وقبولها، أو تتفاعل مع معالجة الكلمات، أو تحرير النصوص، أو عدة الطباعة. على أنها تشمل

الأنظمة التي بها يساعد المترجمون أو المتعاملون الحاسوب للقيام بالترجمات، بما فيه إعداد النصوص، والتفاعل المباشر (online) والمراجعات التالية للمخرجات. ولا تتضح الحدود بين "الترجمة الآلية المعانة بشرياً (MAHT)" و"الترجمة البشرية المعانة حاسوبياً (HAMT)". كذلك، فإن المصطلح "الترجمة المعانة حاسوبياً (CAT)" يمكن أن يشمل كليهما. لكن لب الترجمة الآلية هو الأتمتة التامة لعمليات الترجمة.

وبما أنه، في أغلب الأحيان تكون الترجمة المثلى هي المطلوبة، فإنه لا بد من التحرير اللاحق. وحتى الترجمة البشرية، قد تحتاج إلى تحرير لاحق. على أن أخطاء الترجمة الآلية تختلف عن أخطاء الترجمة البشرية. وقد نرضى بالترجمة الآلية باعتبار أنها ترجمة خام يقصد بها المختصون في موضوع النص المترجم. كما أن بالإمكان تحسين الترجمة الآلية عن طريق تحسين طرقها، وكذلك بفرض بعض القيود على المدخلات. وقد يصمم نظام الترجمة ليتعامل مع "**لغة جزئية**" (Sublanguage)، معنية بالمفردات والقواعد، لميدان ما (مثل موضوع كيميائي أو براءة اختراع). ويمكن أن تترجم بعض النصوص إلى **لغة مضبوطة** (Controlled Language)، وهي التي تزيل ما في النص من غموض، وتبتعد عن تعقيدات التراكيب. وهذا يتبع ما سميناه التحرير السابق. كما يمكن للنظام أن يطبق حالة التفاعل بين الإنسان والآلة.

ويمكن تصميم أنظمة الترجمة لتتعامل مع لغتين أو أكثر، وتسمى **ثنائية اللغة** (Bilingual)، أو أكثر من ذلك، وتسمى **متعددة اللغات** (Multilingual)؛ وقد يكون ذلك **أحادي- الاتجاه** (Uni-directional)، أو **ثنائية الاتجاه** (Bi-directional)، حيث تكون فيه الترجمة في كلا الاتجاهين. كما أنه يمكن تصنيف نظم الترجمة في

ثلاثة: **الترجمة المباشرة** (Direct Translation)، وهو الأقدم تاريخياً؛ وتكون الترجمة فيه من لغة إلى أخرى دون أي وسائط، أي من لغة المصدر إلى لغة الهدف. ويجري تحليل بسيط لنصوص لغة المصدر. والنوع الثاني ما يسمى **اللغة الوسيطة** (Interlingua)، وهنا يتم ترجمة المعاني. وتكون الترجمة على مرحلتين: من لغة المصدر إلى اللغة الوسيطة، ثم من اللغة الوسيطة إلى لغة الهدف. وتكون برامج التحليل مستقلة عن برامج التوليد، ولكنْ بينهما ارتباط في حال تعدد اللغات. والنوع الثالث ذو **أسلوب تحويلي** (Transfer)؛ وتتم فيه الترجمة على ثلاث مراحل: في الأولى، يصير تحويل النصوص إلى صيغ متوسطة، تكون خالية من الغموض في لغة المصدر. وفي المرحلة الثانية، تحول الصيغ المتوسطة إلى صيغ تمثيلية في لغة الهدف. وفي المرحلة الثالثة، يجري تحويل هذه الصيغ المتوسطة إلى نصوص في لغة الهدف. وتكون برامج التحليل والتوليد خاصة بهاتين اللغتين. وتعالج اختلافات المفردات والتراكيب في المرحلة المتوسطة.

وفي مراحل التحليل والتوليد، تظهر أكثر أنظمة الترجمة الآلية، أساليب منفصلة للتعامل مع المستويات المختلفة للوصف اللغوي: الشكلي (morphological) والنحوي (syntactic) والدلالي (semantics). ويمكن تقسيم كل من الجزء التحليلي والتوليدي إلى هذه المستويات الثلاث[٩].

**موجز تاريخ الترجمة الآلية**

يرجع بعض الباحثين تاريخ الترجمة الآلية إلى القرن السابع عشر، عندما فكر ديكارت ولايبنتز بعمل معاجم تعتمد كودات رقمية. وقد نشر كيف بك ( Cave Beck) وأثاناسيوس كيرشر thanasius Kircher ويوهان بكر Johann (Becher) أمثلة في منتصف ذلك القرن. وكان المبتغى لغة عالمية مؤسسة على قواعد منطقية ورموز أيقونية، خالية من الغموض، يتواصل بها البشر جميعاً. وقد طور بكر، وهو كيميائي، سنة ١٦٦١ منظومة يمكن أن تعد الخطوة الأولى في الترجمة الآلية، سماها "الأشكال لكتابة لغة عامية"، وفيها قدم "اختراع لغوي سري غير معروف الذي يعين كل واحد ليشرح ويفهم لغات مختلفة، بل وكل اللغات، بعد يوم واحد من التوجيه بالقراءة في لغاتهم الخاصة". وهو توجه مبني على معاجم يرتبط بعضها ببعض بكودات عددية. كما أن جون ولكنز (John Wilkins) نشر سنة ١٦٦٨ فكرته بمقال عنوانه "مقالة نحو لغة ذات شكل حقيقي فلسفي". وقد اقترحت لغة (اسبرنتو) فيما بعد لتكون لغة عالمية، ولم يكتب لها النجاح.

وقد سجلت سنة ١٩٣٣ براءتا اختراع بشكل مستقل: واحدة في فرنسا وضعها جورج أرتسروني (George Artrsrouni) الذي صمم جهاز خزن من شريط ورقي، ويمكن استعماله لإيجاد الكلمة المقابلة لكلمة ما في لغة أخرى. وقد صُنع نموذج له سنة ١٩٣٧. والبراءة الثانية هي للروسي بطرس سكيرنوف–ترويانسكي ( Peter Smirnov–Troyanskii) الذي تصور ثلاث مراحل للترجمة الآلية: الأولى، وهي الأهم، فيها يقوم محرر لا يعرف إلا لغة المصدر بالتحليل المنطقي للكلمات إلى

صيغها الأساسية، ووظائفها النحوية. وفي المرحلة الثانية، تقوم الآلة بتحويل هذه الصيغ والوظائف إلى ما يعادلها من صيغ ووظائف في لغة الهدف. وفي المرحلة الثالثة، يقوم محرر لا يعرف إلا لغة الهدف، بتحويل هذه الصيغ والوظائف الأخيرة إلى صيغ مقبولة في لغة الهدف. ومن الواضح، أن ترويانسكي كان سابقاً لزمانه. إذ إنه بعد ذلك بسنوات قلال، ظهرت إمكانية استعمال الحواسيب للترجمة على يد وارن ويفر (Warren Weaver) من مؤسسة روكفلر وأندرو بوذ (Andrew Booth)، وهو بريطاني مختص بالبلورات. كما تعتبر الرسائل المتبادلة بينهما تاريخ ولادة الترجمة الآلية. وقد كتب ويفر لبوذ (١٩٥٥):

"[...] إنه من المغري جداً أن كتاباً كُتب باللغة الصينية هو، ببساطة، مكتوب بالإنجليزية مرمزاً بكود صيني. وإذا كنا نمتلك حلول كل المسائل المشفرة تقريباً، أليس أنه بالتأويل المناسب يمكن إيجاد طرق مفيدة للترجمة".

وفي لندن، تعاون بوذ مع ريشارد ريشنز (Richard Richens) (من جامعة كامبردج) الذي استعمل البطاقات المثقبة لإنتاج ترجمة كلمة بكلمة في الملخصات العلمية. كما كانت مذكرة من ويفر في تموز ١٩٤٩ التي أشهرت فكرة الترجمة الآلية للعامة، واقترحت طرقاً استعملت في الحرب العالمية الثانية مثل فك التعميات والتحليل الإحصائي، ونظرية شانون للمعلومات، واستكشاف المنطق والملامح العالمية للغة. كما يعتبر فك رموز الشيفرة الألمانية "إنيجما" (ENIGMA)، من قبل آلان تورنج (Alan Turing) وفريقه باستعمال وسائل إحصائية، استخدمت فيها الآلات الحاسبة، التمهيد الأول في القرن العشرين لأسس الترجمة الآلية. وفي غضون سنوات، بدأت

البحوث في الترجمة الآلية تجرى في عدة مراكز في الولايات المتحدة الأمريكية. وأول من عين باحثاً في هذا الموضوع كان يهوشوا بار-هلل Yehoshua Bar-Hillel، في معهد ماساتشوتس التكنولوجي (م م ت) سنة ١٩٥١. وبعد سنة، عقد هذا الباحث أول مؤتمر للترجمة الآلية؛ وفيه وُضّحت الخطوط العامة للبحث المستقبلي. ووضعت اقتراحات للتعامل مع النحو، وأن تكتب النصوص بلغات مضبوطة، مع نقاشات حول تركيب نظم للغات جزئية، والحاجة إلى تدخل بشري (تحرير سابق ولاحق)، من أجل الوصول إلى ترجمة آلية تامة. وأثار البعض مشكلة الجدوى التقنية. وبعدها، قام ليون دوستيرت (Leon Dostert) من جامعة جورجتاون بالتشارك مع شركة آي بي أم (IBM) بالانخراط في مشروع، أنتج أول عرض عام للترجمة الآلية في كانون الثاني سنة ١٩٥٤. وفيه تمت الترجمة لكلمات مختارة من الروسية إلى الإنجليزية، باستخدام قاعدة من ٢٥٠ كلمة وست قواعد نحوية. ومع أن قيمة ذلك علمياً كانت غير مهمة، إلا أنه ولد اهتماماً بالموضوع أدى إلى تمويل وافر للبحوث في الولايات المتحدة، وأن يلهم آخرين ليبدأوا البحوث في الترجمة الآلية، وبخاصة في الاتحاد السوفيتي.

وعلى مدى العقد التالي نشطت مجموعات عديدة: بعضها عمل بطريقة التجربة والخطأ؛ وآخرون اتبعوا نهج البحوث النظرية، بما فيها الأساسيات اللغوية، من أجل الوصول إلى حلول بعيدة المدى. وانخرطت في هذا المجال مؤسسات مختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا. وكان أكبرها مجموعة جامعة جورجتاون، التي يعد اليوم نظامها للترجمة بين الإنجليزية والروسية النموذج الأفضل للجيل الأول في بحوث الترجمة الآلية. وكان لكثير من هذه البحوث أثرها الدائم في الترجمة الآلية، بل وفي اللغويات الحاسوبية والذكاء

الاصطناعي، ما أدى إلى معاجم إلكترونية، وإلى تحليلات صرفية، وإلى إسهامات مهمة في النظرية اللغوية. ومع أن التفاؤل كان عالياً، إلا أن ما نتج من أنظمة قادرة على إنتاج ترجمات جيدة لم يتحقق. ومع الوقت قويت التعقيدات اللغوية؛ وهو ما أدى بالباحث بار– هلل إلى مراجعة سنة ١٩٦٠، انتقد فيها الفرضيات القائمة من حيث إن هدف الترجمة الآلية هو خلق أنظمة ترجمة أوتوماتية ذات مستوى عال، تؤدي إلى نصوص لا تختلف عن تلك التي يقوم بها العنصر البشري. وناقش أنه لا يمكن تخطي "الحواجز الدلالية" إلا بإدخال مقادير ضخمة من المعرفة الموسوعية من العالم الحقيقي. ولذلك، أوصى أن يكون طموح الترجمة الآلية الوصول إلى أنظمة تجعل التفاعل البشري مع الآلة ذا جدوى اقتصادية.

ثم ألفت جهات الحكومة الأمريكية الداعمة للترجمة البشرية سنة ١٩٦٤ "اللجنة الاستشارية للمعالجة الأوتوماتية للغة" (ALPAC)، لفحص التطلعات. وكان تقريرها سلبياً؛ إذ ذكر أن الترجمة الآلية بطيئة، وأقل دقة، وتكلف ضعف تكلفة الترجمة البشرية. وأنه لا حاجة للمزيد في الإنفاق على الترجمة الآلية. وأوصت بالمقابل بتطوير المعينات على الترجمة، مثل المعاجم الأوتوماتية، كما أوصت بدعم البحوث في اللغويات الحاسوبية. على أن هذا التقرير قد رفض من عدة جهات، واتهم بأنه ضيق العطن، ومتحيز وقصير النظر. ومع ذلك، فإن هذا التقرير أدى إلى إنهاء فعلي للبحث في الترجمة الآلية في الولايات المتحدة لما يزيد على عقد من السنوات، كما أثر في التصور الجماهيري لها لمدة طويلة.

وعلى هذا، فإن بحوث الترجمة الآلية تركزت خارج الولايات المتحدة، وبخاصة في كندا وأوربا، بسبب الثنائية اللغوية في كندا (الإنجليزية والفرنسية)، بينما السوق الأوربية المشتركة كانت تتطلب ترجمات لنصوص مختلفة من علمية واقتصادية وتقنية وإدارية وتشريعية. ففي مونتريال (كندا)، لم تنجح المجموعة البحثية في بناء منظومة إنجليزية– فرنسية كبيرة لترجمة كتب التعليمات للطائرات، لكنها نجحت في خلق منظومة "لغة جزئية" سنة ١٩٧٦، سميت ميتيو (METEO)، من أجل ترجمة تقارير الطقس للنشر اليومي. كما أن السوق الأوربية المشتركة أدخلت سنة ١٩٧٦ نظام سيستران (SYSTRAN)، للترجمة بين الإنجليزية والفرنسية. وهو نظام طوره بيتر توما (طعمة)، أحد أعضاء فريق جامعة جورجتاون، للترجمة بين الإنجليزية والروسية لمصلحة القوات الجوية الأمريكية، منذ سنة ١٩٧٠. وأدى ذلك إلى ضخ الأموال لدعم بحوث الترجمة بين عدة لغات، مستفيداً من التقدم في الترجمة الآلية واللغويات الحاسوبية. وسمي هذا مشروع يوروترا (EUROTRA).

وقد يكون أهم تطور في الترجمة الآلية في العقد الأخير هو ظهور أنظمة تجارية. وقد نزلت إلى الميدان الشركات الإلكترونية اليابانية وغيرها. كما طورت أنظمة ترجمة خاصة بمطوريها، أو بمن طُورت له. كما أن كثيراً من أنظمة سيستران فُصلت على قدر مستعمليها. وأكثر هذه الأنظمة تعتمد التحرير اللاحق لإنتاج ترجمات مقبولة. كما أن التحرير السابق شائع أيضاً؛ وذلك لتمييز حدود الكلمات، أو مدى الجمل وأشباه الجمل؛ أو يصاغ النص المطلوبة ترجمته بلغة إنجليزية مضبوطة. والترجمة الآلية اليوم شائعة وتستعمل على نطاق واسع.

وقد بدأت الترجمة الآلية على الشابكة بنظام سيستران، خدمة مجانية، بترجمة نصوص قصيرة (١٩٩٦). وتبع ذلك نظام (AltaVista Babelfish)؛ ثم كثرت النظم إلى حد ما. من ذلك نظام (Moses)، الذي استعمل للرسائل القصيرة على الهواتف النقالة في اليابان (٢٠٠٨). كما طورت جوجل نظام ( Google Translate). ومنذ أوائل ٢٠١٠ سمحت تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي الجديدة والشبكات العصبية العميقة بالتعرف على الصوت للوصول إلى مستوى جودة أدى بفريق مترجم ميكروسوفت إلى أن يجمع بين التعرف على الصوت وتكنولوجيا الترجمة النصية. وهكذا انطلقت تكنولوجيا الترجمة الصوتية الجديدة. ومترجم ميكروسوفت للنص والصوت هو جزء من مجموعة الخدمات المعرفية لِـ( An Application Programming Interface (API). وهو متاح للعملاء منذ ٢٠١١، لترجمة النص، ومنذ ٢٠١٤ لترجمة الصوت ابتداء من سكايب منذ سنة ٢٠١٤؛ كما هو متاح للعملاء منذ ٢٠١٦ بوصفه خدمة (API) مفتوحة مع وجود التطبيق في أنظمة (Android, IOS, Windows)[١٠].

**طرائق الترجمة الآلية**

تطورت طرائق الترجمة الآلية مع الزمن؛ فمن طرق بسيطة مباشرة غير فعالة، إلى طرق متقدمة قابلة للتطبيق الواسع. ويمكن إجمال هذه الطرق في ثلاث:

### ١- ترجمة آلية تعتمد القواعد (ت آ ع ق)
### Rule-Based Machine Translation (RMBT)

وهي ترجمة طورت منذ عقود، وكانت أول أسلوب عملي للترجمة الآلية، وتعتبر كلاسيكية. لكنها مطبقة في الحلول التجارية إلى حد ما. وتقوم على (إعراب) عبارة ما في لغة المصدر، وتحديد كلماتها، وتحليل تركيبها، ثم تحويل ذلك إلى لغة الهدف، بالاستفادة من قواعد مرمزة، تحدد بشرياً من قبل مختصين لغويين. وهذه القواعد تحدد التناظر التراكيبي بين لغة المصدر ولغة الهدف. أي توجد ما يمكن أن يكون وسيطاً رمزياً بينهما. وتحوي هذه الطريقة ثلاثة نماذج (paradigms): **ترجمة آلية تحويلية القواعد (Transfer-Based)، وترجمة الإشارات اللغوية (Interlingual)، وترجمة آلية معجمية القواعد (Dictionary-Based)**. وأكثر ما تستخدم هذه الترجمة في عمل المعاجم وبرامج النحو والصرف. كما تفيد في ترجمة نصوص كبيرة دون الحاجة إلى نصوص كبيرة ثنائية اللغة، كما في حال الترجمة الإحصائية. ومن عيوبها حاجتها لوقت وجهد بشري كبيرين؛ كما أن القواعد المرمزة بشرياً قد لا تكون كافية لتشمل كل الظواهر اللغوية الممكنة، وقد تتعارض مع قواعد واقعية موجودة في النص.

وبالنسبة إلى **الترجمة الآلية تحويلية القواعد**، فهي شبيهة بتلك التي تعتمد الإشارات اللغوية، من حيث أنها تولد تمثيلاً وسيطاً محاكياً للغة نص المصدر. وتختلف عنها في أنها تعتمد جزئياً على الزوج اللفظي المختص بالترجمة.

وفي الترجمة الآلية ذات الإشارات اللغوية، يحول نص المصدر إلى إشارات لغوية، أي تمثيل بلغة حيادية مستقل عن أي لغة. ثم يتم استخراج النص الهدف من اللغة الوسيطة. ومن فوائد هذه الطريقة، أن الإشارات اللغوية تصير أكثر أهمية مع عدد لغات المصدر المطلوب الترجمة إليها. إلا أنه من الناحية العملية، لم يتم تطوير إلا لغة إشارات لغوية واحدة تسمى كانت (KANT) سنة ١٩٩٢، استخدمت لترجمة كتاب التعليمات لكاتربلر من اللغة الإنجليزية إلى لغات أخرى.

وأخيراً، فإن **الترجمة الآلية التي تعتمد المعاجم**، تقوم على ترجمة الكلمات من لغة إلى أخرى كما هي في المعاجم.

**٢- الترجمة الآلية الإحصائية (تآح) Statistical MT (SMT)**

بدأت الترجمة الآلية الإحصائية سنة ١٩٨٨عندما قدم بيتر براون ( Peter Brown) –وهو باحث في شركة آي بي منهجاً جديداً للترجمة الآلية يعتمد على المقاييس الإحصائية في مؤتمر للترجمة الآلية عقد في جامعة كارنيجي ملون. وأساس ذلك هو أن يصنع كل قرار للترجمة بناء على الاحتمالات الشرطية ( conditional probabilities)، أي احتمال وقوع حدث ما اعتماداً على وقوع حدث آخر.

ومن الناحية الصورية، تعمل الترجمة الآلية الإحصائية كما يلي: لترجمة جملة فرنسية (ف) إلى جملة إنجليزية (إ)، نأخذ بعين الاعتبار كل الجمل الإنجليزية (إ) التي يمكن (أو لا يمكن) أن تكون ترجمة للجملة الفرنسية (ف). ولكن بعضها له احتمال أكبر في أن يكون الترجمة. ح (إ/ف) هو احتمال أن تكون (إ) ترجمة مقبولة للجملة (ف). وفلسفياً، نفرض أن قائل الجملة (ف) فكر بالجملة (إ)، ثم في داخل

عقله أخرجها بالصيغة (ف). وهو ما يذكرنا بالاقتباس الذي نقلناه آنفاً عن ويفر. وهكذا، نفتش عن الجملة الأصلية (إ) التي هي الاحتمال الأكبر للترجمة. وعقدة هذه الحالة أنه من المستحيل الوصول إلى كل جمل لغة ما. لذلك، تقبل (تآح) التقريبات التي تسمى نماذج (models). وتحدد مجاميع ثنائية اللغة متراصفة نموذج الترجمة الذي يمثل كل إمكانيات الترجمات بين لغتين. ومن الواضح، أنه كلما كان النموذج أكبر كانت النتائج أفضل. ومعنى ذلك، أن كل كلمة يمكن اعتبارها ترجمة لكل الكلمات في اللغة الأخرى، ولكن الاحتمال الأعلى هو للكلمات المتراصفة.

ويعرف نموذج لغوي آخر في لغة الهدف، لمجاميع من أحادية اللغة. ويمثل كل العبارات الصالحة في اللغة. وتحدد خوارزمية الجملة، عن طريق معرفة أعلى ناتج للجمل الصالحة في نموذج اللغة، وكذلك ترجمة الكلمات، وترتيبها (نموذج الترجمة). والناتج هو أفضل ترجمة محتملة.

وقد استعمل براون المجموع الإنجليزي الفرنسي الموازي هانسارد (Hansard)، الذي يحوي بروتوكولات من البرلمان الكندي. وظلت (تآح) تعتمد نموذج بروان الأصلي، حيث المخرجات اللغوية في لغة الهدف اشتقت بتطبيق مبرهنة شانون للمعلومات (Shannon) فيما يخص ضوضاء قناة نموذج الترجمة. ولكن منذ ٢٠٠٢ اقترح أوخ ونيه (Och & Ney) نظاماً يحل فيه نموذج سجل خطي تمييزيdiscriminative log model محل قناة الضوضاء. وقد فرض هذا النهج نفسه على واقع الترجمة وبخاصة لما فيه من مرونة.

## أنواع الترجمة الآلية الإحصائية

لا تهتم (تآح) بتحليل جمل تامة، إذ من المستحيل أن تحتوي المجاميع المخزنة على كل الجمل (أو حتى أكثرها) الممكنة في لغة ما. ولذلك جرى الاتجاه إلى تحليل وحدات أصغر، وهي: الأساس هو الكلمة، والأساس هو شبه الجملة.

### الأساس هو الكلمة (Word- Based)

الأساس هو الكلمة، هو النهج الأصل، ويحلل على مستوى الوحدات المعجمية. وهو ما يعني أن كل كلمة في المصدر لها كلمة مقابلة في الهدف. ونعلم أن كثيراً من الكلمات في كثير من اللغات لها أكثر من معنى. ومن الواضح، أن هذا الأمر هو معضلة للترجمة الآلية، يجب حلها، ربما بتحرير سابق. وقد نجد صعوبات أخرى في لغات غير موجودة في لغات أخرى.

### الأساس هو شبه الجملة (Phase- Based)

نهج "الأساس هو شبه الجملة" في (تآح) وضع لحل المشكلات المذكورة أعلاه. لكن المصطلح "شبه الجملة" لا يدل على أنظمة قادرة على تحديد أشباه جمل محفزة لغوياً، وتحليلها وفصل بعضها عن بعض. ويدل المصطلح على سلاسل من كلمات متتالية (نغرام/ تعريب n-gram)، ظهرت في بيانات ما. ويسمح استعمال هذه السلاسل بمعالجة بعض نقائص (تآح) الناتجة من استعمال "الأساس هو الكلمة". كما تيسر هذه المعالجة بعمل خوارزميات أفضل لمعالجة الغموض في المعاني لكلمة ما. وكذلك، اعتماداً على طول هذه السلاسل فقد صار بالإمكان معالجة قضايا ترتيب

الكلمات أو أي ظواهر نحوية. كما أن (تآح) التراتبية ذات نهج "الأساس هو شبه الجملة"، ويعرف أيضاً بأنه (تآح) من نهج "الأساس هو النحو" هو أسلوب متقدم يسمح باستعمال بيانات نحوية شجرية الأساس في نموذج شبه الجملة. Hierarchical phrase-based SMT, also known as syntax-based SMT is an advanced approach that allows the use of tree-based syntax in the phrase-model. (cf. Koehn, 2010)

**(تآح) ما لها وما عليها**

إن أهم فوائد (تآح) هي إمكانية عمل ترجمة آلية فعالة دون أي معرفة بلغة المصدر أو الهدف أو معرفة الملامح الخاصة لأي منهما. ومع أن جودة الترجمة الآلية المحضة ضعيفة؛ فإنها مقاربة لأنظمة (ت آ ع ق). وتكون الترجمة الآلية ممكنة للغات التي لا تتمتع بقوى بشرية كافية لعمل نظام (تآعق) واسع، ولكن بوجود نصوص كافية من لغتي المصدر والهدف (وهذا ينطبق على كثير من لغات الاتحاد الأوربي).

وبالنسبة إلى جودة الترجمة، فإن كلتا (ت آ ع ق) و(ت آ ح) تحبلان بالأخطاء، ومع اختلافات أساسية في نوع الأخطاء. ففي أنظمة (ت آ ع ق) تجد جملاً أفضل في ترتيب الكلمات، والنحو، والتماسك. بينما أنظمة (ت آ ح) تنتج ترجمات أفضل من حيث اختيار الألفاظ، وإزالة الغموض. ومع ذلك تتحسن (ت آ ح) مع كثرة عناصر المجاميع المرجعية.

على أن نقاط ضعف (ت آ ح) قريبة من نقاط قوتها. فإنه يصعب تحديد أسباب أخطاء هذه الترجمة، نظراً لضخامة النصوص المستعملة. وهو ما يجعل الجهد البشري لتصحيح الأخطاء مضنياً، وقد تعتمد على إضافة أمثلة أخرى أفضل. كما أنه ستظهر صعوبات جمة للترجمة بين لغتين إذا كان بينهما اختلافات أساسية في ترتيب الكلمات، والانثناء (flexion)، واستعمال الضمائر، وصيغ الصياغات الزمنية (temporal) وعددها. وذلك جلي في الترجمة بين العربية والإنجليزية.

ذكرنا أن التحسين في (ت آ ح) يعتمد على حجم المجاميع اللغوية المتوازية. ولذلك، كان من الطبيعي أن يفكر الباحثون بتحسين الترجمة دون الحاجة إلى مجاميع لغوية ضخمة. وبخاصة أن عمل مثل هذه المجاميع يتطلب جهداً بشرياً ووقتاً فائقين. وهذا أدى إلى تعديل في النهج؛ وهو ما أدى إلى ما يسمى مجاميع مقارنة (comparable)، وهي مجاميع ليست متوازية، بل لها علاقة بعضها ببعض، مثل حالة موسوعة الويكيبيديا.

وتحسين آخر على (ت آ ح)، صار في الاستفادة من عدة أنظمة. وقد نشرت عدة مقالات حول هذا الأمر، تهتم بمعالجة مسبقة لقضايا النحو، وإزالة الغموض الدلالي، وما ماثل من تطبيقات. ولا تزال مثل هذه الأنظمة (الهجينة) في بدايتها، ولم تحقق تقدماً ذا شأن[١٠].

**ترجمة آلية مبنية على المثل (ت آ ب م) (Example –Based Machine Translation) (EBMT)**

اقترح هذا النهج، ماكوتو ناقاو (Makato Nagao) سنة ١٩٨٤؛ ويقوم على فكرة التشابه الجزئي (analogy). حيث تستعمل عبارات مترجمة مسبقاً من لغتي المصدر والهدف لترجمة عبارات جديدة، وهنا يسعى النظام لتحديد عبارات مترجمة قريبة من التي يراد ترجمتها. ولأن التشابه لجمل تامة قليل، فإنه يجري تقسيم الجملة إلى وحدات أصغر، ويمضي التشابه على هذه الوحدات. وتعتمد جودة هذه الترجمة الناتجة على وجود ترجمات مخزنة. ففي حال وجودها تكون الترجمة جيدة، وفي حال عدم الوجود تكون ضعيفة(١١).

**الترجمة الآلية العصبونية (ت آ ع) (Neural Machine Network) (NMN)**

قبل التعرف على تقنية الترجمة الآلية العصبونية دعونا نعرف ما هي الشبكات العصبية؟ حسب تعريف جوجل للشبكات العصبية فهي عبارة عن تقنيات مصممة لمحاكاة الطريقة التي يؤدي بها الدماغ البشري مهمات معينة، وتتكون من وحدات معالجة مكونة من عناصر حسابية تسمى عصبونات (Neurons) مهمتها تخزين المعلومات والبيانات حتى تصبح متاحة للجميع. وتكون الترجمة الآلية العصبونية نهجاً للترجمة الآلية يستخدم شبكة عصبونية اصطناعية ضخمة، ليتنبأ إمكانية حصول سلاسل من الكلمات، معالجتها هي نمذجة جمل تامة في نموذج متكامل.

ويتفرع عنها ما يسمى **الترجمة الآلية العصبونية العميقة**، التي تختلف عنها في أنها تستخدم طبقات من الشبكات العصبية وليس طبقة واحدة.

ومن أهم مميزاتها أن حاجتها للذاكرة هو معشار حاجة (ت آ ح). كما أنها تتعامل مع جميع مكونات نظام الترجمة معاً. كما أنه يمكن تدريب نظام واحد على النص الأصلي. وعلى خلاف أنظمة الترجمة القائمة على الكلمات، وتتكون من عديد من الوحدات الفرعية الصغيرة، التي يتم ضبطها بشكل منفصل بعضها عن بعض، فإن (ت آ ع) تعمل على بناء شبكة عصبية واحدة كبيرة وتدربها على قراءة النص بكامله، وإنتاج ترجمة أقرب للغة المصدر. ويكون هذا عن طريق استعمال متجهات للكلمات والحالات الداخلية قد يكون بعده (عدد مركباته) ٥٠٠، تحدد الشبكة العصبونية بعده الدقيق. فيمكن أن ترمز مفاهيم بسيطة للجنس (ذكر، أنثى، محايد)، ولمستوى اللطف (عامي، عفوي، مكتوب، شكلي، ...)، ونوع الكلمة (فعل، اسم، حرف). وتكون بنية النماذج أبسط منها في نماذج "الأساس هو شبه الجملة". ولا يفرد لكل لغة نموذج لغة، ونموذج ترجمة، ونموذج إعادة ترتيب. ولكن يوجد نموذج متتال وحيد يتنبأ بالجملة تامة في لغة الهدف.

تاريخياً، كانت البدايات في عقد ١٩٩٠. وكانت نمذجة متتالية الكلمات تتم باستعمال **الشبكة العصبونية المتكررة** (ش ع ك) (recurrent neural network) (RNN). حيث تستخدم شبكة عصبونية متكررة ثنائية الاتجاه، تتألف من **المشفر** (encoder) لتشفير جملة في المصدر، **وفاك التشفير** (decoder) للتنبؤ بالجملة المناسبة في الهدف. وظهر أول بحث في الترجمة الآلية العصبونية سنة ٢٠١٤،

وتبعه تقدم سريع في السنوات اللاحقة، في ميادين مختلفة متعلقة بهذه الترجمة. وظهر سنة ٢٠١٥ أول نظام جماهيري تنافسي هو نظام (OpenMT'15)؛ كما ظهر منافس آخر هو (WMT"15). ومع نهاية سنة ٢٠١٦ فاز هذا النظام بـ٩٠% من أنظمة (ت آ ع). وتستعمله جوجل (ونظامها الخاص يسمى "الترجمة الآلية العصبونية لجوجل")، كما أن ميكروسوفت لها تكنولوجيا مماثلة للترجمة الصوتية بما فيها (Microsoft Translator and Skype Translator).

كما أن مجموعة هارفرد (NLP) قدمت ترجمة آلية عصبونية مفتوحة هي (OpenNMT). كذلك، فإن لدى مترجم ياندكس (YANDEX) نظاماً هجيناً من (ت آ ح) و(ت آ ع). وتعينه في اختيار أفضل النتائج خوارزمية كاتبوست (CatBoost)، المبنية على تعلم الآلة.

ويعتبر عدد من الباحثين أن الترجمة الآلية العصبونية هي مستقبل أنظمة الترجمة، لأسباب كثيرة منها:

١- هي تترجم النصوص وليس الكلمات.
٢- تحل مشكلة الكلمات الغامضة، أو ما ليس لها مقابل في لغات أخرى.
٣- كثرة اللغات التي تدعمها، فحتى أوائل ٢٠١٧ كان عددها ٥٩ لغة.
٤- يمكن أن تعمل بدون الاتصال بالشابكة.
٥- يسهل تعلمها بسرعة مع إمكانية دمج المعرفة السابقة.
٦- تحل مشكلات الصرف والتراكيب المعقدة.
٧- تعيد ترتيب المسافات البعيدة بين الكلمات[١٢].
٨- كما يمكن ترتيب خطوات الترجمة الآلية العصبونية كما يأتي:

١- يجري نقل كلمة ما، أو بالأحرى متجه ذي ٥٠٠ بُعد يمثلها، إلى أول طبقة من العصبونات التي تشفرها في متجه ذي ١٠٠٠ بُعد يمثل تلك الكلمة في سياق الكلمات الأخرى في الجملة.

٢- وبعد تشفير كل الكلمات في متجهات ذات ١٠٠٠ بعد، تعاد هذه العملية عدة مرات، لتحسين هذه المتجهات الممثلة للكلمات، في سياق الجملة التامة.

٣- ثم تستخدم طبقة التنبيه (attention layer) (وهي خوارزمية) مصفوفة المخرج النهائية وكذلك مخرجات الكلمات المترجمة سابقاً لتعيين الكلمة التالية الواجبة ترجمتها من لغة المصدر. كما يستفاد من هذه الحسابات لإسقاط الكلمات غير اللازمة في لغة الهدف.

٤- ثم تقوم طبقة فاك التشفير (المترجمة) بترجمة الكلمة المختارة (أي المتجه ذو ١٠٠٠ بعد الممثل للكلمة في سياق الجملة التامة) إلى أفضل مقابل في لغة الهدف. ثم تُلقم هذه الطبقة الأخيرة في طبقة التنبيه التي تحدد الكلمة التالية في طبقة التنبيه من لغة المصدر لترجمتها[١٣].

**٥- الترجمة الآلية واللغة العربية**

تعود المحاولات الأولى لتطوير برامج للترجمة الآلية من الإنجليزية إلى العربية إلى د. بشاي -وهو أستاذ في جامعة هارفرد- في أوائل سبعينيات القرن العشرين. واعتمد أسلوب التحرير السابق للنصوص. ولم يكتمل هذا المشوار[١٥].

ومن الرواد في هذا الموضوع شركة صخر، وهي شركة كويتية الأصل أنشئت سنة ١٩٨٢ ثم بيعت لمستثمرين آخرين وانتقلت إلى القاهرة.

**١- نظام صخر للترجمة للمؤسسات**

نظام صخر للترجمة للمؤسسات (SET) هو محرك ترجمة آلية، رائد في مجاله للترجمة ثنائية الاتجاه من الإنجليزية إلى العربية والعكس، ويمكن استخدامه في الترجمة الآلية للنصوص الحرة، ومستندات معالجة الكلمات (MS Word) فضلاً عن ترجمة مواقع الويب مع توفير عنصر الأمان للوثائق حتى لا يطلع عليها أحد.

ويعمل النظام باستخدام مجموعة من الطرق القائمة على الإحصائيات والقواعد الخاصة بالمعالجات الآلية للغة العربية (NLP) ويقوم بتحليل شامل بهدف فهم النص وسياقه، ومن ثم حل كل أشكال الالتباس وتقديم ترجمة عالية الجودة.

يتم استخدام نظام (SET) من قبل العديد من المؤسسات الكبرى في الشرق الأوسط بما في ذلك وزارة الداخلية بدولة الإمارات العربية المتحدة، ووزارة الدفاع بعمان، وشرطة دبي، ومجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية.

إن نظام صخر للترجمة للمؤسسات يساعد الشركات في مشاريع الترجمة المتوسطة والكبيرة. وفيه إمكانية زيادة كفاءة الترجمة باستخدام مفردات مخصصة وقواميس وذاكرات الترجمة لترجمات سابقة.

**ويدعم نظام صخر للترجمة:**

١- ترجمة النص الحر.

٢- ترجمة الملفات الإلكترونية (txt – doc– docx – RTF – HTML) .

٣- ترجمة مواقع وصفحات الويب.

**مصحح الأخطاء**

يقوم مصحح الأخطاء باكتشاف الأخطاء اللغوية ويقوم بإظهار اختيارات مناسبة للكلمة الخطأ للاختيار.

**٢- مدينة عبدالعزيز للعلوم والتقنية- مركز المعلومات**

يعمل هذا المركز منذ سنوات على بناء بنك آلي للمصطلحات العربية. ومن نشاط هذا البنك:

أ- قاعدة البيانات للمصطلحات الآلية، تشمل المصطلح ومصدره وتاريخه واستعماله أو ظهوره لأول مرة، والمقابل له بعدة لغات.

ب- قاعدة بيانات للكتب العلمية المؤلفة بالعربية أصلاً والمترجمة، داخل المملكة وخارجها.

ج- قاعدة بيانات بالمعاجم العربية المحوسبة وغيرها.

**٣- دار حوسبة النص بالأردن:**

أصدرت هذه الشركة برنامج القلم الضوئي العربي للتعرف على النص العربي آلياً وغيرها من البرامج العربية الآلية التي تثبت واقع اللغة العربية من الترجمة الآلية من خلال الممارسة والتطبيق لمواكبة عصر التكنولوجيا والمعلومات السريعة مع مراعاة الدقة في ذلك.

**الترجمة الآلية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية:**

**٤- برنامج المترجم العربي (ATA) للترجمة من اللغة الإنجليزية:**

صدر هذا البرنامج لأول مرة عام ١٩٩٦م. وهو مزود ببرنامج "ويندوز" مع دعم عربي، وهو يتضمن قاموساً عالمياً، ويتضمن عدداً من المعاجم المتخصصة ويسمح للمستفيد ببناء قاموس خاص به.

ويمكن إدخال النص الأصلي بواحد من الأساليب الثلاثة المعروفة. بوساطة ملف إلكتروني جاهز، أو بوساطة لوحة المفاتيح، أو بوساطة ماسح إلكتروني. ويتضمن

البرنامج مدققاً إملائياً للنص الإنجليزي، تتم الترجمة من خلاله بصورة كلية قبل التدقيق والمراجعة من قبل المستخدم، كما يمكن تجـزيء الترجمة إلى فقرات متتالية، فيقوم المستخدم بمراجعة كل فقرة بعد ترجمتها.

ويتضمن البرنامج عدداً من القواميس خلال عملية الترجمة الآلية.

- النصوص الإنجليزية التي يقبلها البرنامج يجب أن تكون بصيغة نص (text) ويمكن أن تأتي من مصادر عدة كما هو مبين في المخطط.
- يبدأ البرنامج بالتعرف على النص الإنجليزي أولاً متحققاً من كلماته جميعاً في القاموس العام للبرنامج. والكلمات التي لا توجد في القاموس يمكن تدقيقها في المدقق الإملائي الإنجليزي لتصحيح الأخطاء الإملائية، وإذا لم يعثر عليها فتعرض ضمن النص العربي المترجم كما هي.
- **يستند البرنامج في عمله إلى المكونات التالية:**

١. قاموس إنجليزي عربي.
٢. محلل نحوي إنجليزي.
٣. محلل صرفي عربي.
٤. محلل عربي.

**القاموس الإنجليزي العربي:** مصنف بحيث يتعامل مع الكلمات الإنجليزية المفردة، وكذلك المصطلحات التي تزيد على الكلمة الواحدة مع مقابلاتها العربية معطياً جميع المعلومات التي يتطلبها عمل البرنامج في الترجمة، فالأفعال الإنجليزية بكل أزمنتها تعطي مقابلاتها بالجذور العربية غير المشكلة مع اعتبار الشدة من ضمن الجذر.

**القاموس الإنجليزي العربي:** مصنف بحيث يتعامل مع الكلمات الإنجليزية المفردة، وكذلك المصطلحات التي تزيد على الكلمة الواحدة مع مقابلاتها العربية معطياً جميع المعلومات التي يتطلبها عمل البرنامج في الترجمة. فالأفعال الإنجليزية

بكل أزمنتها تعطي مقابلاتها بالجذور العربية غير المشكلة مع اعتبار الشدة من ضمن الجذر.

فالفعل كتب= (write) بدون تشكيل، بينما الفعل شدّد= (stress) بوضع الشدة على حرف الدال باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الفعل.

- كيف يعمل "المترجم العربي"؟

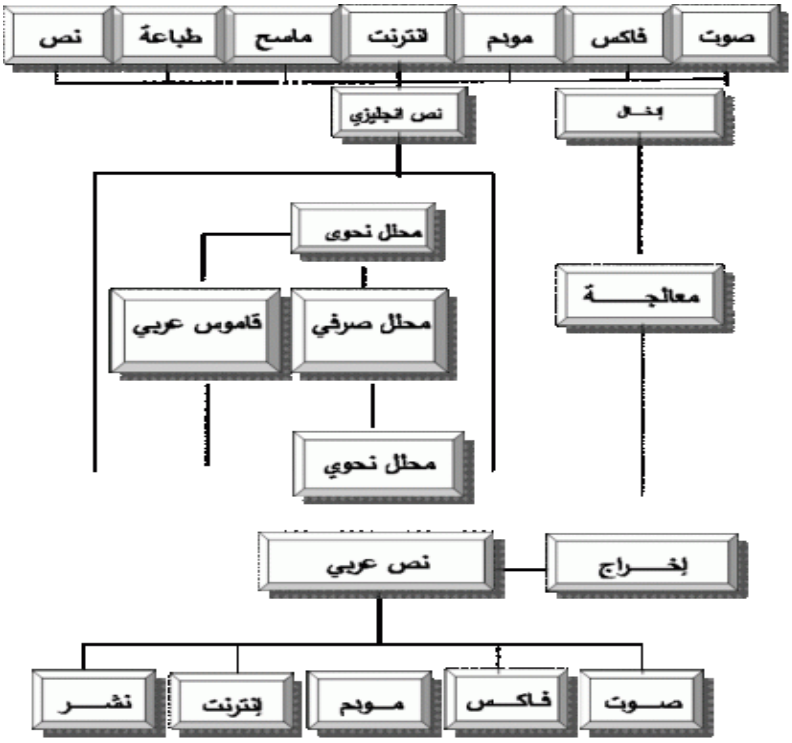

تبدأ عملية الترجمة بتحليل الجملة الإنجليزية على الجملة، ويحدد بالاستعانة بمعلومات القاموس، المعلومات القاموسية من اسم وفعل وصفة، والصيغ النحوية من فعل وفاعل ومفعول به... إلخ، لكل كلمة من كلماتها بحسب موقعها في الجملة. ويعطي المحلل الصرفي المواقع العربية الكاملة للكلمات العربية. بينما يحدد المحلل النحوي العربي –بعد استشارة المعلومات القادمة من المحلل النحوي الإنجليزي– الوظائف النحوية للكلمات العربية وموقعها في الجملة، ويضع الحركات الصحيحة بحسب ذلك، مع اعتبار طبيعة الجملة العربية؛ إذ يسبق الفعل الفاعل والموصوف الصفة بدلاً من العكس كما هو الحال في الجملة الإنجليزية.

**نتائج**

– دقة الترجمة، وسلامة النص المترجم لغوياً.

– سهولة تعديل أو تصحيح النص المترجم، وسهولة مقارنته بالنص الأصلي.

– سهولة إدخال أو إضافة تعديلات إلى النظام نفسه لتحسينه.

– نوعية القواميس المرفقة وحجمها، وتنوع المفردات العربية للمفردة الأجنبية الواحدة، وشمولها لمختلف المعاني الممكنة وإمكانية انتقاء المناسب منها.

– الزمن الذي تستغرقه الترجمة للنصوص المختلفة في تعقيداتها واختصاص مضمونها.

– كلفة البرنامج، وسهولة استخدامه على الحواسيب المختلفة.

– الاتصالات الشبكية لتسهيل النقل والنشر الإلكتروني.

– اللغات للمصطلحات المستخدمة في النص المترجم... إلخ[١٦].

**برامج أخرى للترجمة إلى العربية**

لا يمكننا حصر كل البرامج التي طورتها جهات مختلفة، ولا تزال تطور، للترجمة إلى اللغة العربية من لغات أخرى. ونذكر منها:

- **برنامج المترجم العربي (ATA)**. وقد ذكرناه آنفاً. وأصدرت الشركة برنامجاً مصغراً منه هو برنامج "الوافي"، ومنه ثلاثة إصدارات: الوافي ١، والوافي ٢، والوافي الذهبي. ويحتوي الوافي على مجموعة من القواميس؛ منها القاموس العام، ويحتوي على أكثر من مليون كلمة. وفيه قاموس المستعمل، وقاموس اللغتين العربية والإنجليزية. كما يحوي مدققاً إملائياً مع إمكانية ضبط النص العربي بالشكل.

- **برنامج (Arab Transfer)**، من شركة (ARABNET)، ويعمل في بيئة (Windows). ويحوي قاموسه أكثر من مليون كلمة.

- **برنامج سيموس (CIMOS)** للترجمة من الإنجليزية والفرنسية للعربية، ويحوي قاموسه ٤٠٠,٠٠٠ كلمة.

- **برنامج ترانسفير (TRANSFER)** خاص بشركة (APPTEK)، ويترجم من الإنجليزية إلى العربية. ويحوي قاموسه ١٠٠,٠٠٠ كلمة.

- **برنامج أراميد (ARAMED)**، يترجم من الإنجليزية والفرنسية والألمانية إلى العربية في المجال الطبي، تابع للاتحاد الأوربي.

- **برنامج (TRANSLATE MANAGER)**، خاص بشركة (IBM)[١٧].

**مشكلات خاصة باللغة العربية والترجمة استلزمت حلولاً لها، وأمثلة لها:**

١- **المفردات**، حيث الكلمة الإنجليزية قد يكون لها أكثر من معنى، وكذلك الكلمة العربية. مثل:

(The driver of the other truck escaped without injury)

الترجمة العربية (الوافي الذهبي): سائق الشاحنة الأخرى هرب بدون جرح.

وترجمة (escaped) بكلمة هرب غير مناسبة، والأفضل نجا.

(How fast can cars go?)

الترجمة العربية (الوافي الذهبي): كيف تصوم يمكن أن سيارات تذهب؟

فترجمة (fast) بكلمة تصوم، وهو معنى من المعاني غير مناسب جداً.

٣- **دلالة حروف الجر**

(Smoking is dangerous to your health)

الترجمة العربية (الوافي الذهبي): التدخين خطر إلى صحتك. والأصح على.

٣- RTA would like to inform you of the new launch of number plates electronic.: وهي في عدة أمور **المطابقة،**

أ- **في النوع**

A change of the climate which is attributed directly or indirectly to human activity that alter the composition of the global atmosphere.

الترجمة العربية (موقع www.targem.org): تغيير المناخ الذي يعزى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى النشاط البشري التي تغير تكوين الغلاف الجوي.

هنا ترجم (that) بـ(التي). لأن في الإنجليزية ثلاثة أنواع: مذكر ومؤنث وحيادي، بينما في العربية اثنان.

ب- **في العدد**

He loved the tree and the tree loved to play to play with him. Time went by, the little boy had grown up.

الترجمة العربية (http://google.com/translste): هو كان يحب الشجرة، والشجرة يحب اللعب معه. مع مرور الوقت، ولد صغير قد كبروا.

واضح أن كبروا للجمع مع أن الأصل مفرد. كما أن الأصح والشجرة تحب.

ج- **في الضمير**

الترجمة العربية (جوجل أعلاه): هيئة الطرق والمواصلات أود أن احيطكم علما إطلاق أرقام لوحات الكترونية.

وهنا نجد ضميرين للشيء نفسه: أود للمفرد، وأحيطكم للجمع.

وكمثل على الانحراف الدلالي مع ضمير المخاطب

Don't be afraid of making mistake. They're an essential part of learning, but if you don't learn from your mistake, you'll missing a golden opportunity.

الترجمة العربية (http://www.systran.co.uk): لست يخشى من يجعل غلطة. هم جزء أساسي من يعلم. غير أنّ إنْ أنت لا تعلم من غلطتك، سيفتقد أنت كذلك [غولدن وبورتينيتي].

والأخطاء في هذه الترجمة كثيرة، فهي أقرب إلى الترجمة الحرفية. وأسند الفعل إلى المخاطب (لست) ثم انتقل إلى الغائب (يخشى، ويجعل). كما ترجم (they're) بـ(هم)، والنسب العربي (هي). ثم لم يستطع ترجمة آخر كلمتين فكتبهما بالعربية كما هما.

د- **في التركيب**، وله أكثر من حالة

**(١) تركيب مبني للمجهول**

(Tobacco was first smoked in America in America)

الترجمة العربية (جوجل أعلاه): تدخن التبغ لأول مرة في امريكا من قبل اليهود. وأنسب ترجمة هي: دخّن الهنود التبغ لأول مرة في أمريكا.

ففي النص الإنجليزي الفاعل معروف، والترجمة العربية حولته إلى مبني للمجهول، إضافة إلى أن ترجمة (by) بِـ(من قبل) ليست تعبيراً عربياً.

**(٢) بين الجملة الفعلية والاسمية**

(A woman last week gave birth to a girl with two faces and two brains on a single head)

الترجمة العربية (جوجل أعلاه): امرأة الأسبوع الماضي أنجبت فتاة مع وجهين والعقول على رأس واحد.

وأنسب ترجمة: أنجبت امرأة الأسبوع الماضي فتاة بوجهين وعقلين في رأس واحدة. مع أن الجملة الإنجليزية اسمية إلا أن الترجمة العربية الفضلى هي فعلية.

**(٣) التركيب العددي، حيث تختلف اللغتان في بناء العدد في تركيب الجملة**

(Schools in Kenya are poor. They do not have enough money to buy the things they need, and one thing they are short of its books)

الترجمة العربية (Arabgate.com): مدارس في كينيا فقيرة، ليس يمتلكون نقودا كافية لشراء الحاجات هم يحتاجون واحد شيء الذي نقص في الكتب.

فالعلاقة بين العدد والمعدود في اللغتين مختلفة. فالترجمة الحرفية (واحد شيء) غير مقبولة عربياً؛ والأصح شيء واحد.

(The research team consists of fifteen researches)

الترجمة العربية (جوجل أعلاه): فريق البحث يتكون من خمسة عشر الباحثين.

(٤) **بين التركيب الوصفي والإضافي**، إذ يكون أحدهما أنسب من الآخر

(Ahmed is student development coordinator)

أحمد وطالب منسق التنمية. (تعبير وصفي)

والأفضل: أحمد منسق التطوير الطلابي. (تعبير إضافي)

(Ahmed is an academic advisor)

الترجمة العربية (جوجل أعلاه): أحمد وهو مستشار الأكاديمية. (تعبير إضافي)

والأفضل: أحمد مستشار أكاديمي. (تعبير إضافي)

(٥) **التعبيرات الاصطلاحية** (Idioms)

التعبيرات الاصطلاحية عموماً مجازية. وقد لا تحسن برامج الترجمة ترجمتها الصحيحة بنسبة عالية. وما يلي بعض هذه التعابير وترجمتها في نظامي صخر وجوجل:

| | النص العربي/ المصدر | ترجمة صخر | التقييم | ترجمة جوجل | التقييم |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ | هن من بنات الليل | They are from the prostitutes | صحيحة | They are from the daughters of the night | حرفية |
| ٢ | هو يعرف بنات الأرض | He knows the land girls | حرفية | He knows the land girls | حرفية |
| ٣ | أواجه بنات الدهر | I face misfortunes | صحيحة | I'm having a girls forever | حرفية |
| ٤ | تؤرقني بنات الصدر | The chest girls worry me | حرفية | Girls chest giving me sleepless nights | حرفية |

والجدول من مدكور، حيث قدم ١٢ تعبيراً اصطلاحياً، مع ترجمتها. وكانت ملاحظاته:

عدد الترجمات الصحيحة لصخر ٥ من ١٢ بنسبة ٤١,٧%؛ بينما هي عند جوجل ٣ بنسبة ٢٥%. وبلغ عدد الترجمات الحرفية عند صخر ٥ بنسبة ٤١,٧%؛ بينما هي عند جوجل ٦ بنسبة ٥٠%. وهي خطأ عند النظامين. ويلاحظ طغيان الترجمة الحرفية. وقد يكون ذلك بسبب أن الأنظمة المستخدمة قديمة نسبياً[١٨].

**وفرة المصادر العربية على الشابكة**

وفرة المصادر على الشابكة مهمة للترجمة الآلية الإحصائية، وكذلك في عدد من التطبيقات الحاسوبية. ويوضح الجدول أدناه وفرة المصادر العربية الأحادية والثنائية مع اللغة الإنجليزية[٢٠].

**ذخيرة أحادية اللغة**

| الاسم التقني | عدد الكلمات |
|---|---|
| Arabic Learner Corpus (ALC) | ٣٦٢,٧١٢ |
| Arabic Web | ٤٠٧,٠٠٥ |
| Arabic Web 2012 (ArTenTen, Stanford tagger) | ٧,٤٧٥,٦٢٤,٧٩٧ |
| Arabic Web 2012 Sample 115M (arTenTen12, mada tagger) | ١١٥,٣١٥,٢٧٤ |
| OPUS Arabic | ٣٠٠,٠٠٠,٠٥٧ |
| Quran Annotated Corpus | ١٢٨,٢٤٣ |
| Timestamped JSI web Corpus 2014–2016 | ٩٧٦,٥٧٣,٦١١ |

ومن الذخائر ثنائية اللغة

| الاسم التقني | اللغات | عدد الكلمات |
|---|---|---|
| English–Arabic Parallel Corpus of United Nations Texts (EAPCOUNT) | إنجليزي– عربي | ٣,٧٩٤,٦٧٧ |
| English–Arabic Parallel Corpus | إنجليزي– عربي | ٢٠٤,١١٧ |
| GALE Phase 3&4 Arabic Web Parallel Text | عربي– إنجليزي | ٦١,٦٦٢ |
| Gale Arabic–English Parallel Aligned Treebank–Web Training | عربي– إنجليزي | ٤٦,٧١٠ |

**تقويم الترجمة الآلية**

ليس من السهل تقويم الترجمات الآلية وبخاصة إذا كان مبتغانا آليات فعالة، سهلة التطبيق، قليلة الكلفة، مع تفضيل الوسائل الأوتوماتية. كذلك، تدخل عوامل كثيرة تؤثر في تقويم الترجمة الآلية. ومنها الغاية من الترجمة، ونوع الترجمة، واللغات التي يترجم منها أو إليها. فالترجمة الإحصائية (ت آ ح) أفضل من الترجمة المعتمدة على المثل (ت آ م ب) بشكل عام. على أن باحثين وجدوا أنه في الترجمة من الإنجليزية إلى الفرنسية، تكون (ت آ م ب) أفضل من (ت آ ح). وفي الوثائق التقنية تكون المترجمة بوساطة (ت آ ح) أفضل. وفي بعض التطبيقات، وعند استعمال لغة مضبوطة، تنتج الترجمة التي أساسها معجمي مخرجاً مناسباً.

أما بالنسبة لوسائل التقييم، فالأقدم هو العنصر البشري الذي يهدف إلى قياس الكفاءة وسلاسة الترجمة. وتظل هي الفضلى، مع أنها مكلفة وتستهلك الوقت. على أن التقويمات، وبخاصة غير البشرية، تظل بمقاييس مقارنة وليس بمقاييس مطلقة. إلا أن الترجمات الآلية غير المحررة تتجاهل أن الاتصال باللغات البشرية محدد بالسياق الموجود فيه النص. وتعتمد (ت آ ح) و(ت آ م ب) على مخزون ضخم من الجمل الحقيقية كقاعدة للترجمة. وعندما يكون المخزون كبيراً جداً أو صغيراً فالترجمة الناتجة ضعيفة. فقد وجد الباحثون أن برنامجاً مدرباً على ٢٠٣,٥٢٩ جملة مزدوجة، يؤدي إلى تناقص دقة الترجمات. كما وجدوا أن العدد الأفضل لعدد هذه الجمل هو ١٠٠,٠٠٠، لتكون الترجمة أدق.

**ونذكر بعض برامج التقويمات الأوتوماتية**

* معدل أخطاء الكلمات (WORD Error Rate) (WER) وهو مبني على أساس المسافة بين مخرجات نظام الترجمة والترجمة المرجعية على مستوى الكلمة.

* معدل الأخطاء المستقلة عن الموضع (Position-Independent Error Rate (PER)) وهو يحسب معدل أخطاء الكلمات بالتعامل مع كل جملة على أنها سلة كلمات، متجاهلاً ترتيبها.

* بديل التقويم ثنائي اللغة (Bilingual Evaluation Understudy) (BLEU) وهو يحسب دقة ن- غرام (سلاسل الكلمات) وليس معدل أخطاء الكلمات.

* مقياس تقويم الترجمة ذات الترتيب الواضح Metric for Evaluation of Translation with Explicit Ordering (MRTEOR) وتأخذ الحشو والمرادفات بالاعتبار[٢٠].

**المراجع**


١- ملدريد لارسون، الترجمة والمعنى، دليل التكافؤ بين اللغات، ترجمة د. محمد محمد هليل، جامعة الكويت، الكويت، ط١، ٢٠٠٧.

رمزي روحي البلبكي، ومنير البلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

٢- مروان البواب، الترجمة الآلية، محاضرة ألقيت في مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٥/١٠/٢٨، ص,١

٣- موسوعة ويكيبيديا، مادة الترجمة الآلية، باللغة العربية

موسوعة ويكيبيديا، http://en.wikipedia.org/wiki/Machine_translation

٤- مروان البواب، ص٥.

٥- عمرو محمد فرج مدكور، الترجمة الآلية، مفهومها- مناهجها، نماذج تطبيقية في اللغة العربية، مجلة دار العلوم، العدد ٢٦، ديسمبر ٢٠١١، ص ص٨٩٣-٩٣٧,

٦- محمود إسماعيل الصيني، الترجمة الآلية: التطورات الجديدة، من وقائع ندوة التعريب والحاسوب، الجمعية السورية للمعلوماتية، دمشق ١٩٩٦، ص١٥١.

٧- عبدالله بن حمد الحميدان، مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٦٨.

٨- W. J. Hutchins, An Introduction to Machine Translation, Academic Press, London, 1992, Chapter 1.

٩-Hutchins

Daniel Stein, Machine Translation, Past, Present and Future, -١٠ In Georg Rehm, Felix Sasaki, Daniel Stein & Andreas Witt (eds.), Language technologies for a multilingual Europe: TC3 III, 5–17. Berlin: Language Science Press.

www.andover.com/machine-translation-١١

**١٢- ما هي تقنية الترجمة الآلية العصبونية وكيف تشكل مستقبل الترجمة الآلية؟ سمير سليم، في الذكاء الاصطناعي.**

**https://www.arageek.com/tech/2018/06/20/neural-machine-translation.html**

https://www.microsoft.com/en-us/translator/business/machine-translation/-١٤

١٥- مدكور، ص,٩٠٠

١٦- راضية بن عربية، الترجمة الآلية في اللغة العربية، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، ٢٠١٨.

١٧- الندوة العامية الأولى، الترجمة الآلية، ص٤٤.

١٨- مدكور، ص٩٢٩.

١٩- صادق بسو، اللغة العربية والترجمة الآلية، الملتقى الوطني حول اللغة العربية والترجمة، الجزائر، ديسمبر ٢٠١٧، ص ص٦١-٦٧.

.Andover -٢٠

**التعليقات والمناقشات**

د.عرفات عوجان/ جامعة الأميرة سمية: شكر المتحدثينِ على ما قدماه، ودعا إلى توحيد الجهود بين اللغويين والحاسوبيين، ودعا إلى تفعيل التطبيقات الحاسوبية الأخرى تمهيداً للوصول إلى ترجمة دقيقة صحيحة.

الأستاذ هشام الدباغ: طلب الحصول على نسخ من الأبحاث لنشرها على مدى أوسع.

إحدى الحاضرات: استفسرت: هل يمكن أن تحل الآلة مكان الإنسان في الترجمة؟

رد د.محمد زكي خضر: الترجمة الآلية الحديثة تعتمد على الاستفادة من ترجمة البشر، وليست ابتكاراً جديداً، وليست بمعزل عن الأمور الإنسانية.

د.عبدالرحمن الكيلاني: شكر المتحدثين على ما قدماه، واستفسر: هل يمكن للترجمة الآلية أن ترتقي لتصبح ترجمة معنوية للنص؟ وهل يمكن إرشادنا إلى مواقع قدمت شيئاً في هذا الباب؟

رد د.محمد زكي خضر: أوضح أنه في الوقت الحاضر ما تزال الترجمة الآلية في قضايا إنسانية وفي قضايا علمية دقيقة بسيطة، والمتوقع أن تزداد دقة الترجمة في المستقبل بسبب تراكم الذخيرة اللغوية.

زياد الخطيب/ رئيس اللجنة الكهروتقنية الوطنية الأردنية: اقترح أن يتبنى المجمع مشاريع التخرج لطلاب السنة النهائية، خاصة طلاب كليات الهندسة وكليات تكنولوجيا المعلومات.

رد د.محمد زكي خضر: أيّد مقترح السيد زياد الخطيب، وبين أن هناك مناقشة في المجمع حول دعم المحتوى العربي. والمجمع مفتوح لمساعدة الطلبة.

إحدى الحاضرات: تساءلت: كيف يمكن ترجمة النصوص الشعرية في الترجمة الآلية؟

رد د.محمد زكي خضر: النصوص الشعرية بعيدة عن الترجمة الآلية في الوقت الحاضر، والسبب أن الذخيرة اللغوية التي تحتاج إليها يجب أن تكون هائلة.

# اللغة العربية لغة عالمية

**الأستاذ الدكتور محمد عصفور**

**عضو مجمع اللغة العربية الأردني**

**الثلاثاء ١١ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ – الموافق ٤ كانون الأول ٢٠١٨م**

## المُلَخَّص

يناقش هذا البحث موضوع عالمية اللغة ومعايير الاعتراف بها والتي تعتمد اعتماداً كبيراً على السياسة والقوة، ويناقش الأسباب الكامنة وراء اختيار اللغات لغات رسمية.

يتناول هذا البحث ثلاث مفارقات في عالمية اللغة العربية: أولاها أن العالم العربي في الوقت الحاضر يستورد كثيراً من العمالة الأجنبية، وهذه عملية يمكن أن ينتج عنها شيئان إيجابيّان: أولهما نشر اللغة العربية في العالم، وثانيهما تحقيق دخل لا بأس به، اما ما يحصل فهو أن التفاهم يجري بلغة وسيطة هي اللغة الإنجليزية، فالأمر المعتاد في بقية أنحاء العالم هو أن العمالة الأجنبية مضطرة لتعلم لغة البلد الذي تنوي العمل فيه.

أما المفارقة الثانية فهي أن العالم العربي الذي يزهو بأن لغته العربية لغة عالمية لا يثق بهذة اللغة ثقة تجعله يؤمن بأن هذه اللغة تصلح للتعليم الجامعي في مجال العلوم، أما المفارقة الثالثة أن هذه اللغة العالمية، لغة الدين والدولة في أي بلد عربي، تحتاج إلى قانون لحمايتها.

ترد في سفر التكوين من الكتاب المقدَّس قصةٌ طريفةٌ عن بُرجِ بابلَ الذي بناه بنو البشر لكي يصلوا به إلى عَنان السماء، وكانوا آنذاك يتكلَّمون لغةً واحدة. وعندما رأى الربُّ ما فعلوا قال:

"هو ذا شعبٌ واحدٌ ولسانٌ واحدٌ لجميعهِم، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كلُّ ما ينوون أن يعملوه. هَلُمَّ ننزلْ ونُبَلْبِلْ لسانهم حتى لا يسمعَ بعضُهم لسانَ بعض. فبدّدَهم الربُّ من هناك على وجه كلّ الأرض، فكفّوا عن بُنيان المدينة" (سفر التكوين ١١: ١-٩).

وقد وَجَدَتْ هذه القصَّة مكاناً لها في **لسان العرب** تحت مادَّة **بَلَلَ** على النحو الآتي:

"البَلْبَلَةُ بَلْبَلَةُ الأَلسن، وقيل: سُمِّيت أَرضُ بابِلَ لأَن الله تعالى حين أَراد أَن يخالف بين أَلسنة بني آدم بَعَث ريحاً فَحَشَرَهم من كلِّ أُفْقٍ إِلى بابلَ فبَلْبَل الله بها أَلسنتهم، ثم فَرَّقتْهم تلك الريحُ في البلاد".

وقد انشغل علماء اللغة في العصر الحديث بفكرة اللغة الواحدة التي سادت في العالم قبل البلبلة تحت مسمّى (protolanguage) أو اللغة الأصلية، لكن الفكرة ظلَّت ضرباً من الخيال. وانشغلوا أيضاً بفكرة اللغة الواحدة التي يمكن أن تُبتَكَر ليتكلّمها أناس من قوميّات مختلفة من أجل التفاهم والتواصل. وقد وضعوا بالفعل لغة مصطنعة سمَّوْها لغة **(الإسپرانتو)** التي يمارسها عدد من الهواة الذين يتواصلون فيما بينهم في أوروبا تواصلاً هو أقرب إلى اللعبة الفكرية منه إلى اللغة الطبيعية. لكنَّ أفضلَ ما تمكَّن علماء اللغة من صنعه هو تجميع اللغات على هيئة عائلات

لغوية؛ منها على سبيل المثال عائلةُ اللغات السامية وعائلة اللغات الهندية الأوروبية، وعائلة اللغات الصينيَّة التِّبِتيَّة.

أمّا في القرآن الكريم فترد الآية الكريمة التي تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات ١٣). ومن الواضح أن الوضع الأصلي في هذه الصيغة من أصل اللغات هو الاختلاف، وأن الهدف هو التعارف. أي إن التعارف ممكنٌ رَغْمَ الحواجز اللغوية والطبيعية. وهذا التعارفُ ضروريٌّ لأن بقاءَ الجنس البشري غيرُ ممكن لولاه. وهذا التعارف يحتاج إلى أن تتعلَّم الأقوام لغات الأقوام الأخرى. وعند هذه النقطة من المشكلة نصل إلى التاريخ الإنساني، لأننا في التاريخ الربّاني لها نصل نقطة الجهل المطلق حيث لا نملك سوى التسليم.

في التاريخ الإنساني يمكننا الاستشهاد بما توافر لدينا من أدلَّة على أن انتشار أيّ لغة من اللغات خارج النطاق الجغرافي للناطقين بها يرتبط في أكثر الأحيان بالقوَّة العسكرية. والأمثلة على ذلك معروفة، منها انتشارُ اللغة اللاتينية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وانتشارُ اللغة العربية مع توسُّع الفتوحات الإسلامية، وانتشارُ اللغات: الإسبانية والإنكليزية والفرنسية في العالم مع انتشار الاستعمار الإسباني والبريطاني والفرنسي في أرجاء المعمورة. وما يقال عن قوّة اللغة بحدِّ ذاتها إنما هو من قبيل ما توحي به الآية الكريمة التي تقول: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. فعلماء اللغة يقولون إن اللغات كلَّها قادرةٌ على التعبير عن الأفكار كلِّها بأساليبها هي[١].

---

(١) انظر كتاب

R. M. W. Dixon, *Are Some Languages Better than Others?* (London: Oxford University Press, 2016).

لا تعيش الأقوام المختلفة التي تتكلَّم بلغات مختلفة في جزر منغلقة على ذاتها لأنها تحتاج لبقية الأقوام المحيطة بها، ولأن الحاجات البشرية تتَّسع باستمرار، ويصبح ما عند القوم (أ) مطلوباً عند القوم (ب)، ولذا فإنهم يحصلون عليه إما بالمتاجرة السلمية أو بالقوَّة العسكرية. وهذا ما يستدعي اختلاطَ قومٍ بقوم، ويؤدّي في آخر المطاف إلى جلب الأشياء الجديدة مع مسمّياتِها.

في العصر الحديث يستورد العربُ العلومَ الحديثةَ والمنتجاتِ الصناعيةَ من الأمم الناطقةِ باللغة الإنكليزية وبغيرها من اللغات، ويستوردون بهذه اللغات ما تنتجه الأمم الأخرى من الصناعات والبضائع. ولا شكَّ في أن اللغة الإنكليزية أكثرُ اللغات شيوعاً في الوقت الحاضر، ولكن شيوعها يختلط في أذهان الكثيرين بفكرة لا أساس لها من الصحة وهي أن اللغةَ الإنكليزيةَ أسهلُ للتعلُّم من غيرها، وأن اللغة العربية بالمقارنة مع اللغة الإنكليزية لغةٌ صعبة. وإن كان ثمة من قيمةٍ لشهادةِ متخصِّصٍ مثلي باللغة الإنكليزية وآدابها قضى حوالي نصف قرن في تعليمها على المستوى الجامعي وترجم منها ما يزيد عن عشرين كتاباً فإنني أقول: إن اللغة الإنكليزية بالِغَةُ الصعوبة، وإن إتقانها يحتاج إلى عقود، وليس إلى سنوات، وإن هذه العقود لن تكفي لأن اللغة في هذه العقود تتطوّر بحيث تخلِّف أجيالاً من الناطقين بها ممن يحتاجون هم أيضاً إلى دراستها لاستدراك بعض ما فاتهم منها. ولإثبات ما أقول، ما عليكم سوى أن تعلموا أن لغة شيكسبير، وهي لا تعود لأكثر من أربعة قرون، تحتاج في هذه الأيام إلى ترجمةٍ إلى اللغة الإنكليزية المعاصرة حتى يفهمها الإنكليزُ أنفسُهم. أما اللغةُ التي تُدعى (Old English) فهي في واقع الحال لغةٌ ثانيةٌ يتعلَّمها الإنكليز إن احتاجوها في هذه الأيّام كما قد يتعلَّمون الألمانية أو الإسبانية.

القصد من هذا الكلام أن أقول: إن ما جعل اللغة الإنكليزية لغةً عالميةً في العالم الحديث سببُه الحاجةُ إليها وليس صفةً خاصَّة فيها. والحاجة إليها ليست دليلاً على سهولتها، بل دليلٌ على صحَّة قانونٍ في مجال تعلُّم اللغات مفادُه أننا نتعلَّم من أيّ لغةٍ من اللغات بقدر ما نحتاجه منها، وأن ما أعطى اللغة الإنكليزية هذه المكانةَ العالية وضعٌ تاريخيٌّ قِوامُه القوّة العسكرية، والقوّة الاقتصادية، والقوّة العلمية للأمم الناطقة بها. وهذه القوى تتلازم في العادة. فالقوّة العسكرية تحتاج إلى المال والعلم، والقوة الاقتصادية تحتاج إلى العسكر والعلم، والعلم يحتاج إلى المال والعسكر ولو بطريقة غير مباشرة.

كذلك لا بدّ أنكم تعلمون أن الأمم الناطقة باللغة الإنكليزية تحرص حرصاً شديداً على تعليم اللغة الإنكليزية للناطقين بغيرها، فتنشئ لذلك قنواتٍ لتعليمها من أمثال المجلس الثقافي البريطاني وما يشبهه من الجانب الأمريكي، وتزوّدها بالمعلِّمين والكتب التي يمكن أن تُقرأ في المجلس نفسه أو أن تُعار للقرّاء إن لزم الأمر. ولقد يبدو أن هذه المؤسَّسات التعليمية تعمل لوجه الله، أو حبّاً في نشر الثقافة، أو لأغراض خفية أخرى. لكنَّ الواقع يقول إن السائح العربي الذي يعرف اللغة الإنكليزية ويريد قضاء شهرٍ أو شهرين للسياحة والاستجمام لن يذهب إلى بلغاريا أو إيطاليا أو ألمانيا حيث سيجد صعوبةً في التفاهم مع الناس في السوق أو في الشارع، بل سيذهب إلى بلدٍ يمكنه التفاهم مع أهله بسهولة. وفي هذا ما فيه من مردود اقتصادي. أقصِد أن تعليم لغة من اللغات لأبناء الأقوام الأخرى استثمارٌ اقتصاديٌّ وثقافيٌّ على

المدى البعيد. وقد قيل: Shakespeare is an industry[٢]، بمعنى أن ما يباع من مسرحيّاته وأشعاره في جميع أنحاء العالم يدرّ دخلاً لا يستهان به على الاقتصاد البريطاني، وأن كتاباته تستخدم لترويج البضائع والصناعات.

حدثت في القرن العشرين حربان عالميّتان مدمِّرتان كانت ألمانيا طرفاً فيهما، وانتهت كلُّ حرب منهما بإنشاء منظَّمة دَوْلية قُصِد منها منعُ حدوثِ حربٍ أخرى في المستقبل. وقد فشلت المنظمة الأولى في منع الحرب، فجاءت الحربُ العالمية الثانية بعد أقل من عشرين سنة. ثم تشكّلت بعد الحرب العالمية الثانية منظّمةٌ ثانيةٌ هي هيئةُ الأمم المتّحدة. ومع أن هذه المنظمة الثانية جاوزت السبعين من العمر ولم تحدُث فيها حربٌ عالميةٌ ثالثة، فإن هذه المنظمة فشلت –وما تزال تفشل– في منع الحروب في جميع أنحاء العالم. ولن أزعجكم بسلسلة الحروب الطويلة التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية، فهي معروفةٌ لديكم، وقد لحقت بالبلاد العربية منها كوارثُ ما زلنا نعاني منها. لكنَّ ما أريد قوله في هذا المجال إن البلاد العربية في أثناء الحرب العالمية الأولى كانت كلُّها تعاني من الاستعمار الغربي بعد قرون من التبعية للإمبراطورية العثمانية، ولذلك لم تنشأ الحاجة إلى جعل اللغة العربية واحدةً من لغات عصبة الأمم. أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد استقلَّت بعض البلاد العربية، وأنشئت جامعة الدول العربية، وظهرت أهمية المنطقة العربية عندما تبيَّن أن أرضها تحتوي في باطنها على نسبةٍ كبيرةٍ من نِفْط العالم، وأنها مقبلةٌ على قدْرٍ من التحديث، وأن الصراع العربي الإسرائيلي قد لا يقف عند حدود فلسطين. لذلك فإن هيئة الأمم

(٢) https://transmedialshakespeare.wordpress.com/2011/03/15/shakespeare-in-advertising-2/

اعترفت باللغة العربية بصفتها واحدة من اللغات الرسمية في ذلك المحفَل الدَّوْلي. لكن متى جاء هذا الاعتراف؟ لقد انتظر ما يقرب من ثلاثين عاماً بعد إنشاء هيئة الأمم المتّحدة، وبعد أربع حروب مدمِّرة خاضها العالم العربي: حربِ سنة ١٩٤٨ التي انتهت بزرع إسرائيل في فلسطين؛ وحربِ قناة السويس التي تآمرت فيها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ضدَّ مصر وما كانت مصرُ تَعِدُ به من نهضة قومية؛ وحربِ سنة ١٩٦٧ التي كانت كارثةً قوميةً ثانيةً أكملت فيها إسرائيل احتلال البقية الباقية من فلسطين وأجزاء من بلادٍ عربية أخرى. كلُّ هذه الحروب لم تُقنع هيئة الأمم المتحدة أو مجلس الأمن فيها بأن اللغة العربية لها من الأهمية ما يؤهِّلها لأن تكون واحدة من لغاتها الرسمية. أخيراً جاءت حربُ سنة ١٩٧٣، وفيها أظهر العرب بعض القوّة، ولا سيّما قوّة النفط. عندئذٍ فقط جرى الاعتراف باللغة العربية لغةً رسميةً من لغات ذلك المحفَل الدَّوْلي.

لكن فلنعد قليلاً إلى أوائل عهد منظمة الأمم المتَّحدة. كانت اللغات الرسمية فيها هي لغاتُ الأمم المنتصرة في الحرب العالمية الثانية: الإنكليزية، والفرنسية، والروسية، والصينية. ونحن عندما نذكر اللغة الصينية في هذه الأيّام فإننا نفكِّر في الصين التي بلغ عدد سكّانها حسب إحصاء سنة ٢٠١٦ ملياراً وثلاثَمئةٍ وتسعةً وسبعين مليوناً. لكن الصين التي جعلت هيئةُ الأمم المتحدة لغتَها لغةً رسميةً من لغاتها لم تكن هذه التي نعرفها هذه الأيام، بل كانت فرموزا التي كان يحكمها (چيانغ كاي شك)، وتدعى الآن تايوان، وهي جزيرةٌ عددُ سكّانها في هذه الأيام يقربُ من ثلاثةٍ وعشرين مليون نَسَمة، أي إن الصين التي اعتُرف بلغتها لغةً رسمية آنذاك، والتي احتلَّت مقعداً دائماً في مجلس الأمن، كانت تعادل ٦٪ من عدد سكّان الصين.

وهذا مثال صارخ على أن الاعتراف بعالمية اللغات يعتمد اعتماداً كبيراً على السياسة والقوَّة. ولكن فلننظر قليلاً في هذه اللغات العالمية التي تعترف منظمة الأمم المتَّحدة بأنها لغاتٌ عالمية يمكن استعمالها في الوثائق التي تصدر عنها.

تتفاوت الأرقام المتوافرة على الشابكة تفاوتاً ملحوظاً. هذه أرقام مأخوذة من هذا الموقع: http://aboutworldlanguages.com/international-languages

١- اللغة الصينية المندرينية: عدد الناطقين بها بليونٌ ومئةُ مليون.

٢- اللغة الإنكليزية: عدد الناطقين بها ٩٨٣ مليوناً.

٣- اللغة الهندوستانية: عدد الناطقين بها ٥٤٤ مليوناً.

٤- اللغة الإسبانية: عدد الناطقين بها ٥٢٧ مليوناً.

٥- اللغة العربية: عدد الناطقين بها ٤٢٢ مليوناً.

هذه الأرقام تشير إلى عدد من يتكلّمون هذه اللغات، سواء أكانت هذه اللغات هي اللغات الأمّ أم اللغات المستخدمة في الحياة اليومية. ولإيضاح الفكرة أقول: إن في الأردن أعداداً من الشركس والشيشان الذين يتكلّمون اللغة العربية في الشارع والسوق والمدارس والدوائر الرسمية، ولكنهم يتكلَّمون اللغة الشركسية أو الشيشانية في البيت والمناسبات الخاصَّة بهم، وقل مثل ذلك عن أمازيغ شمال أفريقيا، ونسبة كبيرة من أكراد العراق وسورية. وقد وضع أحد المواقع عدد من يتكلَّمون العربية بصفتها اللغة الأمّ عند حدود ثلاثمئة وخمسة عشر مليوناً.

ماذا يعني ذلك؟ ينصّ أحد المواقع على الشابكة أن الأسباب الكامنة وراء اختيار اللغات لتكون لغات رسمية في هيئة الأمم المتَّحدة أسباب سياسية بالدرجة الأولى. ومن الواضح أن كلمة "سياسية" ليست صفة لغوية لها علاقة بالفصاحة أو سهولة التعلُّم أو كثرة المفردات، بل هي صفة تشير إلى المصالح والصراع، المعلنِ منه والخفيّ. ولكن لا شكّ في أن أعداد الناطقين بلغة من اللغات لها دور، ولكن الدور الأكبر تستحوذ عليه السياسة وليس الأعداد. وقد نظرتُ في قائمتين منشورتين على الشابكة ترتّبان اللغات العشرة الأولى حسب أعداد الناطقين بها فوجدت بينهما بعض الاختلاف في الترتيب وإن بقيت اللغات العشر هي هي، وهذا هو الترتيب في إحداهما:

١- الصينية، عدد الناطقين بها حوالي بليون وثلاثمئة مليون نسمة.

٢- الإسبانية، عدد الناطقين بها ٤٤٢ مليون نسمة.

٣- الإنكليزية، عدد الناطقين بها ٣٧٨ مليون نسمة.

٤- العربية، عدد الناطقين بها ٣١٥ مليون نسمة.

٥- الهندية، عدد الناطقين بها ٢٦٠ مليون نسمة.

٦- البنغالية، عدد الناطقين بها ٢٤٣ مليون نسمة.

٧- البرتغالية، عدد الناطقين بها ٢٢٣ مليون نسمة.

٨- الروسية، عدد الناطقين بها ١٥٤ مليون نسمة.

٩- اليابانية، عدد الناطقين بها ١٢٨ مليون نسمة.

١٠- البنجابية، عدد الناطقين بها ١١٩ مليون نسمة.

قد لا تكون هذه الأرقام دقيقة، وقد يختلف الترتيب من قائمة إلى أخرى، لكن الملاحظ أن هذه القائمة تخلو من اللغة الفرنسية، بينما اللغة الفرنسية واحدة من اللغات الأصلية في الأمم المتَّحدة، وواحدة من اللغات المستعملة رسميّاً في مداولات الجمعية العامة للأمم المتَّحدة. وليس السبب أن فرنسا كانت إحدى الدول الاستعمارية الكبرى في الماضي فقط بل هو أن اللغة الفرنسية كانت لغة الدبلوماسية في الماضي وأن الثقافة الفرنسية ما تزال من أهم ثقافات العالم، وأن باريس ما تزال عاصمة الثقافة العالمية في العصر الحديث رغم ما تتمتَّع به لندن ونيويورك من أهمية.

أقصد من هذا الكلام أن أقول: إن القوَّة العسكرية –على أهمِّيَّتها– ليست هي العامل الحاسم في جعل اللغة لغة عالمية. ولو كانت القوَّة العسكرية هي العامل الحاسم لكانت العبرية هي أقوى اللغات في الوقت الحاضر لأن إسرائيل تهيمن على أمريكا وما تملكه من القوّة العسكرية كما فهمنا مؤخَّراً من أقوال الرئيس (دونَلْد تْرَمْپ) وأفعاله. وقد استعملتْ إسرائيل هذه القوَّة فعلاً لتدمير العراق، وقد تستعملها في المستقبل إن دعت الحاجة. ولكن من غير المتوقَّع أن تصبح اللغة العبرية لغةً عالمية لأن أغلب اليهود يعيشون في بلادٍ تَستعمل لغات أخرى. ومع أن لليهود في تلك البلاد مساهماتٍ كبيرةً في ثقافتها فإن تلك المساهمات تَستعمِل لغاتِ البلاد التي يعيشون فيها، ولا يكتبون بالعبرية. ولذلك فإن الكتّاب اليهود من أمثال آرثر مِلَر، ونورمَن مَيْلَر، وسول بيلو، وغيرِهم ينتمون إلى الأدب الأمريكي وليس إلى الأدب الإسرائيلي.

ماذا يعني ذلك للغة العربية؟ فلنسلِّم أوّلاً بأن العالم العربي مجزَّأ، وأنه ربما كان في طريقه إلى مزيد من التجزئة، وأن فكرة الوحدة لم تعد تخطر على بال أحد، ولو خطرت فإنها لا تُحمَل على مَحمَل الجِدّ، لا من الحكومات ولا من الجماهير العربية، وأن الجامعة العربية تحوَّلت إلى مؤسسة شكلية يجتمع فيها ممثِّلو الدول العربية –بحكم العادة– اجتماعاتٍ أقربَ إلى السياحة منها إلى الفعل الجِدّيّ المفيد. لكن هل يعني ذلك أن اللغة العربية في طريقها إلى التفتُّت والزوال؟ أحسب أنكم جميعاً قد لاحظتم أن حواسيبكم تسألكم عندما تختارون الطباعة باللغة العربية أن تختاروا اللغة العربية التي تفضّلونها: هل هي لغة الأردن أم المملكة العربية السعودية؟ وأقدِّر أن الخيارين المتاحين للسوداني هي العربية السودانية أو المصرية، وهكذا مع بقية الدول العربية. والفرضية الكامنة وراء هذه الخيارات هي أن العربية لهجاتٌ، وأن مستعمل الحاسوب سيستعمل العربية المحلّية وليس العربية الفصيحة التي لا تختلف بين الأردن والسودان وتونس. ولكي لا نسيء الظن بغوغل لا بدّ أن نلاحظ أيضاً أن الحاسوب يسألنا إن كنا نريد أن نستعمل إنكليزية الولايات المتَّحدة أو إنكليزية المملكة المتّحدة، ففيهما تختلف التهجئة في بعض المواقع، ويعطيك الحاسوب إشارة تقول إن هذه التهجئة أو تلك خطأ من وجهة نظر الإنكليزية التي اخترتها. ولا تكمن وراء الإنكليزيتين نيَّةُ القول إنهما لغتان مختلفتان. أكثرُ ما يقال إن هناك (British English وAmerican English)، كما قد نقول نحن "لهجة مصر" و"لهجة العراق" دون الإيحاء بأننا نتكلَّم عن لغتين مختلفتين. لكن هنالك من يدَّعي أن اللهجات العربية لغات وليست لهجات فقط. انظر https://www.fluentin3months.com/msa-or-dialect/.

هذا الموقع لا يتحرَّج من الحديث عن اللغات العربية، والحجّة عند صاحب الموقع هي أن عرب المشرق لا يفهمون عرب المغرب، وأن الأوروبي الذي يتعلم العربية الفصيحة سيجد أن من الصعب عليه أن يتفاهم مع الناس في الشوارع والأسواق لأن الناس سيستهجنون لغته الفصحى، وهو لن يفهم لهجتهم المحلية. وإليكم هذا الاقتباس الطريف من أحد المواقع على الشابكة:

"تضع الإحصاءات الحديثة أعداد العرب الناطقين بالعربية بصفتها اللغة الأم عند حوالي مائتين وخمسين مليوناً، ولكن هذه حكاية أخرى عن كون الأعداد لا تفصح عن الحقيقة الكاملة: فالعربية، شأنها شأن اللغة الصينية، يبلغ من اختلاف لهجاتها أن بإمكاننا القول إنها تتكوَّن من لغات توصف بأنها لغة واحدة لما في ذلك من تبسيط. فاللغة العربية المعتمدة الحديثة هي بالدرجة الأولى لغة الكتابة، وهي تتصل اتّصالاً وثيقاً بلغة القرآن الكلاسيكية. أما الأشكال المحكية من العربية في عُمانَ ومراكشَ على سبيل المثال فيبلغ من اختلافها أنه لو التقى أستاذان في الفلسفة لتمكَّنا من بحث الأمور الفلسفية الدقيقة ولوجدا صعوبة بالغة في طلب وجبة الغداء".

https://www.babbel.com/en/magazine/the-10-most-spoken-languages-in-the-world/

لكن هل هذه حالة تنفرد بها اللغة العربية دون سواها؟ كلُّ اللغات فيها مستويان على الأقل يسمّيان (formal) و(informal) في الإنكليزية، أو الفصيحة والعامِّية في العربية، أو المكتوبة والمحكية في بقية اللغات، هذا إلى جانب اللهجات المحلِّية التي يصعب على أهل اللغة نفسها فهمها إلا بمقدار. وإذا عدنا إلى اللغة

العربية نجد أن العرب في جميع أنحاء العالم العربي لا يجدون صعوبة تذكر في فهم نشرات الأخبار –سواء أكان من يقرأها مصريّاً أو عراقيّاً أو سودانيّاً أو مغربيّاً– أو فهم الصحف المكتوبة باللغة العربية مهما كان المكان الذي تصدر فيه.

غير أن اللغة العربية تتميَّز عن اللغات الأخرى بميزة أحسبها تنفرد فيها، وهي أن بنيتها اللغوية حافظت على قدْرٍ كبيرٍ من الثبات منذ ما يزيد على ستَّةَ عشر قرناً، بحيث يستطيعُ تلاميذُ المدارس في شتى مراحلها أن يحفظوا، لا بل أن يفهموا، أبياتاً من الشعر الجاهلي، ومن شعر العصور الإسلامية المختلفة بأقل ما يمكن من الشرح والتفسير.

لكن لا شكَّ في أن العامل الحاسم في احتفاظ اللغة العربية ببنيتها طوال هذه القرون هو نزول القرآن الكريم بها وانتشار الإسلام بين الأمم في مشارق الأرض ومغاربها، واحتفاظ الإسلام بهذا النصِّ كما نزل، وما تبع ذلك من تثبيت النصّ القرآني ونهوض علماء اللغة بخدمته خدمةً لا مثيل لها بحيث استقرّ هذا النصُّ بعد الإعجام والتحريك على الشكل الذي نعرفه في هذه الأيّام. هذا النص، هو وما يرافقه من حديث نبوي، حظي بخدمة خاصَّة به، ينتشر الآن في مختلف بقاع العالم بين ما لا يقلُّ عن سُدسٍ، إن لم نقل عن خُمسٍ، سكّان المعمورة. وهذا يجعل من مقولة أن اللغة العربية لغةٌ عالميةٌ أشبه بتحصيل الحاصل رغم كلِّ ما قد يقال عن ضعف العالم العربي والخشية عليه من التجزئة، ورغم كلّ المحاولات التي جرت للتتريك والتمصير والفَرْنَجة، وكلِّ المحاولات الخرقاء التي جرت للتخلّي عن الحرف العربي.

غير أن التسليم بأن اللغة العربية لغة عالمية لا ينهي الموضوع بل يبدأه. واسمحوا لي هنا أن أتناول ثلاث مفارقات تثير الدهشة: أوّلها أن العالم العربي في الوقت الحاضر يستوردُ كثيراً من العمالة الأجنبية، لا سيّما من شبه القارَّة الهندية والفلبين وأفريقيا، دون أن يَشترِطَ إجادةَ هؤلاء العمّال حدّاً أدنى من معرفة اللغة العربية، وهي معرفةٌ يمكن أن يحصلوا عليها في بلادهم أو في االدول العربية التي يريدون العمل فيها في معاهد تنشئها الدول العربية لهذا الغرض. وهذه عملية يمكن أن ينتج عنها شيئان إيجابيّان: أولهما نشر اللغة العربية في العالم، وثانيهما تحقيق دخل لا بأس به. أما ما يحصل فهو أن التفاهم يجري في كثير من الحالات بلغة وسيطة هي في العادة اللغة الإنكليزية. فالأمر المعتاد في بقية أنحاء العالم هو أن العمالة الأجنبية مضطرَّة لتعلم لغة البلد الذي تنوي العمل فيه.

أما المفارقة الثانية فهي أن هذا العالم العربي الذي يزهو بأن لغته العربية لغةٌ عالمية لا يثق بهذه اللغة ثقة تجعله يؤمن بأن هذه اللغة تصلح للتعليم الجامعي في مجال العلوم، ولذلك فإن مدرّسي الموادّ العلمية في الأقسام العلمية يعارضون الدعوات الخاصة بتعريب التعليم الجامعي بحجَّة أن اللغة العربية تحتاج إلى المصطلحات العلمية لأن العلم ينشأ في الغرب، ويكتب باللغات الأخرى، لا سيّما اللغة الإنكليزية. أنا أعرف أن هذه القضية قضيةٌ قديمةٌ جديدة، وأن مجمع اللغة العربية الأردني قد وقف جانباً كبيراً من جهوده من أجل تعريب التدريس الجامعي، وأعدَّ لذلك بعض الكتب التي تصلح للاستعمال في بعض الموادّ العلمية، ولكن هذه الجهود لن تثمر ما لم يُتَّخذ القرار السياسي بتعريب التعليم في كافَّة التخصُّصات. لا شكَّ في أن القرار لن يعجب الكثيرين ممن يزهون بالتحدُّث باللغة الأجنبية، وسيأتون بأعذارٍ كثيرةٍ نعرفها

كلَّها. البدايات صعبة دائماً، ولكنها تذلَّل بالإرادة والعمل الدؤوب، سواء منه الفرديُّ أو الجماعي.

أما المفارقة الثالثة والأخيرة فهي أن هذه اللغة العالمية، لغةَ الدين والدولة في بلد عربيٍّ كالأردن، تحتاج إلى قانونٍ لحمايتها، قانونٍ ما يزال يواجه صعوبات في التطبيق. إن القانون الذي يُكتَب دون أن ينفَّذ، أو لا يراد له أن ينفَّذ، يبقى حبراً على ورق. وما نرجوه هو أن يتحوَّل الحبر على الورق إلى أفعال في الشوارع والمكاتب والشركات ودوائر الدولة. وإلا فما الفائدة من إقناع السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية لِسَنِّ قانون لا تتوافر النية لتطبيقه؟

**نعم: اللغة العربية لغة عالمية، لكن على أهلها أن يحترموها أوّلاً.**

# اللغة العربيّة لغة عالميّة

**الأُستاذ الدكتور همام غصيب**

**عضو مجمع اللغة العربية الأُردنيّ**

**أُستاذ الفيزياء النظرية/ الجامعة الأُردنية**

**الثلاثاء ١١ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ – الموافق ١٨ كانون الأول ٢٠١٨م**

## المُلَخَّص

إنّ اللغة العربيّة لغةٌ عالميّةٌ دون أدنى شك. ويَترتّب على ذلك مسؤوليّاتٌ جِسام علينا جميعًا. فلغتنا تُناشدُنا بأنْ نسعى على الدوام لإغنائها بأرقى الأعمال الأدبيّة والعلميّة وغيْرها، التي من شأنها أنْ تجد طريقها إلى الشابكة (الإنترنت). فالمحتوى العربيّ بلغة ناصعة ما زال أقلّ بكثير من مُبتغانا. وفي ذلك فليتنافس المُتنافسون.

لكنّ عالميّة اللغة –أيّ لغة– تحمل في ثناياها جُرثومتيْن خطيرتيْن؛ أولاهما: أنّ اللغة السائدة [عالميًّا] في أغلب الحالات تكون مُهشّمة "مُكسّرة" مُشوّهة؛ أي أبعد ما تكون عن اللغة السليمة. وغالبًا ما تكون هجينة أو خليطًا من الأصل ولغاتٍ محلّيّة أخرى، وثاني هاتيْن الجُرثومتيْن: أنّ الاهتمام [في المهاجر] باللغة الأمّ ومدى إتقانها يتضاءلان مع تعاقُب الأجيال.

كيف نتصدّى لهاتيْن الجُرثومتيْن؟ هنا تأتي "توصية" هذه الورقة؛ هذا إنْ كان لا بُدّ من توْصية! وهي أنْ نُعزّز وندعم بكلّ طاقاتنا وقوانا مراكز تعليم اللغة العربيّة للناطقين وغيْر الناطقين بها، سواء بسواء، مادّيًّا ومعنويًّا؛ ليس داخل "الوطن" العربيّ وحسبُ، وإنّما أيضًا في العالم الإسلاميّ وسائر أرجاء المعمورة، حيثما يُوجد إقبال على تعلُّمها. ولا بُدّ من الحِرص الشديد على مستوى مراكزَ كهذه؛ فلا مكانَ هنا إلّا لأعلى المُستويات.

**المُقدّمة**

راق لي هذا العنوانُ الذي اختاره المجمع، ليس فقط لمضامينه الثرّة؛ وإنّما أيضًا لأنّه غيْرُ متبوع: لا بعلامة استفهام، ولا بعلامة تعجُّب، ولا حتى بعنوان فَرْعيّ! فهو يُعبّر عن واقع الحال بصدق وأسلوبٍ بسيطٍ مُباشر؛ بعيدًا عن المُبالغة والتهويل، أو الحماسة الزائفة والإنشائيّة الزائدة.

نعم! لغة الضاد لغةٌ عالميّة. وغنيّ عن القول أنّنا نتحدّث هنا عن الحاضر؛ وليس عن الماضي المجيد الذي كانت فيه لغتُنا تجول وتصول في أركان العالَم [القديم] الأربعة. فلا أحدَ من الباحثين الموضوعيّين يستطيع أنْ يُنكر ذلك. ولم تكن "عالميّتُها" نابعة من كوْنها لغةَ القُرآن الكريم وحسْبُ (مع أنّ هذا كان، ولا يزال، العاملَ الأوّل وراء انتشارها المُذهل، وتعلُّمها وتعليمها)؛ وإنّما أيضًا لأنّها كانت لغة المُعامَلات التجاريّة والديوانيّة (منذ عهد الخليفة الأمويّ عبدالملك بن مروان)، ولغةَ العلم العالميّة، بل لغة الحضارة العربيّة الإسلاميّة بكلّ رؤْنقها وعلى امتداد طيْفِها الواسع من شتى فروع المعرفة[١].

نعم! كانت لغةَ المعرفة على مدى قرون وقرون؛ ليس فقط زمن أوج حضارتنا وتألُّقها وازدهارها (أعني القرنيْن الرابع والخامس الهجريّيْن/ العاشر والحادي عشر الميلاديّيْن)؛ وإنّما أيضًا في العصور المُتأخّرة. وحسبنا في هذا الصدد أنْ نتأمّلَ قليلًا في أثرها المُذهل في دور العلم والمعرفة الأوروبيّة التي اعتمدت كتبًا طبّيّةً عربيّة لابن سينا وابن النفيس وابن زُهر وغيرهم[٢]؛ عدا تأثّر تلك الدور العميق بالمنهجيّات العلميّة وطرائق التفكير والتحليل والتفكيك والمُصطلحات العلميّة التي أبدعها وابتكرها

أسلافُنا العظام[٣]. ولَكُمْ أنْ تتصوّروا كيف كانت لغتُنا تتهادى على امتداد "طريق الحرير" الذي لمْ يتركْ خاصرةً في "العالم القديم" إلّا وطوّقها[٤]. ذلك أنّه امتدّ على مدى ستّة آلاف وخمسمئة كيلومتر إلّا قليلًا: من الصين في أقاصي الشرق على شواطئ المُحيط الأطلسيّ، مرورًا بالهند وأوراسيا ("قلب العالَم القديم")، بما في ذلك أراضٍ شاسعةٌ في روسيا وتخومها، وبلاد الفرس والعرب، حتى القرن الأفريقيّ وما بعده، وشواطئ البحر الأبيض المتوسّط. فـ"البحر العظيم"، كما سُمِّي، كان امتدادًا طبيعيًّا لطريق الحرير؛ مَثَلُه في ذلك مثَل "النهر العظيم"، أي وادي النيل بحضاراته وشعوبه. فكان للغتنا دوْرٌ وأيّ دوْر في الحياة العملية وفي العلم، سواءٌ بسواء؛ بما في ذلك "العلمُ الكبير". وهذا تعبيرٌ بدأ يَشيع بُعيْد الحرب العالميّة الثانية إثرَ تأسيس مُنظمة "سيرن" للبحوث النوويّة وفيزياء الجُسيْمات[٥]، وأمثالها؛ حيث المُوازناتُ الضخمة والفِرَقُ البحثيّة الكبيرة والمُختبراتُ المتطوّرة والجنسيّاتُ المتعدّدة، وغيْرُ ذلك. فبعض معالم العلم الكبير كانت واضحةً في مرصد مراغة الذي أسّسه نصير الدين الطوسيّ عام ٦٥٧هـ/١٢٥٩م في أذربيْجان الشرقيّة بإيران. مثال بارز آخر: مرصد سمرقند الذي بناه الأمير (فيما بعد الملك) أولوغ بيك، حفيدُ تيْمورلنك، قبل ستّة قرون.

أقول كلّ ذلك ليس من قبيل "الماضويّة" أو التعصُّب والتفاخُر؛ وإنّما من باب التأصيل والتأثيل، وجنْي الدروس والعِبَر لحاضرنا، وتعميق وِجداننا، وترسيخ وعينا الجغرافيّ والتاريخيّ. فالتاريخ والجغرافيا معًا يُمثّلان عاملًا مُهمًّا آخرَ من عوامل عالميّة لغتنا في الوقت الحاضر. أُكرِّر: عالميّة الضادّ في الماضي وثيقة الصلة بعالميّتها في الحاضر.

**بأيّ معنًى أو معانٍ نقول بكلّ ثقة وثبات: "إنّ اللغة العربيّة لغة عالميّة"؟**

قد يَستهجن مُتشكّكون كُثُر هذه المقولة؛ بل قد يَستهزئون بها. ولسان حالهم في ذلك يَصرُخ في وجوهنا قائلًا: ألا تستشعرون الهوان الذي تُعانيه لغتُنا على أيدي أبنائها في كلّ مجال؟ ألا تَذكرون تلك الدراسات "العلميّة الميْدانيّة الإحصائيّة التحليليّة" التي أصدرتها لَجنتُكم الجليلة، "لَجنة النهوض باللغة العربيّة" [واسمُها الكامل: اللَّجنة الوطنيّة الأردنيّة للنهوض باللغة العربيّة للتّوجّه نحو مُجتمع المعرفة]، عن صورة لغتِنا وواقعها المُرّ في وسائل الإعلام والاتّصال[٦]، وفي ميْدان التواصُل على الشابكة (الإنترنت) والهاتف المحمول[٧]، وفي القضاء الأردنيّ وكلّيّات الحقوق في الجامعات الأردنيّة[٨]؛ عدا الدراسات المُستفيضة التي هي الآن في طريقها للنشر عن واقع لغتنا في جامعاتنا عمومًا، وأوضاع مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها[٩]؟ فنحن نشهد يوميًّا كيف "تُذبَح" اللغة العربيّة من الوريد إلى الوريد على أيدي مَنْ يجب أنْ يكونوا سدنتَها من قادةٍ ومُتنفّذين في كلّ الحقول والمؤسّسات والجامعات والمعاهد. كما نراقب بقلقٍ بالغ انتشار "العَربيزيّة" في المشرق العربيّ و"العَرنسيّة" في المغرب، انتشارَ النار في الهَشيم؛ لا سيّما بيْن أوساط الشباب الذين يُشكّلون ما يُناهز سبعين بالمئة من السكّان في "وطننا" العربي الكبير.

كذلك، لم تعد لغةُ الضادّ لغةَ العلم [والتكنولوجيا] العالميّة منذ قرون وقرون. فهذه المكانة تحتلّها –بلا مُنازع، منذ قرنٍ من الزمان، على الأقلّ– اللغةُ الإنجليزيّة. ولا عجب! فبَعْدَ الإمبراطوريّة البريطانيّة، التي "لم تكن الشمس تغيب عن أراضيها المترامية"، كما قيل، هبّت علينا الإمبراطوريّة الأمريكيّة، بعُقدة تفوّقها ومن ثمّ اعتقادها

الراسخ بحقِّها في الهيْمنة على المعمورة واستعباد الشعوب؛ أي سحق روحها ووجدانها ولغتها. هذا كان –وما زال، للأسف– الجانبَ المُظلم للحضارة الغربيّة عمومًا؛ على النحو الذي كتب عنه بعُمق مُذهل وتبصُّرٍ نادر إدوارد سعيد في كتابيْه القيّميْن "الاستشراق"[١٠] و"الثقافة والإمبرياليّة"[١١]. فلم تتورّع هذه الحضارة عن استغلال "القوّة الناعمة" (أي الثقافة)[١٢] و"القوّة الذكيّة" (أي الثقافة زائد التفوّق العسكريّ)[١٣] لترويض الشعوب. يقول صموئيل هَنتنغتن (Samuel Phillips Huntington) (١٩٢٧–٢٠٠٨) –في لحظة إنصاف وصفاء ذهنيّ– إنّ الغرب "كسَب العالم ليس بتفوّق أفكاره أو قِيَمِه أو دياناته [وأضيف هنا لغاته]؛ وإنّما بتفوّقِه في تطبيق العُنف المُنظّم"[١٤]. وغنيّ عن القوْل أنّ اللغة الإنجليزيّة تبوّأت هذه المكانة لأسبابٍ أخرى أيضًا؛ من أهمِّها: أنّ الأمريكان تمكّنوا بإغراءاتٍ عِدّة من استقطاب خِيرة الكفاءات العلميّة والتكنولوجيّة من كلّ فجٍّ وصوْب إلى بلادهم وصَهْرها في بوْتقتها. يُضاف إلى ذلك أنّ القطاعيْن العام والخاصّ لا يتردّدان في ضخّ المُوازنات الهائلة والإمكانات التي لا تنضب في "العلم الكبير" والمشروعات العملاقة؛ خصوصًا العسكريّة، وفي علوم الطاقة والبيئة والفضاء والموادّ والتكنولوجيا الحيويّة وتكنولوجيا النانو.

ومع ذلك، تقول هيئة الأمم المتّحدة، بمؤسّساتها الأمميّة المُختلِفة، ونقول نحن – بكلّ موْضوعيّة– إنّ اللغة العربيّة لغة عالميّة؛ وذلك للأسباب الآتية:

(أوّلًا) إنّ لغتنا هي لغة القُرآن الكريم. فهو حافظها وحاميها ومَرْجِعيّتها. ولا يُقرأ إلّا بلسانٍ عربيّ "غيْر ذي عِوَج". وما ترجماته إلى لغاتٍ مُختلِفة إلّا ترجماتٌ لمعانيه. إذًا، حيثما ينتشر الإسلام، تنتشر العربيّة بالضرورة. فالاثنان لا ينفصمان، ولن ينفصما أبدًا. وبالأرقام: هنالك ١,٨ مليار مُسلم في العالم؛ أي ربع المعمورة (البالغ

عدد سكّانها، وَفْقًا لتقديرات عام ٢٠١٧، أكثر من ٧,٢ مليار نسمة)[١٥]. وهم يتزايدون باطراد؛ فهذه النسبة في تزايُدٍ مُستمرّ؛ لا سيّما أنّ أعداد الفئات الأخرى على امتداد العالم في تراجُع. ماذا يَعني ذلك؟ يَعني أنّ الإسلام لم يعُد محصورًا جغرافيًّا فيما يُسمّى تقليديًّا "العالم الإسلاميّ"، بما في ذلك "الوطن" العربيّ؛ بل هو الآن راسخٌ تمامًا في قارّات العالم كلّها بلا استثناء. وأصبح للمُجتمعات (ولا أقول "الجاليَات") الإسلاميّة ممثّلون مُقدّرون في البرلمانات الأوروبيّة وغيْرها؛ وحتى مؤخّرًا، انتُخبت –لأوّل مرّة– مُسلمةٌ عضوًا في الكونغرس الأمريكيّ[١٦]. فالإسلام أضحى في قلب الغرب! وهذا يَعني أيضًا مسؤوليّةً مُتعاظمةً مُلقاةً على عاتق المَعنيّين بتعليم اللغة العربيّة للناطقين وغيْر الناطقين بها، على حدّ سواء؛ حتى يتعلّمَ الجميع كيف يَقرؤون الكتاب الكريم بفهمٍ ووعْي، وكيف يُتقنون العربيّة الفصيحة ما أمكن، أو السليمة على الأقلّ، نُطقًا وكتابةً. فإتقان العربيّة يُعدّ شرفًا لا يُضاهى لكلّ مُسلم.

(ثانيًا) إنّ العربيّةَ واحدةٌ من اللغات الرسميّة الستّ للأمم المتّحدة[١٧]؛ وهي العربيّة والصينيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة والروسيّة والإسبانيّة. وهذا اليوم (١٨ كانون الأوّل/ ديسمبر) هو ذكرى اعتماد العربيّة لغةً رسميّةً في جميع أعمال المنظّمة الأمميّة. وهيئة الأمم تعجّ بالمهنيّين اللغويّين، كما يُدعَوْن. وهؤلاء يُناضلون، بكلّ معنى الكلمة، كي يُتقنوا الترجمة من واحدة من هذه اللغات إلى أخرى؛ فلا خيارَ لهم في مهنتهم إلّا أنْ يلتزموا بالدقّة اللامتناهية، درءًا للالتباس وسوء الفَهم. ويُكافحون –بالنسبة للغتنا– في خِضمّ المُصطلحات؛ من حيث التأثيرُ الأنجلوفونيّ في المَشرق العربيّ، والفرانكوفونيّ في المغرب العربيّ. ونجد في الهيئة دائرةً للترجمة التحريريّة، وأخرى للترجمة الشفهيّة (أو الفوْريّة). ولم يأتِ قرار الاعتماد هذا جُزافًا. فالعربيّة من أقدم لغات العالم وأعرقها[١٨]. كما أنّها أوسع اللغات الساميّة انتشارًا؛ بل إنّ ترتيبَها في العالم بأسره من حيث سَعةُ الانتشار هو الرابع، من بيْن سبعة آلاف لغةٍ تقريبًا، أكثرُ من نصفها مُهدّدٌ بالانقراض. هاكُم بعضَ الإحصائيّات في هذا الصدد[١٩]:

| اللغة | ترتيبها | نسبتها المئويّة |
|---|---|---|
| (من حيث سَعةُ الانتشار) | (إلى عدد سكّان العالم) | |
| الإنجليزيّة | الأولى | %٢٥ |
| الماندرين (الصينيّة) | الثانية | ١٨,٠٥ |
| الهنديّة | الثالثة | ١١,٥١ |
| **العربيّة** | **الرابعة** | **٦,٦٦** |
| الإسبانيّة | الخامسة | ٦,٢٥ |
| الروسيّة | السادسة | ٣,٩٥ |
| البرتغاليّة | السابعة | ٣,٢٦ |
| البنغاليّة | الثامنة | ٣,١٩ |
| الفرنسيّة | التاسعة | ٣,٠٥ |
| الألمانيّة | العاشرة | %٢,٧٧ |
| أخرى | | %١٦,١٢ |

وهذه الإحصائيّات أبلغ من أيّ تعليق. ولا ننسى هنا الجالياتِ العربيّةَ في المهاجر، التي تضمّ عربًا مسيحيّين (ولا أقول "مسيحيّين عربًا"). وهؤلاء عُمومًا

حافِظون للعهد والانتماء إلى أصلهم وفصلهم، وإلى لغتهم. وهذه الجاليات هاجرت أو هُجِّرت، كما هو معروف، نتيجةً لعواملَ سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ واجتماعيّة وحتى بيئيّة.

(ثالثًا) الإرث الجغرافيّ التاريخيّ: أكّدْتُ في **المُقدّمة** الصلةَ الوثيقة لماضينا بحاضرنا عن طريق الجغرافيا والتاريخ. وهذا إرث حيّ في تضاريسه العامّة وفي تفصيلاتٍ مُتعدّدة. وهو مَنجم ذهبٍ للباحثين في فروعٍ معرفيّةٍ عِدّة؛ بما في ذلك التاريخ، وتاريخ العلوم والتكنولوجيا، وتفاعل الحضارات عبْر العصور المُختلِفة، ودراسة الظواهر الفلكيّة التي بطبيعتها تحتاج إلى زمنٍ طويل –ربّما مئات السنين– لرصدها وتحليلها علميًّا. وأكتفي هنا بذكر مثاليْن مُذهليْن على ذلك؛ الأوّل: كتاب آرثر كيستلر (١٩٠٥–١٩٨١) الجدليّ المشهور عن "القبيلة الثالثة عشرة"[٢٠]، الذي حاجج فيه أنّ أصل يهود أوروبا الشرقيّة يعود إلى إمبراطوريّة الخزر التي سادت – قبل أفولها– بيْن بحر قَزوين والبحر الأسود. فمن أهمّ مصادره التاريخيّة كانت كتابات ابن فَضْلان، والإصطخري، وابن حوْقل، والمَسعودي، والمقدسي، وياقوت الحمويّ. أمّا الثاني، فهو: بحث طريف لثلاثة باحثين في علم الفلك، نُشر في المجلّة العلميّة البريطانيّة المرموقة "الطبيعة" (نيتشر) (Nature) عام ١٩٧٨[٢١]، يُثبتون فيه أنّ أسلافَنا العظام رصدوا وسجّلوا الانفجار "الفوق نجميّ" (المُستعر) الذي حدث في سديم السرطان عام ٤٤٥هـ/١٠٥٤م. وكان العلماء المُتخصّصون حتى تلك اللحظة مُستغربين من عدم وجود أيّ دليل على أنّ العالم العربيّ الإسلاميّ سجّل هذه الظاهرة الفلكيّة البارزة. والطريف في الأمر أنّ الباحثين الثلاثة عثروا على الدليل المنشود في موْسوعة ابن أبي أُصيْبِعة المُذهلة "عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء"[٢٢] [في ترجمتَي الطبيبيْن ابن بطْلان، وابن رضْوان]؛ على أساس أنّ أطباء ذلك الزمان كانوا يَربطون

الظواهر الفلكيّة بالأوْبئة التي تَعصف بالشعوب، وبالعلل والأمراض التي تُصيب الجسد من أدرانٍ وسواها. أضف إلى ذلك مُلاحظات فلكيّة كثيرة عن ألوان النجوم، التي تتغيّر عبْر الزمان؛ مُفصحةً عن السيْرورات الفيزيائيّة التي تجري داخلها. أليس كلّ هذا وغيْره يَشحذ الذهن ويحفزنا على إعادة النظر في بعض ما جاد به تُراثُنا الزاخر؟ وأحسبُ أنّ احتفال العالم –في السنة الدوْليّة للضوْء ٢٠١٥– بألفيّة كتاب "المناظر"[٢٣] لابن الهيْثم العظيم إنْ هو إلّا تأييدٌ لهذه الفكرة.

(رابعًا) تزايُد الإقبال على تعلُّم اللغة العربيّة في الغرب والصين وغيْرهما[٢٤]. وما زلنا نذكر التقرير الذي تناقلتْه وكالات الأنباء العالميّة قبل بضع سنوات (عام ٢٠١١) بأنّ أعداد المُقبلين على تعلُّم اللغة العربيّة في المملكة المُتّحدة فاقت –لأوّل مرّة– أعداد المُقبلين على تعلُّم الماندرين (الصينيّة). ولم يكنْ ذلك نشازًا؛ وإنّما أصبح القاعدةَ السارية في بلدان مُتعدّدة. ومع هذا الإقبال المُنقطع النظير، تتعاظم مسؤوليّة المَعنيّين بتعليم العربيّة لغيْر الناطقين بها في كلّ مكان. أمّا الدوافع وراء تلك الرغبة الجامحة في تعلُّم العربيّة، فتتعدّد بتعدّد الأهداف؛ من تفانٍ في العلم، إلى تيسير التعامل مع رجال الأعمال العرب، إلى دوافعَ سياسيّة خبيثة أشبه بدوافع كثيرٍ من المُستشرقين (وليس كلّهم، طبعًا).

## المراجع والهوامش

(١) عبّاس محمود العقّاد: **أثر العرب في الحضارة الأوروبيّة**، طبعة مكتبة الأسرة الأردنيّة/ مهرجان القراءة للجميع، وزارة الثقافة، عمّان، ٢٠١٧. ألدو ميلي: **العلم عند العرب وأثره في تطوّر العلم العالميّ**؛ نقله إلى العربيّة: محمّد يوسف موسى، عبدالحليم النجّار؛ مُراجعة [على الأصل الفرنسيّ]: حسين فوْزي، دار القلم، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م.

(٢) هاني المُبارك، شوقي أبو خليل: **دوْر الحضارة العربيّة الإسلاميّة في النهضة الأوروبيّة**، دار الفكر، دمشق/ الفكر المُعاصر، بيْروت؛ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٣) رشدي راشد، بمعاونة: ريجيس مورلون (إشراف): **موْسوعة تاريخ العلوم العربيّة**، ثلاثة أجزاء، فصول مُتعدّدة لمجموعة من الباحثين والمترجمين؛ مركز دراسات الوحدة العربيّة ومؤسّسة عبدالحميد شومان، بيروت، ط١، ١٩٩٧. قدري حافظ طوقان: **تُراث العرب العلميّ في الرياضيّات والفلك**، جامعة الدول العربيّة/ الإدارة الثقافيّة، دار القلم، القاهرة، ط٣، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.

(٤) هُمام غَصيب: "من وحي طريق الحرير: دروس وعِبَر"، أوراق [مجلّة رابطة الكُتّاب الأردنيّين]، العدد ٤٥، ٢٠١٨؛ ص١٣٥-١٤٠.

(٥) كلمة سيرن مُشتقّة من الأحرف الأولى للاسم الفرنسيّ للمنظّمة الأوروبيّة للبحوث النوويّة. وتضمّ أبرز المُختبرات العالميّة في فيزياء الجُسيْمات؛ أي الجُسيْمات

الأساسيّة التي تتكوّن منها المادّة. وقد أُسّست عام ١٩٥٤عبْر الحدود الفرنسيّة–السويسريّة، قربَ مدينة جينيف.

(٦) اللجنة الوطنيّة الأردنيّة للنهوض باللغة العربيّة للتوجّه نحو مجتمع المعرفة: **صورة اللغة العربيّة في وسائل الإعلام والاتصال**، عمّان، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

(٧) اللجنة الوطنيّة الأردنيّة للنهوض باللغة العربيّة للتوجّه نحو مجتمع المعرفة: **اللغة العربيّة في ميْدان التواصل على شبكة الإنترنت والهاتف المحمول**، عمّان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

(٨) اللجنة الوطنيّة الأردنيّة للنهوض باللغة العربيّة للتوجّه نحو مجتمع المعرفة: **اللغة العربيّة في القضاء الأردنيّ وكلّيّات الحقوق في الجامعات الأردنيّة**، عمّان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

(٩) هاتان الدراستان العلميّتان الميْدانيّتان التحليليّتان في طريقهما للنشر الآن.

(١٠) إدوارد سعيد: **الاستشراق**: المعرفة، السلطة، الإنشاء؛ ترجمة؛ كمال أبو ديب؛ مؤسّسة الأبحاث العربيّة، بيْروت، ١٩٧٩. [الأصل الإنجليزيّ: Edward Said, Orientalism, Pantheon Books, New York, 1978].

(١١) إدوارد سعيد: **الثقافة والإمبرياليّة**؛ ترجمة: كمال أبو ديب؛ مكتبة بغداد، ط٤، ٢٠١٤. [الأصل الإنجليزيّ: Edward Said, Culture and Imperialism,Vintage Books, New York, 1994].

(١٢) Joseph Nye [Harvard University], Bound to Lead: The Changing Nature of American Power,Basic Books, 1991.

(١٣) Richard L. Armitage and Joseph Nye, Jr., “Stop Getting Mad, America; Get Smart”, The Washington Post, December 9, 2007.

(14) انظر: مقالته المنشورة في مجلّة (Foreign Affairs) الأمريكيّة بعنوان “The Clash of Civilizations?” (1993)؛ وكتابه The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order (1996).

(١٥) مُحرّك البحث غوغل: "سكّان العالم" [عن إحصائيّات مُعتمدة، ككتاب "حقائق العالم" الصادر عن وكالة الاستخبارات الأمريكيّة (سامحوني!) ومؤسوعة "إنكارتا"].

(١٦) وكالات الأنباء والفضائيّات العالميّة.

(١٧) غوغل: موْقع "هيئة الأمم المُتّحدة".

(١٨) غوغل: "اللغة العربيّة".

(١٩) غوغل: "لغات العالم".

(٢٠) Arthur Koestler, The Thirteenth Tribe: The KhazarEmpire and its Heritage, Random House, New York & London, 1976.

**الترجمة العربيّة:**

آرثر كيستلر: **القبيلة الثالثة عشرة ويهود العالم**، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، مشروع الألف كتاب (الثاني)، الكتاب رقم ١٠١، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١.

(٢١) K. Brecher, E. Lieber, and A. E. Lieber, "A Near-Eastern sighting of the supernova explosion of 1054", Nature, **273**, 29 June 1978; 728-730.

(٢٢) ابن أبي أُصيْبعة، أبو العبّاس أحمد بن القاسم: **عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء**. تحقيق ونشر: أ. مولر، القاهرة؛ كونغسبرغ [د.ن]، ١٨٨٢-١٨٨٤. طبعة أحدث: دار مكتبة الحياة، بيْروت، ١٩٦٥.

(٢٣) ابن الهيثم، أبو علي محمّد بن الحسن: **كتاب المناظر**، تحقيق ونشر: علي أ. صبرا، معهد المخطوطات العربيّة، الكويت، ١٩٨٣.

**التعليقات والمنقشات**

أحد الحضور: دعا إلى وضع وثيقة شرف تدعو المعلمين في المدارس لاستعمال اللغة العربية السليمة.

كمال أبو حلاوة/ رئيس رابطة الفنانين التشكيليين: تمنى إحياء حصة الخط العربي.

زياد الخطيب/ رئيس اللجنة الكهروتقنية الوطنية الأردنية: تمنى لو أن المحاضرين عرجا على قضية عالمية اللغة من حيث مدى استخدامها مع التقنات الحديثة.

أحد الحضور: دعا المعلمين إلى أن يكونوا على دراية كافية بلغتهم، وأن يعلموها لطلابهم تعليماً صحيحاً، ودعا الجامعات إلى الاهتمام بتعليم اللغة للطلاب.

م. مصطفى التلاوي: دعا إلى إعادة كراسة الخط في المدارس.

## البيان الختامي

## وتوصيات الموسم الثقافي السادس والثلاثين

## لمجمع اللغة العربية الأردني بعنوان:

## اللغة العربية والنهوض بالأمة

في المدة بين ١٣ ربيع الأول ١٤٤٠هـ - ١٠ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ.

الموافق ٢١ تشرين الثاني - ١٨ كانون الأول ٢٠١٨م

عقد مجمع اللغة العربية الأردني موسمه الثقافي السادس والثلاثين في رحابه، بعنوان: اللغة العربية والنهوض بالأمة.

بدأ افتتاح الموسم عند الساعة التاسعة والنصف من ضحى يوم الأربعاء الموافق ٢١ تشرين الثاني ٢٠١٨م بتلاوة آي من الذكر الحكيم، ثم ألقى الأستاذ الدكتور خالد الكركي كلمة الافتتاح.

اشتمل الموسم على تسعة أبحاث موزعة على خمس جلسات، وجلسة ختامية، في خمسة أيام، ابتدأت يوم الأربعاء الموافق ٢١ تشرين الثاني، وانتهت في ١٨ كانون الأول، بواقع جلسة واحدة كل أسبوع، كما هو مُبيّن في التفصيل الآتي:

### الجلسة الأولى: الأربعاء الموافق ٢١ تشرين الثاني

عقدت الجلسة عند الساعة الحادية عشرة من ضحى ذلك اليوم، برئاسة الأستاذ الدكتور عبداللطيف عربيات، وقُدّمَ في هذه الجلسة بحثان هما:

- البحث الأول للأستاذ الدكتور علي محافظة، عنوانه: القدس والأمة.
- البحث الثاني للدكتور محمد الخلايلة، عنوانه: القدس والأمة.

**الجلسة الثانية: الثلاثاء الموافق ٢٧ تشرين الثاني**

عقدت عند الساعة الحادية عشرة من ضحى ذلك اليوم، برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي عضو المجمع، وقُدّم فيه بحثان هما:

- البحث الأول للأستاذ الدكتور صلاح جرار، عنوانه: تحقيق التراث– ما له وما عليه.
- البحث الثاني للأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم، عنوانه: تحقيق التراث العربي، ما لـه وما عليه.

**الجلسة الثالثة: الثلاثاء الموافق ٤ كانون الأول**

عقدت عند الساعة الحادية عشرة من ضحى ذلك اليوم، برئاسة الأستاذ عدنان الزعبي، وقُدّم في الجلسة بحث واحد هو:

- البحث للأستاذ الدكتور وليد عبدالحي، عنوانه: اللغة العربية والفكر السياسي المعاصر: إشكالية المفاهيم السياسية المعاصرة.

**الجلسة الرابعة: الثلاثاء الموافق ١١ كانون الأول**

عقدت عند الساعة الحادية عشرة من ضحى ذلك اليوم، برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالقادر عابد، وقُدّم في الجلسة بحثان هما:

- البحث الأول للأستاذ الدكتور محمد زكي خضر، عنوانه: الترجمة الآلية في خدمة اللغة العربية.
- البحث الثاني للأستاذ الدكتور عبدالمجيد نصير، عنوانه: الترجمة الآلية.

**الجلسة الخامسة: الثلاثاء الموافق ١٨ كانون الأول**

عقدت عند الساعة الحادية عشرة من ضحى ذلك اليوم، برئاسة الأستاذ الدكتور إبراهيم بدران، وقدّم في الجلسة بحثان هما:

- البحث الأول للأستاذ الدكتور همام غصيب، عنوانه: اللغة العربية لغة عالمية.
- البحث الثاني للأستاذ الدكتور محمد عصفور، عنوانه: اللغة العربية لغة عالمية.

ثم أعلنت نتائج مسابقات المجمع، وسُلمت الشهادات للفائزين.

**وفي الختام خلُص المشاركون في الموسم إلى التوصيات الآتية:**

أولاً: مخاطبة وزارة التربية والتعليم لزيادة النصوص في الكتب المدرسية التي تُعنى بالقدس وعروبة فلسطين.

ثانياً: أن يعلن المجمع عن مسابقات علمية وأدبية حول القدس وتاريخها وأهميتها الدينية والقومية عند العرب والمسلمين.

ثالثاً: يشكر المشاركون للمجمع جهوده في تحقيق التراث ونشره ويدعونه لتبني مشروع دائم في هذا المجال ضمن الإمكانيات المتاحة.

رابعاً: أن يعمل مجمع اللغة العربية الأردني مع المجامع العربية الأخرى واتحاد المجامع على توحيد مصطلحات العلوم كافة، وإعادة النظر -إن أمكن- في المصطلحات الموحَّدة التي أُقرت من قبلُ، ومواكبة ما يستجد من مصطلحات.

خامساً: استحداث وحدة مستقلة في مجمع اللغة العربية الأردني لحوسبة اللغة العربية لمواكبة ثورة المعلومات والتقنيات الحديثة خدمةً للغة العربية في هذا المجال وزيادة للمحتوى العربي على الشابكة.

سادساً: أن يعلن المجمع عن إجراء مسابقات حول الترجمات الآلية من العربية وإليها بالتعاون مع ذوي العلم والخبرة في هذا المجال.

سابعاً: تعزيز الاهتمام بتعليم اللغة العربية للناطقين بها وغير الناطقين من خلال إنشاء وحدة مختصة لذلك في المجمع.